

الجذور التاريخية للقضية الفلسطينية

تأليف

الدكتور اسماعيل احمد ياغن

Bibliotheca Alexandrina



0145831





المكتبة العامة لجامعة الإسكندرية

رقم التصنيف:

رقم التسجيل:

الجذور التاريخية للقضاية الفلسطينية

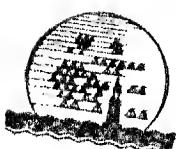
تأليف

الدكتور اسماعيل أحمد ياغي

أستاذ التاريخ الحديث المشارك

كلية العلوم الاجتماعية

جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية



Egyptian Organization of the Alexandria Library (GOAL)
Institute of Manuscripts

الرياض - ص.ب: ١٠٧٦٠

طبعة ٣١٤٠٣٩ ميلادي الرياض

كتاب المكر في الدين

مقرر الطبع والنشر محفوظة للناشر

لا يجوز استنساخ أي جزء
من هذا الكتاب أو
استخراجه بأي وسيلة
الإبادن خطى من الناشر

المحتويات

الصفحة	الموضوع
	مقدمة
١	أهمية فلسطين
٢٠٠	عروبة فلسطين في التاريخ
٥٠	مكانة فلسطين في الاسلام
١٠	المشكلة اليهودية
١٨	الصهيونية
٤٨	الصهيونية والاستعمار
٥٥	الاستعمار البريطاني والوطن القومي اليهودي
٦٠	فلسطين تحت الانتداب البريطاني
٧٤	الحركة الوطنية الفلسطينية
١١١	سياسة الانتداب البريطاني وأهدافها
١٢٣	قضية فلسطين امام الامم المتحدة
١٣٠	قيام دولة الكيان الصهيوني وبدء الصراع العربي الاسرائيلي
١٤٠	أبعاد الصراع العربي الاسرائيلي
١٤٩	ملاحق (خرائط)
١٥٧	مراجع ومصادر الكتاب



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

مقدمة

هذه فلسطين تعبّر مشارف القرن الخامس عشر وهي حزينة اسيرة تبكي حريتها وعزتها ... وتنتظر من المليار مسلم تحريرها من أيدي الصهاينة شذاذ الآفاق .

أنها تعبّر هذا القرن كما عبرت في الماضي القرن السادس المجري حين أسرها الصليبيون وأقاموا فيها إماراة بيت المقدس . وظلت أسرية حتى جاء صلاح الدين الأيوبي وحررها وفك أسر القدس من معقلها . وعادت إلى فلسطين وقدسها أولى القبلتين ومسرى الرسول الكريم محمد عليه السلام حريتها وعزتها .

* * *

إن فلسطين تنتظر من العرب والمسلمين من يحررها ! فلن لها بعد صلاح الدين ؟ ولا يمكن أن يظهر صلاح الدين إلا إذا أصبحت هذه الأمة أهلاً لهذه القيادة ومهيأة لها . ولابد من أن تهيأ المسلمين لمعركة طويلة الأمد .. « جهاد مقدس » كي يعودوا إلى فلسطين حريتها وكرامتها وشرفها . ولن تعود القدس وفلسطين إلا إذا عاد المسلمون إلى الإسلام ، بالأسلحة الضرورية المتطورة الالزمة للجهاد المقدس .. « وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل ترهبون به عدو الله وعدوكم » .

وي يكن اعتبار المأساة الفلسطينية مثلاً حياً للواقع الإسلامي الذي يشهد اليوم جميع أنواع التحدى والتهديد ، إذ لو لا هذا الواقع المؤلم للعالم الإسلامي لما ضاعت فلسطين ، ولما تجاسر العدو على اغتصابها ، ولذلك فإن هيبة الإسلام والمسلمين مرهونة بعودة فلسطين عربية إسلامية .

* * *

تناول هذه الدراسة القضية الفلسطينية بجميع جوانبها وأبعادها وذلك من أجل إثبات الحق العربي في فلسطين والقدس على وجه الخصوص ، ودحض آراء ومفربات كتاب الصهيونية والإستعمار . وقد تدرجت في عرض القضية لإبراز ملامحها وتطوراتها فعرضت أهمية فلسطين الإستراتيجية والجغرافية وعروبة فلسطين في التاريخ ومكانتها في الإسلام . كما عالجت المشكله اليهودية في أوربا ونشأة الحركة الصهيونية وعلاقتها مع الإستعمار . وشرحـت الظروف التي أدت إلى إصدار عـدـ بـلـفـورـ والإحتـلالـ الإـنـجـليـزـيـ لـفـلـسـطـينـ ثـمـ خـضـوعـهـاـ لـلـانـتـدـابـ الـبـرـيـطـانـيـ . ووضـحتـ دـوـرـ بـرـيـطـانـيـاـ وـالـصـهـيـونـيـةـ فـيـ تـهـيـيدـ فـلـسـطـينـ إـبـانـ فـتـرةـ الـإـنـتـدـابـ بـجـيـثـ مـكـنـتـ الـيهـودـ مـنـ الـهـجـرـهـ وـتـمـلـكـ الـأـرـضـ حـتـىـ اـسـطـاعـوـاـ فـيـ نـهـاـيـةـ فـتـرةـ الـإـنـتـدـابـ إـعـلـانـ دـوـلـهـمـ .

كـماـ تـنـاوـلـتـ درـاسـةـ الـصـرـاعـ العـرـبـيـ إـسـرـائـيلـ وـشـرـحـتـ أـبعـادـهـ بـشـكـلـ عـلـمـيـ دقـيقـ . وـأـرـجـوـ أنـ أـكـونـ قدـ وـقـفـتـ فـيـ عـرـضـ الـمـلـامـحـ الـأـسـاسـيـةـ لـقـضـيـةـ الـصـرـاعـ بـيـ وـالـصـهـيـونـيـ .

وـإـنـ هـذـهـ دـرـاسـةـ لـيـسـ إـلـاـ شـهـادـةـ حـقـ وـعـدـلـ ضـدـ الـبـاطـلـ وـالـظـلـمـ . وـآـمـلـ نـ يـهـبـ الـمـسـلـمـونـ جـمـيـعـاـ لـتـحـرـيرـ أـرـضـ النـبـوـاتـ ، وـإـعادـةـ الـحـقـ الـضـائـعـ فـيـ فـلـسـطـينـ حـتـىـ يـتـحدـدـ مـصـيـرـ الـكـرـامـةـ إـسـلـامـيـةـ وـالـسـلـامـ .

وـالـلـهـ وـلـيـ التـوفـيقـ

الـرـيـاضـ ١٠ـ شـعـانـ ١٤٠١ـ هـ

المـؤـلـفـ

الفصل الأول

عروبة فلسطين في التاريخ

أهمية فلسطين :

فلسطين قلب العالم الإسلامي ، ففيها مدينة القدس وهي أحد مراكز الإسلام الثلاثة الرئيسية ، إذ تأتي في الأهمية الدينية بعد كل من مكة المكرمة والمدينة المنورة ، ففيها المسجد الأقصى قبلة الإسلام الأولى ومسرى النبي الكرم . وقد كرم الله سبحانه وتعالى القدس وما حولها بقوله « سبحان الذي أسرى بعده ليلاً من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى الذي باركنا حوله لربه من آياتنا أنه هو السميع البصير »^(١) .

وإلى جانب القدس توجد في فلسطين الكثير من المدن التي تضم العديد من الآثار وال المقدسات الإسلامية كمدينة الخليل التي اتخذها أبو الأنبياء إبراهيم عليه الصلاة والسلام محلاً لإقامةه ، إلى أن اختاره الله إلى جواره ، فدفن فيها هو وزوجته سارة وأبناؤه من بعده ، وعلى هذا المكان أقام المسلمون مسجداً سمي بالحرم الإبراهيمي .

وفي أقصى الجنوب من فلسطين حيث مدينة غزة التي كانت محطة قوافل عرب الحجاج في تجارتكم إلى الشام ، دفن هاشم أحد أجداد النبي محمد صلى الله عليه وسلم^(٢) .

ومن هنا حظيت فلسطين ولا زالت باهتمام المسلمين على مر العصور ، فكانوا يدافعون عنها بالنفس والنفيس لأنهم كانوا يعتقدون أن التغريب فيها تغريب في دينهم وعقيدتهم . ولاشك في أن الاحتلال اليهود لفلسطين وتهويدهم لها أمر بالغ الخطورة لأنه يهدد العالم الإسلامي بأسره ، وهي ظاهرة خطيرة لم يسبق لها مثيل في جميع عصور التاريخ ، اللهم إلا تلك الحملات الصليبية الملعونة التي

(١) سورة الاسراء : الآية ، ١.

(٢) محمد علي الفرا : « تهويذ فلسطين » المؤتمر الجغرافي الإسلامي الأول ، « لجنة الجغرافيا السياسية » الرياض ١٣٩٩ ط ، ص ١ .

رفعت شعار الصليب مخفية وراءه أطاعها الإستعمارية والعدوانية وشهوتها الإنقامية من الإسلام والمسلمين .

ويمكن اعتبار المأساة الفلسطينية مثلا حيا للواقع الإسلامي الذي يشهد اليوم جميع أنواع التحدي والتهديد ، إذ لو لا هذا الواقع المؤلم للعالم الإسلامي لما ضاعت فلسطين ، ولما تجاسر العدو على اغتصابها ، ولذلك فإن هيبة الإسلام والمسلمين مرهونة بعودة فلسطين عربية إسلامية .

وإلى جانب الأهمية الدينية لفلسطين ، فإنها ذات موقع إستراتيجي هام ، فهي تقع على الشاطئ الشرقي للبحر الأبيض المتوسط بين درجتي عرض ٣٠°٢٩ر٣٠° و ٣٤°١٠ر٣٣° شمالا ، وبين خطى طول ٤١٥°٣٤° و ٤٠°٣٥٠° شرقا ، ويحدّها لبنان شمالا والجمهورية العربية السورية والمملكة الأردنية شرقا ، وجمهورية مصر العربية جنوبا^(١) . وتبعد مساحة فلسطين حوالي (١٥٨٠٠٠) دونما (كم^٢) أي (١٠٠) كيلومترا مربعا^(٣) .

إن موقع فلسطين الآنف الذكر ، جعل منها جسرا يربط بين قارات العالم القديم وميرا عاليا ، ومرتكزا لعدد كبير من الحضارات^(٤) ، وهو الطريق الوحيد الذي يربط وادى النيل بوادي دجلة والفرات وببلاد الشام . ولذلك كانت على مر العصور مكانا للاقتال ، وممرا للجيوش والغزوات التي احتلت مصر أمثال المكوسس والأشوريين والبابليين والفرس واليونان والروماني وغيرهم . ولم يأت الفتح العربي الإسلامي لمصر إلا عن طريق فلسطين أيضا ، كما قام المصريون القدماء باحتلالها لفترات طويلة تأمينا لحدودهم الشرقية خوفا من العزو الآسيوي المتكرر^(٥) .

(١) الحكم دروزه : ملف القضية الفلسطينية والصراع العربي الإسرائيلي ، بيروت ١٩٧٣ .
ص ٥ .

Cmd; 3686, 1930. Palestine. Report on Immigration, Land Settlement and Development (٢)
By sir J.H. Simpson, 1930. pp: 12-13

(٣) محمد أدب العامري : عروبة فلسطين في التاريخ ، بيروت ١٩٧٢ ، ص ١٨ - ١٩ .

(٤) كامل محمود خله : فلسطين والانتداب البريطاني ، بيروت ١٩٧٤ ، ص ١ .

عروبة فلسطين في التاريخ :

يدعى اليهود زورا وبهانا بأنهم أسبق في الوجود من العرب ، وزعموا أن العرب جاءوا إلى فلسطين مع الفتح الإسلامي ، ولكن الحقائق التاريخية وأقوال تبرأتهم تدحض إدعاءاتهم . فقد أجمع معظم المؤرخين الثقة بأن سكان فلسطين القدماء ينحدرون من القبائل الكنعانية التي خرجت من الجزيرة العربية واستقرت في فلسطين منذ فجر التاريخ حوالي (٤ - ٣)آلاف سنة ق . م . وكانت تسمى أرض كنعان ، وسميت باسمها الحالي منذ القرن الثاني الميلادي نسبة إلى قبيلة فلستينا التي غزت ساحل فلسطين من جزيرة كريت واستوطنت الساحل وأسست لها مدنًا مخصوصة (غزة ، عسقلان ، اسدود ، عاقد) وقد إندرجت هذه القبيلة مع الكنعانيين وتأثرت بعادتهم وتقاليدهم السامية . وأن صلة هؤلاء العرب بفلسطين لم تقطع بعد ذلك ، وأن إشارة القرآن الكريم إلى رحلة الشتاء والصيف في عصر ما قبل الإسلام ، تعتبر دليلاً قوياً على استمرار الصله بين الشام ومنها - فلسطين - وبين الجزيرة العربية . وظل العرب يشكلون الكثرة العددية الغالبة في البلاد ، وتعضي وجودهم من جاء إليها من عرب الجزيرة مع الفتح العربي الإسلامي الذي صبغ البلاد بطابعها العربي لغة وثقافة وتاريخاً ومصيرًا^(١) .

أما العبرانيون فقد طرأوا على مسرح الأحداث في فلسطين في وقت متاخر جداً على وجود الكنعانيين هناك . في الوقت الذي يرى فيه العبرانيون أن علاقتهم بفلسطين ترجع إلى إبراهيم^(٢) ، نجده عليه السلام يؤكّد بأنه كان غريباً عن أرض كنعان ، لا يملّك فيها شبراً واحداً ، وحيثما توفيت زوجته سارة في قرية «أربع» الكنعانية ، نجده يخاطب أهل القرية قائلاً : «إني غريب ونزلت عندكم ، أعطوني ملوك قبر معكم لأدفن ميّتي من أمامي»^(٣) .

(١) محمد أديب العامري : عروبة فلسطين في التاريخ ، ص ١٦ ، ٢١ ، ٧٤ .

(٢) هاجر إبراهيم وعشيرته من أور جنوب العراق إلى فلسطين (بلاد كنعان) سنة ١٨٥٠ ق . م حيث استقر في مدينة الخليل حالياً وبها الحرم الإبراهيمي المشهور ، وهاجر أولاده واحفاده إلى مصر حيث استقروا فيها فتره إلى أن اضطهدتهم فرعون فأرسل الله نبيه موسى لإنقاذهم وخرج بهم من مصر طريقهم إلى بلاد كنعان .

(٣) سفر التكوين ، الإصحاح ٢٣ : ٤ .

غير أن العبرانيين استطاعوا بعد ذلك أن يغزو فلسطين بقيادة يوشع بن نون حوالي ١٢٠٠ ق . م الذي دمر مدينة أريحا وأحرقها وقتل كل سكانها ونهب ما فيها من ذهب وفضة وأموال أخرى ، وكذلك فعل بمدينة « عائى » الكنعانية التي حولتها يد العبرانيين إلى تل أبيدى بعد أن قتل يشوع كل سكانها البالغ عددهم حوالي اثنى عشر ألفاً^(١) . وعلى الرغم من تلك الغزوة البربرية ، إلا أن سكان فلسطين قاوموها لفترة طويلة من الزمن . ويقول المؤرخ بريستيد بهذا الصدد : « ... وحين دخل العبرانيون فلسطين ، وجدوا فيها الكنعانيين ، يقيمون في مدن زاهرة ، تطوقها الأسوار الضخمة ، فلم يستطيعوا أن يفتحوا منها إلا المدن الضعيفة .. حتى أورشليم (القدس) هزئت بحملات مهاجميها العبرانيين بضعة قرون »^(٢) .

واستقر الإسرائييليون بعد ذلك في فلسطين ، ولكنهم لم يستطيعوا الإستيلاء إلا على الجزء الداخلي الفقير منها ، وأسس داود مملكة يهودية لم تدم سوى سبعين عاماً تقريباً ، في عام ٩٢٢ ق . م ثارت قبائل اليهود الشمالية ، بعد موت سليمان ، وانفصلت وسمت نفسها « إسرائيل » وعادت دولية الجنوب إلى اسمها القديم « يهودا » . واستمر الصراع بين الدولتين إلى أن قفت آشور على إسرائيل عام ٧٢٢ ق . م ، أما يهودا فقد قضى عليها البابليون عام ٥٨٠ ق . م وسبوا أعداد كبيرة من اليهود إلى بابل^(٣) .

وسمح قورش الفارسي للإسرائييليين بالعودة من السبي البابلي في عام ٥٣٨ ق . م وعاد بعض اليهود تدريجياً ، ولكن الغالبية منهم فضلت البقاء في بابل . وقد سيطر التعصب العنصري على اليهود الذين عادوا من السبي البابلي ، فعمل « عزرا » أحد كبار كهنة اليهود مع رفقاءه على بث الروح العنصرية في العقيدة اليهودية ، وذلك بعد أن طوروا في بابل فكرة « الشعب المختار »^(٤) ، والتي

(١) سفر يشوع : الإصحاح ٨ : ٢ - ٢٨ .

(٢) محمد اديب العامري : المصدر السابق ، ص ، ١٢٣ .

(٣) ولهم فهمي : المиграة اليهودية إلى فلسطين ، القاهرة ١٩٧١ ، ص ١٢ - ١٣ .

(٤)

تلاقت مع فكرة الغرور البشري لدى البابليين ، واعتقد اليهود أنهم الشعب الإلهي الذي يجب عليه أن يسيطر على غيره من الشعوب^(١) .

ويذكر اليهود أن السبي البابلي كان أول هجرة يهودية من فلسطين على نطاق واسع ، ليصوروا أن الإسرائيликين « نفوا عنوة » من فلسطين . ولكنهم تناسوا أو نسوا هجرة العبريين إلى مصر وخروجهم الجماعي منها يعدان أيضا هجرة جماعية على نطاق واسع^(٢) .

وتعرضت فلسطين بعد ذلك لغزوات اليونان والرومان ، فقضى الرومان على فتنة اليهود وهدموا هيكلهم ، ثم قتلوا أكثر من نصف مليون يهودي ، وأرسلوا الكثيرين من اليهود أسرى إلى روما ، وهرب من تبقى من اليهود إلى مصر والعراق وغيرها من الأقطار الأوروبية . وعاشوا في هذه المجتمعات أحقابا طويلة لا تربطهم بفلسطين أية صلة من قريب أو من بعيد . ولم يعد في فلسطين إلا عدة الآف من اليهود^(٣) .

وبالنقسام الإمبراطورية الرومانية أصبحت فلسطين جزءا من الإمبراطورية البيزنطية ، ثم احتلتها الدولة الفارسية في عام ٦١٤ م ، ولكن لم يدم حكمها طويلا إذ فتح العرب المسلمين فلسطين عام ١٥ هـ (٦٣٦ م) ، واعتنق سكانها الإسلام بعد أن كانوا يدينون بال المسيحية ، وتحدث أهلها باللغة العربية ، فسادت في البلاد مظاهر الحضارة العربية الإسلامية ، وظللت فلسطين بعد ذلك قطرا عربيا إسلاميا لمدة أربعة عشر قرنا (منذ الفتح العثماني ١٥ هـ (٦٣٦ م) حتى سنة ١٣٦٧ (١٩٤٨) باستثناء فترة الحروب الصليبية (١٠٩٩ - ١١٨٧)^(٤) .

ومما يستلفت النظر أن الوجود العربي في فلسطين لم ينقطع على الإطلاق ، كما أن الحياة العربية لم تختجِب إبان غزوات العبرانيين أو الفرس أو الإغريق أبدا

(١) ولم فهمي : المصدر السابق ، ص ١٣ .

(٢) نفس المصدر.

(٣) هنري كتن : فلسطين في ضوء الحق والعدل ، بيروت ١٩٧٠ ، ص ٤ .

(٤) ولم فهمي : المصدر السابق ، ص ١٥ .

الرومان . فقد استمر الشعب العربي في فلسطين مستوطناً لبلاده يتعاقب عليه الغزاة والفاتحون . ومع أن هذه الغزوات قد أثرت إلى حد ما في حياة المجتمع الفلسطيني ، سواء من ناحية تقاليده وحضارته ، إلا أن حياة الشعب المذكور بكل ماهها من خصائص ومقومات لم تصطفع بصبغة الفاتحين .

وسأشعر بياجاز أقوال علماء التاريخ الأجانب وما قالته التوراة التي كتبها حاخامات اليهود مما يثبت بالدليل القاطع أن فلسطين منذ عشرة آلاف سنة قبل الميلاد وحتى اليوم هي أرض عربية ، سكنتها العرب منذ خروجهم من جزيرة العرب وأنهم أقاموا فيها بصورة ثابتة ومتصلة ومستمرة حتى اليوم . وأن العرب المسلمين الذين فتحوها وحرروها إنما كانوا أصولاً لفروع أو فروعاً للعرب الذين سكنوها منذ فجر التاريخ . وهذا يدحض مزاعم اليهود القائلة بأن فلسطين تاريخياً ليست أرض العرب وإنما اغتصبها المسلمون من أصحابها ، وأنها كانت يوماً ما للعبرانيين أو اليهود .

يقول أعلام المؤرخين (كروبشون ، وباتو ، وبريسيد) : «يرجع السكان في فلسطين إلى عهد قديم جداً يقدر ببعضهم بعشرين ألف سنة قبل الميلاد وقبل أن يضع اليهود أول قدم لهم في هذه البلاد ، كان يقطنها أقوام ذوي حضارة ومجده كالكنعانيين أو الفينيقيين ، والحيثيين والفلسطينيين وغيرهم » .

وتقول الدكتورة فرنسيس إميلي عضو اللجنة الملكية البريطانية في بحثها لظاهرة إستقرار الجنس العربي في فلسطين أو القدس : «أن العرب لا اليهود هم أصحاب تلك الصلة الثابتة المستمرة غير المقطعة ». ويقول برأيت المؤرخ الأمريكي المتعصب للإسرائييلين : «كان العبرو (يعني العبرانيين) غرباء عن كل بلاد عاشوا فيها ، وكان أهل تلك البلاد يعني فلسطين يسمونهم الغرباء » .

ويقول المؤرخ الإسكتلندي الشهير جيمس فريزر : «أن الناطقين بالعربية من فلاحي فلسطين هم من ذريات القبائل التي استوطنها قبل الغزو الإسرائيلي لها في عهد داود ، وأنهم مازالوا متصلين بالأرض لم ينتقلوا عنها ولم يقتلعوا منها وإن طلت عليهم موجات من الفتوح فإنهم ثبتوا وأقاموا ». ويقول الباحث

والمؤرخ ويلز في كتابه (معالم الإنسانية) : « إن أرض فلسطين هي أرض وبلاد الكنعانيين والفلسطينيين » .

أما المؤرخ العالمي الإنجليزي المعاصر والمشهور آرنولد تويني والذى يطلق عليه مؤرخ القرن العشرين ، فقد أثبت بالوثائق التاريخية الصحيحة أن فلسطين هي أرض العرب وأن اليهود دخلوها متدينين قدماً وحديثاً . وقد قال في بعض كتاباته عن فلسطين « قبل أن يبدأ هرتزل حركته الصهيونية كان قد انقضى على وجود السكان في فلسطين فترة تزيد على سبعة عشر قرناً ونصف على الأقل »^(١) .

ونحن لستنا بقصد مناقشة حق اليهود الدينى والتاريخى في فلسطين وإن كان ما ورد على لسان أشهر علماء التاريخ يؤكّد حق العرب في فلسطين بصورة أقوى من حق أي شعب يملك وطنه في أي بقعة من بقاع الأرض . كما وأن عشرات الآيات من التوراة المكتوبة تؤكّد أن فلسطين هي ملك لساكنيها من القبائل العربية وأن العبرانيين هم غرباء عن الأرض ، فقد ورد في سفر التكويرين (١٥ - ٢٣) : « أن نسلك سيكون غريباً في أرض ليست لهم » . وجاء في سفر حزقيال المكتوب عن القدس : قال السيد رب لأورشليم : « مخرجك ومولدك أرض كنعان » يعني أرض الكنعانيين العرب^(٢) .

كما وأن زعماء إسرائيل يعترفون بصراحة عن عدم أحقيتهم بأرض فلسطين ، وليس أدل على ذلك ما قاله زعاؤهم أمثال هرتزل وبين غوريون : يقول هرتزل : « نحن لا تربطنا بهذه التربة أية حقوق ملكية صحيحة ، لقد مرت أجيال عديدة منذ كانت هذه الأرض يهودية » . ويقول بن غوريون : « لست عمياناً . أنا على علم أكيد بأن فلسطين ليست بلداً خاويًا بل إننا نعرف أن ملايين من العرب يسكنون على ضفتي نهر الأردن الشرقية والغربية كما وأن هناك ملايين وملايين من العرب قطنوا فلسطين »^(٣) .

(١) رفيق شاكر التشهـة : الإسلام وفلسطين ، الرياض مطبعة المدينة ١٩٨٠ م ١٤٠٠ هـ ص ٢١ - ٢٣ .

(٢) المصدر السابق ص ٢٤ .

(٣) رفيق شاكر التشهـة : الإسلام وفلسطين ، ص ٢٤ - ٢٥ .

وإذا كان يحق لليهود الادعاء بحقهم التاريخي في فلسطين بحججة أنهم أقاموا على جزء منها دولة في عهد داود وسليمان استمرت سبعين سنة . فلماذا لا يتحقق على ضوء هذا المنطق أن يطالب الفرس بفلسطين وقد حكموها ٢٠٠ سنة ، وكذلك اليونان وقد حكموها ٣٠٠ سنة ، والرومانيون وقد حكموها ٧٠٠ سنة . كما يصبح على ضوء هذا المنطق أن من حق بريطانيا أن تطالب بأميريكا ومن حق إيطاليا أن تطالب ببريطانيا وهكذا ينقلب العالم رأسا على عقب من أجل منطق يهودي صهيوني عابث .

ولكن علماء التاريخ قد حسموا الأمر واعتبروا أن حق ملكية العرب بفلسطين أقوى من حق ملكية أي شعب في وطنه كما قال المؤرخ العالمي المشهور أرنولد تونبي الذي أكد أن إقامة العرب بفلسطين بدأت منذ الألف الرابعة قبل الميلاد ، أي أن إقامتهم الداممة والمتصلة المستمرة دامت من ستة آلاف إلى اثنى عشرة ألف سنة .

وإذا كانت فلسطين عربية منذ القدم ، فقد تأصلت عروبتها وازدادت وتأكدت منذ الفتح الإسلامي لها ، وكان لها أهمية خاصة في قلوب المسلمين جميعاً ومكانة عظمى لدى العرب والمسلمين على السواء . وقد جاءت متزنة فلسطين ومكانتها من الكتاب والسنة

مكانة فلسطين في الإسلام

يقول الله سبحانه وتعالى في الآية الأولى من سورة الإسراء «سبحان الذي أسرى بعده ليلاً من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى الذي باركنا حوله لنريه من آياتنا إنه هو السميع البصير» فالمسجد الأقصى مبارك في أرض مباركة وهي أرض فلسطين .^(١)

كما يقول في الآية (١٨) من سورة الإسراء : «وجعلنا بينهم القرى التي باركنا فيها قرى ظاهرة وقررتنا فيها يسيراً ، سيرروا فيها ليالٍ وأياماً آمنين»^(٢) . قال ابن عباس (القرى التي باركنا فيها هي بيت المقدس) .

(١) سورة الإسراء : الآية ، ١ .

(٢) سورة سباء : الآية ، ١٨ .

ويقول الله سبحانه وتعالى في سورة الأنبياء «ونجيناه ولوطا إلى الأرض التي
 باركنا فيها للعالمين^(١)». وورد في تفسير ابن كثير عن ابن كعب قال : (عن الأرض
 التي بارك الله فيها للعالمين هي بلاد الشام ، ومانقص من الأرض زيد في بلاد
 الشام ، وما نقص من الشام زيد في فلسطين وكان يقال هي أرض الحشر
 والمنشر) .

ويقول جل من قائل في سورة المائدة : «يَا قَوْمَ إِذْ دَخَلُوكُمُ الْأَرْضَ الَّتِي
 كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ وَلَا تَرْتَدُوا عَلَى أَدْبَارِكُمْ فَتَنَقْبِلُوكُمْ حَاسِرِينَ»^(٢) والمراد بالأرض
 المقدسة ، بيت المقدس وما حوله .

أما أحاديث رسول الله صلى الله عليه وسلم فقد ورد منها الكثير نورد منها ما
 يلي :

روى ابن مسندة عن أنس بن مالك قال : «أَنَّ الْجَنَّةَ لَتَحْنُ شَوْقًا إِلَى بَيْتِ
 الْمَقْدِسِ ، وَبَيْتِ الْمَقْدِسِ مِنْ جَنَّةِ الْفَرْدَوْسِ وَهُوَ سَرَّ فِي الْأَرْضِ» . وعن أبي
 هريرة قال ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : «مَنْ أَرَادَ أَنْ يَنْظُرَ إِلَى بَقْعَةٍ
 مِنْ بَقْعَةِ الْجَنَّةِ فَلِيَنْظُرْ إِلَى بَيْتِ الْمَقْدِسِ» . وروى الحاكم في المستدرك وأحمد في
 مسنده قوله عليه الصلاة والسلام : «طَوَّبَ لِلشَّامِ فَإِنَّ مَلَائِكَةَ الرَّحْمَنِ بَاسِطَةٌ
 أَجْنِحَتَهَا عَلَيْهِ» . وروى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ما قاله لمعاذ رضي الله
 عنه : «إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَ سَيَفُتَحُ عَلَيْكُمُ الشَّامَ مِنْ بَعْدِي مِنْ الْعَرِيشِ إِلَى الْفَرَاتِ
 رَجَاهُمْ وَنِسَاؤُهُمْ وَآبَاؤُهُمْ ، مَرَابِطُونَ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ»^(٣) .

وليس هذا فحسب ، فـأَنَّ فَلَسْطِينَ أَرْضَ الْأَنْبِيَاءِ وَالصَّحَّابَةِ وَالْعُلَمَاءِ .
 فهذه الأرض المقدسة التي سار على تربتها الأنبياء والرسل إبراهيم واسحق
 ويعقوب ويونس وكذا موسى عليهم السلام وفيها دفنت ، وعيسى عليه السلام
 حيث رفعه الله إليه ومحمد صلى الله عليه وسلم حيث عرج إلى السماء . هذه

(١) سورة الأنبياء : الآية ٧١ .

(٢) سورة المائدة : الآية ٢١ .

(٣) رفيق التشه : المصدر السابق ص ٧ - ٨ .

الأرض التي شهد فيها الصحابة فتوحات الإسلام . فكان منهم الخليفة عمر بن الخطاب الذي فتح بيت المقدس ويرافقه من الصحابة أربعة آلاف صحيبي . وكان منهم أبو عبيدة بن الجراح القائد العام لجيوش المسلمين في بلاد الشام الذي أمر بمحصار بيت المقدس ، وخالد بن الوليد سيف الله المسلمون ، وسعید بن زید أحد العشرة المبشرين بالجنة ، ويزید ابن أبي سفیان ومعاذ بن جبل من قادة جيوش المسلمين ، وأبو هريرة عبد الرحمن بن صخر ، وبلال بن رباح الذي رفع الآذان بعد الفتح ، وأبو ذر الغفارى ، وسلمان الفارسى ، وأبو الدرداء ، وعمير وعبادة بن الصامت أول من ولى القضاء في فلسطين سكن بيت المقدس ودفن فيها ، وعمرو بن العاص السهمي ، وأبو اسحق سعد بن أبي وقاص أحد العشرة المبشرين بالجنة ، قدم بيت المقدس وأحرم فيه بعمره ، ومعاوية بن أبي سفیان ، وعبد الله بن عباس ، وعبد الله بن عمر بن الخطاب وعوف بن مالك بن عوف وغيرهم الكثير رضوان الله عليهم جميعا^(١) .

كما ظهر في فلسطين علماء وفقهاء أمثال مالك بن دينار في الأئمة الأعلام ، والأوزاعي عبد الرحمن بن عمر فقيه الشام ، وسفیان الثوری ، والإمام الشافعی محمد بن إدريس أمام أهل السنة الذي ولد بغزة وتوفى في مصر ، والغزالی الإمام زین الدين حجة الإسلام الذي صنف (إحياء علوم الدين) في بيت المقدس ، وكذلك ابن قدامة المقدسي المولود في القدس وابن حجر العسقلاني شارح صحيح البخاری^(٢) .

وكانت فلسطين مهوى أفتدة كثیر من أبطال العرب المسلمين ، فقد ذكر أن آلافا من صحابة رسول الله عليه الصلاة والسلام وتابعهم قد دفنا فيها ، ومن أشهرهم أبو عبيدة بن الجراح ومعاذ بن جبل والفضل بن العباس ، ومسلمه بن هاشم المخزومي ، وعبد الله بن الزبير ، والحارث بن عتیک ، وهراب بن أسود

(١) رفيق شاكر التنشة : الإسلام وفلسطين ، ص ١٠ - ١١ . وانظر كذلك الطبری وابن الاثیر . تاريخ الرسل والملوک . والکامل في التاريخ ، ومحی الدین الحنبلي : الأنس الجليل في تاريخ القدس والخليل .

(٢) أحمد سامح الحالدى : أهل العلم بين مصر وفلسطين ، القدس ١٩٤٦ .

المخزومي ، وهاشم ابن العاص بن وائل ، وكليب بن عمر القرشى ، وأبان ابن سعيد العاص وتميم بن الحارث ، وقيس بن الحارث ونعم بن عبد الله بن المقام .
وفي أرض فلسطين أعداد كبيرة من شهداء المسلمين وارتها الأرض هناك ، من معارك اليرموك وأجنادين ، وقد قدر عددهم بخمسة وعشرين ألف شهيد ، بالإضافة إلى شهداء الحروب الصليبية وحروب التتار وشهداء حروب المسلمين في بلاد الشام^(١) .

وفي ظل الإسلام انتعشت الحضارة في فلسطين ، فأنتجت كثيراً من العلماء والمفكرين والقادة والشعراء ، فإلى فلسطين ينتمي القائد الإسلامي الكبير موسى ابن نصیر فاتح الأندلس وكان من أبناء الخليل ، وإلى فلسطين ينتمي الأديب العالم وزير الدولة للبطل صلاح الدين ، القاضي الفاضل المولود بعسقلان ، وسُنَّا خليل بن أبيك الصنفدي الأديب والمؤرخ الإسلامي الشهير صاحب المؤلفات العديدة . وإلى قيسارية بفلسطين ينتمي رئيس فن الكتابة وشيخ الدواوين وسيد الإنشاء عبد الحميد الكاتب وزير الخليفة الأموي مروان بن محمد . وإلى فلسطين ينتمي العالم الكيميائي العربي خالد بن يزيد الأموي أول من نقل علوم الفرنجة إلى اللغة العربية في دول الإسلام^(٢) .

وينتمي إلى فلسطين أيضاً القاضي عمار الدين أحمد الكركي الذين تولى منصب قاضي قضاة الديار المصرية والملك شرف الدين الأيوبي المجاهد ضد الصليبيين ، والعالم الذي كانوا يطلقون عليه اسم المأمون الثاني . وإليها أيضاً ينتمي الشيخ مرعي الكرمي الذي تولى الإفتاء في الديار المصرية بالأزهر الشريف ، والشيخ محمد بن مصطفى اللبدى الفقيه العالم الذي تولى الإفتاء في حاضرة الشام بدمشق .

وإلى فلسطين ينتمي المئات بل الآلاف من الأدباء والشعراء العظام والقادات

(١) رفيق النشه : المصدر السابق ص ١٢ .

(٢) مصطفى مراد الدباغ : بلادنا فلسطين ق ٢ ح ٩، ١٠ ص ١٥٠ - ٢٠٠ وانظر كذلك . محي

الدين الخليل : الأنس الجليل في تاريخ القدس والخليل (جزءان) .

وإنك لواجدتهم في كتب التاريخ منتهية أسماؤهم بالصفدي (نسبة إلى صفد) والسعقلاني (نسبة إلى عسقلان) والمقدس (نسبة إلى القدس) وما ماثل ذلك . بل إن الإمام الشافعى صاحب المذهب المشهور الذى ولد في غزة كان فلسطينياً وكان يردد في شوق إلى بلاده بيتن شهيرين .

وإني لمشتاق إلى أرض غزة وإن خاتنى بعد المزق كثياني سوى الله أرضنا لو ظفرت بتربيتها لكتلت به من شدة الشوق أحلفاني^(١) .

ومهما يكن من أمر فإن الوجود اليهودي في فلسطين قد انقطع منذ عام ١٣٥ م حينما أحرق الإمبراطور الروماني هدريان هيكليم ومسح مدينة أورشليم وشتت أهلها ، ومنذ ذلك الوقت انقطعت صلة اليهود بفلسطين مدة ثمانية عشر قرنا متواصلة ، وتشتتوا في بقاع الأرض ، وانبو في شمال إفريقيا وفي آسيا وفي أوروبا . وعاشوا في هذه المجتمعات أحقابا طويلاً لا تربطهم بفلسطين أية صلة من قريب أو من بعيد . ولم يسكن فلسطين بعد عام ١٣٥ ولمدة ألف سنة يهودي واحد . كما لم يكن فيها في القرون الخمسة التي تلت المدة المذكورة أكثر من خمسين يهودياً^(٢) . ولم تقم لليهود قامة بعد حروب هدريان .

ومما يجدر ذكره أن المسيحيين قد اشترطوا على الخليفة عمر بن الخطاب أثناء تسليمهم مدينة القدس له ، عدم مساكنة اليهود لهم فوافق على ذلك ، ونصت الوثيقة العمرية على ذلك . ولذلك نجد أن اليهود قد انقطع وجودهم في فلسطين تماماً . في عام ١١٧٠ لم يكن في فلسطين إلا ثمانية يهود ، اثنان في حيفا وأربعة في القدس وآخران في بيت لحم ، وفي عام ١١٧١ أصبح عددهم ١٤٤٠ يهودياً.

وفي عام ١٢٦٧ لم يوجد إلا عائلتين يهوديتين في القدس ، وفي عام ١٤٨٩ أتى الطاعون على القلة القليلة من اليهود في القدس حتى أصبحت حالية من

(١) رفيق النشأة : الإسلام وفلسطين ، ص ١٢ - ١٣ .

(٢) مصطفى مراد الدباغ : بلادنا فلسطين ق ٢ ص ٩٦ ص ١ ص ٧٢ .

اليهود ، وفي عام ١٨٤٥ أصبح عددهم ١١ ألفاً وفي عام ١٨٨٠ لم يتجاوز عدددهم ٢٠ ألفاً وقت صدور وعد بلفور كان عددهم ٥٦ ألفاً أي بنسبة ٦٥٪ من السكان^(١).

ويرجع وجود هذه الأعداد من اليهود إلى تسامح المسلمين معهم والسامح لهم بالمجيء إلى القدس للعبادة ، فقد أضفت البلاد العربية والإسلامية حمايتها على اليهود ، وعاشوا في ظلها في أمان وسلام ، فيما كانت أوروبا تضطهد them كان لهم في العالم العربي والإسلامي مكان وثروة . ولكرة الإضطهاد الذي لاقاه اليهود في الدول الأوروبية نجد أنهم فروا منها ولجأوا إلى بلاد العرب والإسلام حيث كانوا ينعمون بالطمأنينة وراحة الإستقرار . ولو لا ذلك لباد اليهود كما باد غيرهم من بقایا الأمم القديمة . ولما أخذت ظروفهم تتحسن في القرن الماضي انقلبوا على المسلمين عامة والعرب خاصة ، وأعلنوا عليهم حرباً بلغت ذروتها في اغتصاب فلسطين وتشريد سكانها .

ومهما يكن من أمر ، فلم يجد اليهود تسامحاً وعيشاماً إلا في ظل الحكم الإسلامي ، فمنذ استعاد صلاح الدين مدينة القدس من الصليبيين ، إزداد عدد اليهود في فلسطين نتيجة لتسامح الإسلام ، وحسن معاملة المسلمين لليهود فاعتنق الكثير منهم الإسلام ، ودلت لأن اليهود لم يسلموا من الحملات الصليبية فقد تعرضوا لإضطهاد الصليبيين وبيعهم في أسواق الرقيق^(٢) . ونجم عن ذلك قلة اليهود في فلسطين أثناء الحملات الصليبية وبلغ عددهم ١٤٤٠ يهودياً فقط بينما يذكر البعض وجود عائلتين فقط^(٣) .

ولقد اتخذ اليهود العالم الإسلامي وخاصة الدولة العثمانية حمي وموئلي لهم من الإضطهاد الذي لاقوه في أوروبا ، فقد هرب إلى حمي الدولة العثمانية كثير من يهود إسبانيا (السفراديم) بعد طردهم منها عام ١٤٩٢ م^(٤) .

(١) رفيق النشة : المصدر السابق ، ص ٣٨ - ٣٩ .

(٢) إسرائيل كوهين : هذه هي الصهيونية ، القاهرة ١٩٥٦ ، ص ٢٦ .

(٣) هنري كتن : فلسطين في ضوء الحق والعدل ، بيروت ١٩٧٠ ، ص ٧ .

Yale, william : The Near East, London 1958 p.145

(٤)

وفي القرنين السادس عشر والسابع عشر هاجر إلى فلسطين لاجئون من اليهود وسط أوروبا أقاموا في الأماكن المقدسة لدى اليهود . (القدس ، الخليل ، صفد ، طبريا)^(١) ، وبلغت أعدادهم خمسة الألف فقط عندما غزا نابليون البلاد عام ١٧٩٩ ، ثم ارتفع عددهم إلى حوالي ستة آلاف في العام ١٨٣٩ مقابل ما يقرب من ٣٠٠٠٠٠ عربي ، أي أن نسبة اليهود لم تتعذر ٢٪ من مجموع سكان فلسطين ولم يتجاوز عدد اليهود في عام ١٨٨٠ عشرين ألفا . وفي عام ١٩١٨ بلغ عدد اليهود ٥٦ ألفا بينما بلغ عدد السكان العرب ١٨٢٧٥٧ أي أن نسبة اليهود تقارب ١٠٪ من مجموع السكان .

ويلاحظ على الجماعات اليهودية في فلسطين في العصر الحديث أنها نتيجة هجرات منعزلة إلى فلسطين إما هربا من الإضطهاد وإما عارض دوال اليهود الذين جاءوا للعيش في فلسطين لم يكونوا من نسل « يهود بور » من سلالة الأربعين الذين اعتنقوا اليهودية ، مما يؤكّد أن هجرة فلسطين واستيطانهم فيها قد غلت عليها اعتبارات « المهاجرين من المتقدمين في العمر ، والذين بالدفن في الأماكن المقدسة ، ولذا تركز نظر اليهود وهي القدس والخليل وطبريا »^(٢) . ولم ينطبق لا نظام الصدقات على اعتبار أن « ... ولم نوع من أنواع الإنتاج . وكان إسْتِيَّهم بدون جذور اقتصاديَّة ... يكُونُوا في فلسطين مجموعة متجانسة ، وإنما اختلفت أجنباسهم »^(٣) . وانقسموا إلى مجموعات متميزة لكل مجموعة عملها الخاص « ... على ماضيها واستبقيت موطنها الأصلي ، وحملت هذه المجمُّعات سياساتها ، وكانت هذه الجماعات اليهودية تتلقى حماية الدول - بإعتباره رعايا أوربيين - عن طريق قنصلتها لدى الدولة العثمانية »^(٤) .

(١) Bentwich , Norman : Palestine . (London 1946) pp. 42-43.

(٢) Government of palestine , Statistical Abstract of palestine 1941 , p.12.

(٣) Bullard , Reader : The Middle East (London 1958) p.285.

(٤) ولم فهمي : المиграة اليهودية إلى فلسطين ، ص ٢٠ .

ما تقدم يتضح أن المزاعم الصهيونية في وجود حق تاريخي لليهود في فلسطين لا تستند إلى أساس ، فالحقائق التاريخية كما أشرنا تنفي عن اليهود استمرار بقائهم في فلسطين بل تؤكد استمرارية الشعب العربي الفلسطيني وصلته بالأرض منذ فجر التاريخ . وليس كما يدعى اليهود بأن عرب فلسطين كانوا غزاة لها في أثناء الفتح الاممي وهو قول خاطئ ، لأن الوجود العربي بفلسطين (أرض كنعان) أسبق من الفتية الإسلامية فالعرب قوم سابقون على الإسلام منذ ٤ قرنا . ولكن الفتية الإسلامية صبغت البلاد بطابع إسلامي لغة وثقافة وتاريخاً ومصيراً وسادت في البلاد تأثير الحضارة العربية الإسلامية والتي استمرت حتى متتصف القرن العشرين . تزوجت الصهيونية من إقامة دولة الكيان الصهيوني على أرض فلسطين ١٩٤٨ بعد أن شردت قسماً كبيراً من العرب^(١) .

الذى يمس نفسه الآن لماذا لاق اليهود مذابح وإضطهاداً في إثباته إلى نشوء دولة اليهود ، ومحاولة زعماؤهم إيجاد حل لها على العربي والله يعلم

(١) محمد اديب العامري : عروبة فلسطين، التاريخ ، ص ١٥٦ .

الفصل الثاني

المشكلة اليهودية ونشوء الصهيونية

كانت جماعات قليلة من اليهود قد ظلت مقيمة في فلسطين بعد أن أصبحت جزءاً من الدولة العربية الإسلامية ، وكان معظمهم من المسلمين الذين اقتصرت رغبتهما على ممارسة شعائرهم الدينية ، وذلك إنطلاقاً من إيمانهم بفكرة بirth الدورة اليهودية في فلسطين بجذور معجزة إلهية ، يظهر معها المسيح المنتظر الذي سيعيد بناء « هيكل سليمان » ويقود العالم نحو الخير والسلام^(١) . وغداً مركزهم الرئيسي هو منطقة الجليل ، حيث أسسوا في فترة من الفرات مدارس دينية . ولكن مركز التجمع اليهودي ، كان قد انتقل إلى بلاد ما بين النهرين قبل الإسلام بعدة قرون ، وظل هنالك عندما خضعت تلك البلاد التي عرفها العرب باسم العراق للحكم العربي الإسلامي . ثم انتقل إلى إسبانيا ، وكانت وقتذاك تحت حكم العرب المسلمين أيضاً . وفي العصور الحديثة ، أصبح مركز التجمع اليهودي في شرق أوروبا ، وبخاصة في الأقاليم المحيطة بمدينة بنسلك Pinsk الروسية ، وهي تقع في أوكرانيا في أقصى غرب الاتحاد السوفيتي وقريبة من حدود بولندا ورومانيا والبحر الأسود . وبقيت الأقاليم المحيطة بمدينة بنسلك ، وتقع داخل دائرة مركزها هذه المدينة وقطرها ستمائة كيلو متر حوالها ، مركز تجمعات يهودية كبيرة في أواخر القرن التاسع عشر والعقود الأولى من القرن العشرين^(٢) .

وكان اليهود الذين نزحوا إلى أوروبا قد تعرضوا للإضطهاد منذ أيام الإمبراطورية الرومانية ، بسبب رفض الجماعات اليهودية المتدينة الإندماج في المجتمع الروماني . وبعد انتشار المسيحية في أوروبا ، لم يتوقف اضطهاد اليهود ، إذ

(١) أمين محمود عبد الله : « نشأة الترعة الإسليمانية في الفكر اليهودي الغربي خلال القرن التاسع عشر » مجلة العلوم الاجتماعية جامعة الكويت ، العدد الثاني في يوليو ١٩٧٩ ، ص ٩ .

(٢) السيد رجب حراز : صفحات من تاريخ الصهيونية وإسرائيل ، ص ١٣ .

اعتبر هؤلاء مسئولين عن دم السيد المسيح . وأكسبهم نشاطهم التجارى والمالى وما يتصل به من عمليات الاقراض والربا الفاحش وسلوكهم الذى يقضى باستغلال غير اليهود ، وذلك بسبب عقیدتهم التى جعلت اليهود يحملون عداء دائمًا لغيرهم من الناس ، وقد إمتلأت قلوبهم بالأحقاد نتيجة لتلك العقائد العنصرية المزيفة . ولذلك فقلما تمر فترة من الزمان إلا ورأيت اليهود يقومون بمذابح ضد غيرهم من الشعوب إذا ما واتهم الفرصة وتمكنوا من رقاب غيرهم مباشرة أو بوساطة حكام آخرين . كما وأنه قلما يمر زمن إلا وتقرأ عن مذابح لليهود على أيدي الشعوب الأخرى وذلك كرد فعل لنصرفاتهم وأحقادهم ضد تلك الشعوب وإستغلالاتهم . ولعل من أهم الدوافع إلى هذا الحقد الذى يدفع إلى القتل وسفك الدماء هي وصيthem الجامحة فى كتبهم الدينية (أهدم كل قائم ، لوث كل طاهر ، أحرق كل أخضر ، كى تنفع يهوديا بفلس)^(١) .

أثارت تصرفات اليهود سخط المجتمعات الأوروبية باعتبار أن تسلط اليهود التجارى وجشعهم المالى هما مصدر ما تعانىه الطبقات الكادحة من بؤس وفاقة . وقد صحب ذلك عدم الإطمئنان إلى ولاء اليهود واخلاصهم ، وبذلك اخذ اضطهاد اليهود فى أوروبا بظاهر الدفاع عن النفس^(٢) .

وتناول الإضطهاد الذى أصاب اليهود مظاهر شتى ، ففرضت عليهم قيود اجتماعية واقتصادية وسياسية ، وحرم عليهم إمتلاك الأراضى ومزاولة الكثير من المهن الحرة ، فضلا عن حرمانهم من الحقوق السياسية ، وعدم السماح لهم بالإقامة في بعض المدن ، مما ترتب عليه جميعه إنزال اليهود عن الحياة إنعزلاً كاملاً في أقاليم خاصة بهم ، بل وأقاموا في المدن في أحياء مخصصة لهم ، عرفت باسم «الجيتو» Ghetto . وفي معظم الحالات كانت تحيط بهذه الأحياء أسوار وحوائط عالية ، كان الدخول والخروج منها محظوظا ، إن لم يكن معدوما . وفي الحالات النادرة ، التي كان يتتجول فيها أحد أفراد «الجيتو» خارج الأسوار ،

(١) رفيق التتشة : الإسلام وفلسطين ، ص ٢٨ - ٢٩ .

(٢) السيد رجب حراز : صفحات من تاريخ الصهيونية وإسرائيل ، ص ١٣

فإنه لم يكن يحس بالأمان التام . إذ كان العالم خارج هذه الأسوار ، وهو مختلف تماماً عما هو داخلها ، عملاً لا يمكن أن يأمن له ، فهو فائز على أحسن الأحوال وممداد علىأسوأها . أما الطمأنينة والدفء فيها فقط داخل الأسوار . وحتى هذه الطمأنينة في الداخل فليست مطلقة ، وبين الحين والآخر قد يقتتحم العالم السارجي أسوار «الجيتو» ليهرب ويعتقل ويُعذب من هم داخل الأسوار . ولم يكن الإنزال داخل الأسوار مادياً فحسب ، ولكن كانت له مضاعفاته الإيجابية والنفسية^(١) .

ولعل مرد ذلك ، ما ارتكبه اليهود من جحود عبر التاريخ ضد المسيحيين ، في عام ٢١٤ قتل اليهود مئتي ألف مسيحي في روما وكل النصارى في قبرص . وإن زمن البابا كليان قتل اليهود في روما وخارجها جملة من النصارى بأعداد كبيرة . وفي عام ١١٥ م ذبح اليهود من المسيحيين ٢٠٠ ألف في ليبيا و ٢٤٠ ألف في قبرص . وفي عام ١٥٥ قتل الإمبراطور جميع النصارى في روما بناء على دسائس الخاتم «يهودا» . ولا غرابة في أن تقوم المذابح ضد اليهود كرد فعل لأعمالهم الوحشية والمذابح التي قاموا بها في المجتمعات التي يعيشون فيها ، ولباقي اليهود العديد من المذابح الإنقامية^(٢) . فبريطانيا طردتهم منذ أول القرن السادس للميلاد وبدعت دخولهم إليها مدة ثلاثة قرون . وفي فرنسا طرد اليهود وسيرق تلمودهم في عهد لويس التاسع عشر بسبب كيدهم للشعب الفرنسي كما طردو من إسبانيا والبرتغال وحرموا من الدخول إلى البلاد منذ عام ١٤٩٢ وذلك بسبب ما انتقوه بالمسحيين من ضرر ويسبب محاولاتهم هدم الكاثوليكية والهزيمة والبغضية منها وقد دام هذاطرد خمسة قرون . ولعل هذا يفسر موقف إسبانيا من عام اعترافها بإسرائيل حتى الآن . وقامت مذابح ضدتهم في روسيا وألمانيا مؤخرًا^(٣) .

(١) المصدر السابق ، ص ١٤ .

(٢) رفيق التشه : الإسلام وفلسطين ، ص ٢٨ - ٣١ .

(٣) المصدر السابق ص ٣١ - ٣٢ .

وفي الوقت الذي كانت فيه مذابح اليهود كثيرة الوقع في أوروبا ، كان اليهود يهدون في البلاد الإسلامية أطيب معاملة ، ويعتبرونها الملاجأ الآمن لهم ، وفتحت لهم المجال للعمل والعلم حتى وصلوا في بعض البلاد الإسلامية إلى مرتبة وزير . وهذا يرجع إلى تسامح الدين الإسلامي مع أتباع الديانات الأخرى . مما يدحض التهم التي يوجهها اليهود بأننا نحاربهم من أجل دينهم . وحقيقة الأمر أننا لا نحارب اليهود لأنهم يهود أو نحاربهم بسبب عقليتهم ، فالعالم الإسلامي والعربي وخاصة الفلسطينيون ليس عندهم تعصب مذهبي أو طائفي ، ولكن حينما يتحول اليهود إلى صنهاينة يستولون على الأرض وينتهكون العرض ، فعندئذ سيحاربهم العالم الإسلامي بعامة والعالم العربي بشخصية ، وسينكرون الفلسطينيون الذين ذاقوا مراارة النكبة منهم أشد الناس حربا لهم .

وعلى العموم ، فقد ظل اليهود موضع احتقار وكراهية المجتمعات الأوروبية حتى أواخر القرن الثامن عشر ، حين ظهرت معانٍ جديدة في الحياة الإنسانية ، كنتيجة لانتشار مبادئ الحرية والمساواة والإخاء في أعقاب الثورة الفرنسية ، وما ترتب على ذلك من تأكيد حقوق الإنسان . وهيأً هذا الجو الفكري الذي غمر أوروبا فرصة لتحرير اليهود وانطلاقهم من « الغزلة والإقطاء » إلى « التحرر والإندماج » مع المجتمعات التي يعيشون بين ظهرانيها . ومنذ أواخر القرن الثامن عشر وأوائل القرن التاسع عشر ، اختفت الإضطهادات ضد اليهود في غرب أوروبا ، أو قلت إلى حد كبير . وباختفاء الإضطهاد والتفرقة في غرب أوروبا ، تكسرت الحاجز التي كانت تفصل بين اليهود وغيرها ، مما سهل عمليات التفاعل والانصهار الإجتماعيين وتحطم نظام « الجيتو » .

وهكذا تحسنت أحوال اليهود في أوروبا الغربية ، وأصبحوا دستوريا واقتصاديا مواطنين عاديين بعد إلغاء القوانين المقيدة لحياتهم منذ عام 1791 في فرنسا ، ثم في معظم الدول الأوروبية . وقد ساعد التجمعات اليهودية في غرب أوروبا على التحرر والإندماج ، اتجاه مجتمعات أوروبا الغربية نحو العلانية ،

وفصلها بين الدين والدولة ، وإعتناقها للمبادئ الليبرالية والديمقراطية التي
هيمنت على الفكر السياسي الأوروبي الحديث^(١) .

أما التجمعات اليهودية في شرق أوروبا ، فقد ظلت – شأنها شأن الأقليات في
روسيا القيصرية – ترزح تحت وطأة التمييز والإضطهاد المستمر من جانب
القياصرة الروس . وكان إغتيال قيسار روسيا إسكندرًا الثاني في ١٣ مارس
١٨٨١ ، والذي حملت السلطات الروسية اليهود مسؤولية اغتياله ، هو الشرارة
التي أشعلت جذوة الأعمال المعادية لليهود ، أو ما أطلق عليه «حركة معاداة
السامية» The Anti-Semitic Movement . فلم تمض بضعة أسابيع على إغتيال
القيصر ، حتى فتحت أبواب الجحيم على مصاريعها لتبتلع اليهود^(٢) . وانتشرت
حركة إضطهاد اليهود من روسيا إلى بولندا ورومانيا . وكان من أبرز مظاهر هذه
الحركة في روسيا ، مذبح كيشينيف Kishinev عام ١٩٠٣ ثم مرة أخرى عام
١٩٠٥ بواسطة الحكم القيصري ضد يهود المدينة والمناطق المجاورة . وبقى وضع
اليهود في شرق أوروبا على هذا الحال من الإضطهاد والتعذيب إلى نشوب الثورة
البلشفية (١٩١٧) ، الأمر الذي أوجد ما عرف «بالمشكلة اليهودية» ، ويقصد
بها إمكانية بقاء اليهود دون إضطهاد في المجتمعات التي يعيشون فيها^(٣) .

والحقيقة أن هذه المشكلة لم يشعر بها يهود شرق أوروبا ، حيث سادت حياتهم
العزلة والإضطهاد . أما يهود غرب أوروبا فكانوا قد خطوا خطوات واسعة نحو
الإندماج في المجتمعات الغربية ، وأصبح من حقهم أن يتولوا وظائف الدولة وأن
يزاولوا من الأعمال ما يشعرون ، وأن يسكنوا حيث يريدون . وبلغ الأمر أن
أصبح أحد اليهود رئيساً للوزراء في إنجلترا ، وهو بنiamin Disraeli ذرائيلي
ونشأت بيوت مالية لهم في فرنسا وإنجلترا ، من أكبرها بيت روتسيلد
Rothschild ، وأصبح لهم شأن كبير في الحياة الاقتصادية والمالية^(٤) .

(١) السيد رجب حراز : صفحات من تاريخ الصهيونية وإسرائيل ، ص ١٦ .

(٢)

Roth, C.: A short History of the Jewish People, p.386.

(٣)

Tbid.

(٤) حراز: المصدر السابق ، ص ٦٧ .

وانبرى اليهود - وهم بارعون في فن الدعاية والإعلام - في تجسيم صورة الإضطهاد الذى لاقوه حتى جعلوا الباحثين والمورخين والكتاب يعتقدون أنه لم يكن في تاريخ الحياة الأوربية على مدى هذه الأجيال ما هو افظع وأشنع من المظلم الذى حلت به اليهود . وانطلقت صيحات من أنحاء مختلفة من أوروبا تناولت بجمل مشكلة اليهود وذلك بعودتهم إلى أرض الميعاد أي فلسطين واحتوت هذه الصيحات الصهيونية وجسدها إلى واقع عملى ملموس .

الصهيونية :

الصهيونية Zionism نسبة إلى صهيون ، وهو أحد التلال أو الجبال التي تقوم عليها مدينة القدس القديمة . وهو اسم كنعاني في الأصل وقد ورد ذكره في التوراة والإنجيل . وكان غرض اليهودية العالمية من اختياره ، هو إثارة الشعور الدينى والعنصرى في يهود العالم وإكتساب تأييد العناصر المسيحية الغربية وعطافتها^(١) .

والصهيونية حركة عنصرية سياسية استعمارية أسبغت على اليهودية صفة القومية والدلالة الجنسية^(٢) ، وزعمت أن الشعب اليهودي يكون عرقاً نقياً^(٣) ، ونادت بحل لما أسمته « بالمشكلة اليهودية » فعارضت إندماج اليهود في أوطانهم الأصلية ، ودفعهم للهجرة إلى فلسطين ، زاعمة أن لهم فيها حقوقاً تارikhية ودينية ، وتلاقت مطامع الصهيونية بأهداف الاستعمار في إقامة دولة يهودية^(٤) فلسطين عن طريق إرهاب وطرد شعبها العربي الأصيل^(٥) .

وتشتمل الصهيونية أصولها من الفكر الصهيوني النابع من عقائد الثورة وشرائع التلمود ، تلك العقائد التي جعلت المستعمرات على مدار التاريخ يسعون

(١) السيد رجب حراز : صفحات من تاريخ الصهيونية وإسرائيل ، ص ١ .

(٢) فايز صايغ : الاستعمار الصهيوني في فلسطين ، بيروت ١٩٧٣ ، ص ٣ .

(٣) يوري إيفانوف : احذروا الصهيونية ، ترجمة أحمد داود ، بيروت ١٩٧٢ ، ص ٨٧ . وقد ذكر إيفانوف أن ناخوم سوكولوف أعلن بصرامة : « ليس ثمة أجناس نقية نقاوة بطلقة ولكن اليهود دونما ربب هم أنقى أمة بين أمم العالم المتقدمة » .

(٤) ولم فهمي : الهجرة اليهودية إلى فلسطين المحتلة ، القاهرة ١٩٧١ ، ص ٢٢ .

لاستغلال اليهود وتوريتهم للعودة إلى ما يسمونه زوراً وبهتان أرض الميعاد ، كما جعلت اليهود في العالم يحملون عداء دائماً لغيرهم من الناس . كما تستمد الصهيونية حيوتها من ارتباط الفكر الصهيوني بعقائد دينية وعنصرية ثابتة في آذانهم ^(١) . فالصهيونية كعقيدة وفكرة قديمة تتصل باليهود ودينهم ومعتقداتهم وهي جزء من تفكيرهم ، وإن كان القرن التاسع عشر قد أعطى للفكرة شكلها التنظيمي والعلني وطبعها بالطابع السياسي ، إلا أن الأفكار التي تدعوا إلى إقامة دولة يهودية في فلسطين سبقت ذلك التاريخ بكثير بصورة خفية وغير معلنة ، وتناقلتها الأجيال المتعاقبة في ظل التشتت بخرافات وأوهام مبنية على حكايات اصطباغت بصبغة دينية ^(٢) . ويؤكد ذلك قول دافيد بن غوريون عن الصهيونية : « لم تكن الصهيونية مجرد نظرية شاملة أو مفهوماً فلسفياً أو دينياً ، مستقلة عن الزمان والمكان أو الظروف ، بل كانت في الواقع فلسفة يهودية ، هي في جوهرها نضال ضد الإندماج » كما ذكر ليوناردشتين Leonard stein في كتابه « تصريح بلفور » ما يلي : « إن الأصول الفكرية للصهيونية قديمة قدم الشatas اليهودي ، ولكنها بوصفها حركة منتظمة ، إنما تبدأ في عام ١٨٩٧ .. ^(٣) وعلى ذلك ، فإن الصهيونية هي الإمتداد الطبيعي والتطور التاريخي لليهودية . وذلك لأن دعوة الصهيونية قد جعلوا من التلمود أساساً للدولة وفلسفتها . وتقوم الفلسفة الصهيونية على الأفكار الآتية :

١ - اليهود شعب الله المختار فأرواح بني إسرائيل تتميز عن باقي الأرواح بأنها جزء من الله ، والأرواح الأخرى أرواح شيطانية شبيهة بأرواح الحيوانات ، والإسرائيلي يعتبر عند الله أكثر من الملائكة ^(٤) . ويمكننا القول هنا أن هذه الفكرة جعلت من اليهود فئة متعصبة وقد عرفوا بهذه الصفة منذ أن نزلوا بأرض كنعان ، والدليل على ذلك نزعهم الإنعزالية التي بدت واضحة في تصرفاتهم

(١) عمر رشدي : الصهيونية دربينا إسرائيل ، القاهرة ١٩٦٥ ط ٢ ، ص ٢٢ .

(٢) سالم الكسواني : المركز القانوني لمدينة القدس ، عان ١٩٧٧ ، ص ٤٣ .

(٣) السيد رجب حراز : المصدر السابق ، ص ١ - ٢ .

(٤) محمد طلعت الغنيمي : قضية فلسطين أمام القانون الدولي ، الأسكندرية ١٩٧٦ ، ص ١٧ .

عندما دخلوا مصر مهاجرين سنة ١٦٥٦ ق . م إذ نجد يوسف عليه السلام يبكي لأهله إقامة بعيدة عن الإحتلال بالشعب المصري ويحتفظ لهم بنوع "ن الإستقلال في معيشتهم رغم ما لا قوه من ترحيب من فرعون مصر ، وهذا ما نلاحظه أيضاً في ظل الحكم العربي الإسلامي ، فالرغم من تسامح المسلمين مع اليهود وهو ما يشهد به المستشرقون وحتى اليهود أنفسهم ، نجد أن اليهود عاشوا في عزلة في مختلف الأقطار العربية^(١) .

فالصهيونية تصور اليهود على أنهم أمة واحدة وشعب واحد وجنس واحد ، وعدم اختلاط اليهود بالشعوب الأخرى إنما مرده رغبتهم في الإبقاء على وحدتهم . وإدعاء الصهيونية فكرة النقاء الجنسي لليهود ، وأن اليهود هم النسل المباشر لليهود التوراة ، إنما قصد بذلك تبريراً للعودة إلى أرض الميعاد^(٢) .

وتحاول أجهزة الإعلام الصهيونية إضفاء صفة العرق أو الجنس على اليهود المنتشرين في العالم وربطهم عرقياً بالجنس السامي ، ويعتبرون أن من يحاربهم يحارب الجنس السامي ويطلقون عليه « لا سامي » . وهذه التهمة « اللاسامية » أو « معاداة السامية » أصبحت الشبح الذي يخيفون به كل من يتجرأ على كشف أباطيلهم وأعيبهم .

وإذا سلمنا بأن أكثرية اليهود في بعض البلاد العربية هم من أصل سامي ، فليس معنى ذلك أن جميع يهود العالم من أصل سامي . فهناك اليهود الأوروبيون ، وهناك اليهود الأمريكيون ، وهناك اليهود الأفريقيون وهناك اليهود المغاربة المنتشرون في أوروبا الشرقية والإتحاد السوفيتي .

ويشارك اليهود في لون البشرة ولون الشعر والسمة مع مواطنى الدولة التي يعيشون فيها ، فاليهود في أوروبا كالأوربيين ، ويهود أفريقيا كالمغاربة ، الأفريقيين ، ويهود البلاد العربية كالعرب في الشكل واللون والسمة .

(١) سالم الكسواني : المركز القانوني لمدينة القدس ، ص ٤٣ .

(٢) وليم فهمي : الهجرة اليهودية إلى فلسطين المحتلة ، ص ٣٠ .

ومن المعروف تاريخياً أن اليهود الأوروبيين واليهود الأمريكيين ويهود المزير (في الإتحاد السوفيتي وأوروبا الشرقية) لا ينتهيون بأية صلة قرابة إلى يهود البلاد العربية ولا تجمعهم لا عادات ولا تقاليد ولا لغة ولا شكل مشترك بأى صورة من الصور ، وإنما يربط بينهم الدينية اليهودية .

وإذا كان يهود البلاد العربية من أصل سامي ، فليس معنى ذلك بأن لهم الحق بأى شكل من الأشكال في فلسطين ، فيهود اليمن هم مواطنون يمنيون ويهود العراق مواطنون عراقيون ويهود مصر مواطنون مصريون كما أن يهود فلسطين هم مواطنون فلسطينيون ومن هنا فليس هناك سند قانوني أو شرعى أو تاريخي لأى يهودى عربي (ناهيك عن اليهود غير العرب) للمطالبة في فلسطين ب مجرد أن داود سليمان عليهما السلام أقاموا دولة منذ عدة الآف من السنين . فصلة العرب منذ ستة الآف سنة قبل الميلاد إلى اليوم لم تقطع عن فلسطين بالرغم من الموجات الأجنبية التي مررت عليها بما فيها الموجة العربية التي لم تدم على بعض أجزاء منها أكثر من سبعين عاماً متصلة . فقد انقسمت دولة سليمان عليه السلام إلى قسمين : يهودا في الجنوب واسرائيل في الشمال وحاضرتها القدس^(١) .

وتبرز عدة تساؤلات عند مناقشة النقاء الجنسي لليهود :

- أولاً : هل لم تعرف الديانة اليهودية تحول غير اليهود وإعتناقهم اليهودية ؟
- ثانياً : وهل لم يتم اختلاط اليهود بغيرهم من الشعوب التي عاشوا بين ظهرانيها ؟
- ثالثاً : ما رأى الدراسات الأنثropolوجية في يهود اليوم ، وهل يمثلون حقاً جنساً نقياً ؟

يقول يوسفيوس Josephus المؤرخ اليهودي الكبير ، إن يهود أنطاكية Antioch قد هودوا الكثير من غير اليهود ، وتحول إلى اليهودية الكثيرون في القرن الثاني الميلادي^(٢) .

(١) رفيق التنشة : الإسلام وفلسطين ، ص ٢٦ - ٢٧ .

Ripley , william z: The Races of Europe , (London 1899) p.391.

(٢)

واعتنقت اليهودية شعوب مختلفة من اليهودين ، وملكة سبا ، والذين هودوا من الرومان حملوا العقيدة اليهودية إلى إيطاليا وفرنسا ووادي الرون وحوض الرين والتحول الجماعي للقبائل الجرمانية نشر اليهودية في وسط أوروبا وشرقها وخاصة في بولندا وشرق روسيا ، كما أن التحول إلى اليهودية قد تخطى كل العقبات حتى في العصور الوسطى والحداثة .

وأكبر اعتناق لليهودية هو تحول قبائل الخزر ، فقد اعتنق الخان « بولان » اليهودية حوالي عام 740 وتبعه النبلاء ثم الشعب ^(١) . وقد قوى نفوذ اليهودية في دولة الخزر ، ولاقت من شعبيها التشجيع والمساندة . وحمل التجار الخزر الديانة اليهودية إلى شواطئ الفستولا والفولجا ، وبعد زوال دولة الخزر انتشر يهودها فيما عرف بروسيا ، وفي شرق أوروبا ، والبعض منهم اتجه شمالاً وانضموا إلى الجماعات اليهودية في كييف ولاد بعضاً يهود الخزر إلى القوقاز وكثيرون منهم بقوا في القرم والبحر . وقد اعترف المؤرخون اليهود أنفسهم بأن الخزر هم الأسلاف المباشرون ليهود شرق أوروبا ^(٢)

ومنذ أقدم العصور اختلط اليهود بالأراميين والحيثين والفلسطينيين والأموريين ^(٣) . وهذا الاختلاط يرويه لنا العهد القديم في أسفار يوشع وصموئيل والملوك ، فأسرة داود مثلاً كانت من أصول مؤابية . ولم يرجع كثير من اليهود من النبي البابل ، بل فضلوا البقاء في بابل ، كما عاد مع المسيسين كثير من غير الإسرائيليين الذين اعتنقا اليهودية في بابل ^(٤) .

وليس هذا فحسب ، بل تم الزواج المختلط بين الإسرائيليين وسكان فلسطين الأصليين ، فيروى سفر القضاة (٣ : ٥ : ٦) سكن بنو إسرائيل وسط الكنعانيين والحيثين والغزيرين والحوبيين والبيهسيين ، واتخذوا بناتهم (هذه الشعوب) لأنفسهم نساء واعطوا بناتهم لبنيهم وعبدوا آلهتهم . وهذا يؤكّد

Lilienthal, A: what price Israel? p.220

(١)

Ibid. p. 222

(٢)

Haddon, A.C.: The Races of Man (Cambridge 1929) pp. 24,99.

(٣)

Lilienthal, A: op: cit., P. 213

(٤)

الحقيقة التاريخية وهي أن يهود التوراة لم يبق منهم أحد بل اندمجوا في المجتمعات القديمة التي عاشوا بين ظهرانها .

وحرمت الكنيسة المسيحية الزواج المختلط بين المسيحيين واليهود ، فالمجالس الكنسية في طليطلة Toleds في عامي ٥٣٨ و ٥٨٩ وكذلك في روما عام ٧٤٣ قد وضعت القيد والقوانين التي تحرم الزواج المختلط وفي هذا دلالة على أنه كان أمرا شائعا في ذلك الوقت ، الأمر الذي دعا إلى فرض القيد على الزواج المختلط . ومع هذا لم تراع القوانين الكنسية التي حرمت الزواج المختلط ، ولذا فإن رئيس أساقفة المجر قد شكا في العام ١٢٢٩ من أن تحولات تم بالآلاف من المسيحية إلى اليهودية^(١) .

وفي متصف القرن الخامس عشر كان الزواج المختلط ظاهرة عادبة في حياة اليهود ، واتسع نطاقه في القرن التاسع عشر عندما أقرت أغلب الدول الزواج المدني ، فتزايد الزواج بين يهود غرب أوروبا وأمريكا ، فبلغت نسبته ثلثي حالات الزواج التي تمت بين اليهود في إيطاليا ، وفي عام ١٩٣٠ بلغت نسبة الزواج المختلط ٦٠٪ من إجمالي حالات الزواج بين اليهود في ألمانيا ، كما كانت نسبته مرتفعة كذلك في أمريكا^(٢) .

ولا شك أن الرعم بان الدين اليهودي كان مقصورا على بنى اسرائيل زعم باطل ، فقد انتشر الدين اليهودي قبل الإسلام بقرون عديدة في جهات مختلفة من الجزيرة العربية وخصوصا في اليمن . ومن المسلم به أن اليهود بذلوا جهودا عظيمة لنشر دينهم بين الأمم في أثناء العهود الوثنية ، كما أن أجداد يهود فلسطين الأصليين قد تحول عدد كبير منهم إلى المسيحية ، وعدد أكبر إلى الإسلام وكثيرت حالات الزواج من غير اليهوديات بعد السبي البابلي وبعد انتشار اليهود في أوروبا ، كما كثرت حالة المزاج البشري الذي ينفي اسطورة العرق التقى .

والواقع أن اليهود يتمون إلى عدد كبير من السلالات ، وهم يشبهون

Riply , w.: op. Cit., p. 391 - 392

(١)

Roth , C.: The standard Jewish Encylopedia (Jerusalem 1926)p.9G4

(٢)

الجماعات التي يعيشون وسطها ، والذين يزعمون أن اليهود جميعاً من سلالة إسرائيل ، هو زعم باطل من أساسه لأنهم لو وقفوا هنئه يتأمرون هذا الوهم لو كان صحيحاً ، لكن اليهود في جميع أنحاء العالم متشابهين في السمعة والمنظر والتقطيع ، لأن قانون الوراثة يقضي حتى بأن الفروع تشبه الأصل وتتشابه فيما بينها تشابهاً شديداً . ولو نظرنا إلى اليهود في مختلف أقطار العالم اليوم لوجدنا بينهم الشقر والسمر والسود . وهذا يدحض ادعائهم كما دحضها علماء الجنس الذين أشرنا إليهم آنفاً .

ولا حاجة إلى القول بأن اليهودية دين وليس قومية ، شأنها شأن الأديان السماوية كال المسيحية والإسلام ، كما أن دعوى القومية اليهودية لا تستند إلى أي أساس ، فيهود العالم في القرن التاسع عشر كانوا يفتقدون إلى كافة مقومات القومية المتعارف عليها :

- ١ - فلا يوجد بينهم تاريخ مشترك أو تراث حضاري مشترك .
- ٢ - ولا تجمعهم لغة واحدة مشتركة ، بل كانوا يتحدثون في غالبية الأحوال لغات البلاد التي عاشوا على أرضها ، باستثناء فريق من يهود الرين الأوسط وروسييا وبولندا ، والذين كانت لهم لغة متميزة هي اليديش Yiddish أو الجوديš دويتش Deutsch . فهذه كانت لغة أدب وثقافة . أما العبرية فكانت لغة ميتة منذ ألفى عام إلى أن عملت الصهيونية على إحيائها في إسرائيل .
- ٣ - وتحتختلف عاداتهم وتقاليدهم وفقاً للمجتمعات التي نزحوا إليها .
- ٤ - ولم يعشوا كمجموعة فوق أرض واحدة فترات طويلة ، بل هاجروا إلى أرجاء المعمورة المختلفة منذ وقت مبكر يرجع إلى بدايات التاريخ اليهودي .
- ٥ - ولم يكن يربطهم في القرن التاسع عشر سوى الشعور بالتضامن الذي خلفته ذكريات الاضطهاد خلال قرون متعاقبة ، وأمل العودة إلى أرض الميعاد من الدياسبورا Diaspora أي أراضي الشتات أو المنفى^(١) .

(١) السيد رجب حراز : صفحات من تاريخ الصهيونية وإسرائيل ، ص ٣٧ - ٣٨

ومهما يكن من أمر ، فإن الصهيونية واليهودية صنوان لا يفترقان ، وإن كانت الصهيونية قد تحولت إلى حركة سياسية وتعاونت مع الدول الاستعمارية عليها تتحقق ما تزيد . وقد نجحت في ذلك . غير أن الكثرين من الصهيونيين يعرفونحقيقة الأمر وهو أن الدول الاستعمارية أقامت إسرائيل لتحقيق من خلال وجودها (أى إسرائيل) مصالحها الاستعمارية . ومن جهة أخرى ، فإنها لا تسمح لإسرائيل بالتوسيع إلا إذا كان ذلك التوسيع يخدم مصالح الدول الاستعمارية . وانطلاقاً من هذا المفهوم فإن اليهود المتدينين لا يستطيعون الاعتماد على أنفسهم في الحافظة على كيانهم لو لا ما يلقونه من دعم أجنبى وخاصة من قبل الولايات المتحدة الأمريكية . ولذلك فإن هذا الكيان الإسرائيلي لن يعمر طويلاً ، وقد بدأ التآكل يدب في جسده من الداخل فقد ظهرت التناقضات الإجتماعية المختلفة من فاته ولم يبق إلا أن يتحد العرب والمسلمون في قيادة عسكرية واحدة لتحرير بيت المقدس كما حررها من الصليبيين البطل صلاح الدين الأيوبي .

واستندت الصهيونية منذ نشأتها في النصف الثاني من القرن التاسع عشر على ثلاثة ادعاءات من أجل المطالبة بفلسطين وانتزاعها من أيدي أصحابها العرب ، وهذه الادعاءات الثلاثة هي :

أولاً : الوعد الالهي لأسباط إبراهيم بأرض الميعاد : وتقوم الدعوى الصهيونية في فلسطين أساساً على ما يسمى « بالوعد الالهي » لابراهيم منذ أربعة آلاف سنة ، حيث جاء في التوراة إلى « نسلك أعطى هذه الأرض من نهر مصر (النيل) إلى النهر الكبير (نهر الفرات) » واتخذت الصهيونية من هذا الوعيد سندًا رسمياً لها نسجت حوله التفسيرات والأساطير الواسعة ، لتجنيد جماهير اليهود في تحقيق مخططاتها السياسية ، مدعية أن عبارة « نسل إبراهيم » تعنى أولئك الذين يعتقدون اليوم الديانة اليهودية دون سواهم ، سواءً أكانوا من نسل إبراهيم أم لا .

وقد دحض مشاهير العلماء والباحثين هذا السند المقطوع لأسباط إبراهيم بأرض الميعاد ، فاكذبوا خطأ تصور اليهود لهذا الادعاء ، لأن عبارة نسل إبراهيم

تشمل دون شك العرب لأنهم من ذرية إبراهيم عن طريق ابنه اسماعيل من زوجته هاجر . زد على ذلك أن الوعد قد قطعه الله لنسل إبراهيم قبل مولد اسماعيل واسحق .

ومن جهة أخرى ، فليس من المعقول القول بأن اليهودي لابد أن يكون من نسل إبراهيم ، ذلك أن كثيرا من اليهود في التاريخ القديم والحديث كانوا يتحولون إلى اليهودية من عنصر آخر .^(١)

ويقول جيوم Alfred Guillaume^(٢) إن الآشوريين حين أزاحوا سكان السامرة وأذاجوا سكان يهودا ، رأى الأنبياء الإسرائييليون في هذه النكبات تحقيقا للعدالة الالهية على شعب عاصى متمرد على الناموس (أى جبريل عليه السلام) ولكنهم علموا شعبيهم أن بقية منهم سوف تعود . وعاد اليهود بالفعل من حيث أتوا وأعادوا بناء الهيكل ، ولم يلبثوا أن مارسوا فترة قصيرة من الاستقلال السياسي ، وبذلك تكون نبوءة العودة قد تحققت ولا يمكن أن تتحقق ثانية ، ولا تشمل التوراة على بنوءة بالعودة الثانية ، بعد عودة اليهود من الأسر البابلي ، هذا فضلا عن أن آخر أنبياء اليهود قد مات قبل تدمير الهيكل عام ٧٠ م بقرون .

ثانيا . حق اليهود التاريخي في فلسطين .

تدعى الصهيونية بأن لليهود حقا تاريخيا « وعلاقة تاريخية » بفلسطين ، اذ كانت لهم فيها دولة ازدهرت في عهد داود وابنه سليمان . وتناسى الصهيونية أن مملكة داود سليمان لم تدم إلا ما يقرب من ثلاثة وسبعين سنة من عام ١٥٥٦ إلى عام ٩٣٣ ق . م ، كما أن مملكتي اسرائيل وهيذا اللتين ورثنا مملكة سليمان ، لم تشمل كل فلسطين ، بل اقتصرنا على ما حول السامرة واورشليم وما جاورهما من قرى ، فضلا عن أن دورهما في التاريخ السياسي اليهودي كان محدودا للغاية فقد

(١) السيد رجب حراز : المصدر السابق ، ص ٣٢

Guillaume, A.: Israel according to Holy scriptures , (London 1961)

(٢)

اندمجت اسرائيل في الإمبراطورية الأشورية عام 722 ق. م وسقطت يهودا « في يد البابليين عام 586 ق. م . وتناسى الصهيونية كذلك أن فلسطين عربية منذ أربعة عشر قرنا ، وأن اليهود قد غادورها للمرة الأخيرة منذ ألفي عام ، ومنذ ذلك التاريخ لم يبق لليهود فيها أية صلة سياسية أو علاقة تاريخية أو وضع قانوني وأنها أصبحت منذ ذلك الزمن البعيد بسكانها وأثارها وحوادثها وتاريخها للذين تملكوها واحتفظوا بها وحافظوا عليها .

وغمى عن البيان أن العلاقة التاريخية المزعومة للاسرائيليين مع فلسطين كانت في أحسن الأحوال علاقة قصيرة متقطعة غير مستقرة ، بدأت واندثرت منذ وقت طويل ، وهي في الأصل لا تقوم على شيء أفضل من حق الاحتلال الناجم عن الغزو . وإذا كان هذا « الاحتلال المؤقت » يمكن أن يعطى اليهود حقا تاريخيا في العودة إلى فلسطين فحيثند يتحقق للعرب أن يطالبوا بجميع الأقطار والأقاليم التي خضعت لسلطانهم قديما وامتلاك إسبانيا التي أنشأوا فيها دولة ذات شأن طوال ثلاثة قرون زاهرة متواصلة ، ويتحقق للأتراء أن يطالبوا بامتلاك البلقان حتى أبواب فيينا وغير ذلك من الأمثلة كثيرة . ولكن في ذلك رجوعا إلى الفوضى والاضطراب والنزاع مما لا يقبله منطق ولا يؤيده قانون .

ثالثا : القومية اليهودية : يزعم الكتاب الصهيونيون أن الحركة الصهيونية هي أحدي ثمار الحركات القومية الحديثة ، وتنتمي إلى هذه الحركات التي عرفتها أوروبا في العصر الحديث ، كما تستمد جذورها من التاريخ السحيق في نفس الوقت . ويردد هؤلاء الكتاب أن اليهود يمثلون جنسا نقيا لم يدخله عنصر غريب منذ نزحوا عن فلسطين إلى بلاد أخرى . وقد فندت هذه الأقوال في موضع سابق من البحث .

وفيها يتعلق برأي الدراسات الأنثروبولوجية في يهود اليوم ، فقد أعلن الاتحاد الأمريكي للأنثروبولوجيا عام 1938 أن لفظ « سامي » إنما هو تعبير لغوى ليس له أي مدلول « جنسى » Racial وأنه ليس هناك جنس يهودى⁽¹⁾ .

⁽¹⁾ *Milenthal, A.: what price Israel? pp. 213-214*

ويرى الانثروبولوجي فردرريك هيرز Friedrich Herz أن اليهود يتكونون من أجناس مختلفة، كما أن حسين بيتراد Eugene Pittard يرى في كتابه الجنس والتاريخ Race and History أن اليهود يتكونون من عناصر مختلفة جداً وليس هناك شيء اسمه «جنس يهودي»، فاليهودية عقيدة دينية لها أتباع من كل الأجناس البشرية^(١).

ويرى Ripley أن أصول اليهود لم تعرف النقاء الجنسي وأن يهود اليوم لا يكونون جنس واحداً^(٢)، ويشاركه هادون Haddon في هذا الرأي فيرى أن اليهود الذين يتكونون من أصول مختلفة لا يمكن أن يقال عنهم أنهم جنس نقى^(٣).

ويقول سامي هداوى حول نقاط الجنسى اليهودى ما يلى : أن هناك اختلافاً كبيراً بين الصفات الجسمية لليهود وفي فصائل الدم أيضاً ، وهذا يرجع إلى عدم توحيد الجنس وتناقضهم^(٤) . كما أن اليهود لا تتطبق عليهم صفة القومية لأنهم لا يشكلون أمة إذ لا تجمع اليهود أرض واحدة ولا لغة واحدة ولا تاريخ واحد^(٥)

والصهيونيون أنفسهم في عهد اضطهاد الهاتلرى نادوا بأن اليهود لا يؤلفون عنصراً نقى ، بل يتكونون من عديد من السلالات البشرية المتناقضه وذلك في مجال دحض الحجة التي استندت إليها النازية في اضطهادهم.

وهكذا يبدو تهاافت ادعاءات الصهيونية في فكرة الشعب اليهودي ونقائه الجنسي ، كما يتضح مما تقدم كيف توجه فكرة الجنس اليهودي حسب المصالح والأهواء الصهيونية ، فإذا رأوا في نفسها ما يحميهم من اضطهاد النازية أنكروها ونفوها ، وإذا احتاجوا إليها لتدعمهم مزاعمهم في فلسطين قاموا بـنادون بها رغم

(١) وللمزيد : المиграة اليهودية إلى فلسطين ، ص ٣٤ .

Ripley , w: op. cit., pp. 392, 400

(٢)

Maddon , A.C.; op. Cit., p.2.

(٣)

Hadawi , sami: palestine ,(Cano 1965) pp. 16-17

(٤)

(٥) سالم الكسواني : المركز القانوني لمدينة القدس ، ص ٧١ .

مخالفتها للحقائق العلمية والتاريخية^(١) وبذلك نكون قد فنّدنا بصورة علمية اليهودية وتناقضها مع الحقائق العلمية التاريخية مما ينفي بشكل مؤكّد ادعاءاتهم المزعومة . وستتابع بعد ذلك وصف الأفكار التي استندت إليها الفلسفة الصهيونية وتفصيلها .

ثانياً : الدنيا بأسرها ملك لليهود والمن حقه أن يتسلط عليها بوصفه مساو للعزّة الالهية^(٢) ، ومن الأمثلة التي توضح لنا هذه الفكرة ما ورد في الرد الذي بعث به المجتمع اليهودي العالمي إلى يهود فرنسا رداً على شكواهم من تهديد المواطنين الفرنسيين في أكس وال ومرسيليا لمعابد اليهود . والواقعة ترجع إلى القرن الخامس عشر ، وقد ورد في الرسالة الجوابية : «أيها الأخوة الأعزاء بموسى تلقينا كتابكم وفيه تطلعونا على ما تقاسونه من الهموم والبلايا فكان وقع هذا الخبر شديد الوطأة علينا وإليكم رأى المرازبة (الحكام) والربانيين بمقتضى قولكم أن ملك فرنسا يجبركم على أن تعتقدوا الدين المسيحي ، فاعتقدوه لأنّه لا يسعكم أن تقاوموا . غير أنه يجب عليكم أن تبقو شريعة موسى راسخة في قلوبكم بمقتضى قولكم أنّهم يأمرونكم بالتجدد من أملاكمهم فاجعلوا أولادكم تجاراً لتسكنوا رويداً رويداً من تحرير المسيحيين من أملاكمهم ، وبمقتضى قولكم أنّهم يهدمون معابدكم فاجعلوا أولادكم كهنة ليهدموا كنائسهم ، وبمقتضى قولكم أنّهم يسمونكم اعتداءات أخرى كثيرة فاجعلوا أولادكم وكلاء دعاوى وكتبة عدل ليتدخلوا في مسائل الحكومة لتخصّعوا المسيحيين لغيركم فتستولوا على زمام السلطة العليا ، وبذلك يتسلّم لكم الانتقام . . فسيروا بموجب أمرنا هذا فتعلّموا بالاختبار أنّكم في ذلك تتوصّلون إلى ذروة القوة والعظمة . التوقيع : أمير اليهود»^(٣) .

ومن جاء في بروتوكول حكماء صهيون بشأن سيطرة اليهود على العالم ما نصّه :

(١) وللمزيد : الهجرة اليهودية إلى فلسطين ، ص ٣٥ .

(٢) عبد المنعم شميس : أسرار الصهيونية ، القاهرة ١٩٦٥ ، ص ٢٠

(٣) السيد أحمد حامد الفقى : الصهيونية ساخرة ، ص ١٣٤ وما بعدها .

«اعتدنا نحن حكام صهيون أن نجتمع مرة كل مائة عام بهيئة جمع ديني لنبث ما وصلنا إليه من تقدم نحو السيطرة التي وعدنا بها يهوه (الله اسرائيل) . كان الذهب وسيظل دائماً القوة التي لا تقاوم ، فالذهب نشري الضمائر الصلبة ونحدد الأسعار والأوراق المالية وأسعار المنتجات ونعقد القروض للدول ففسطط علينا . . . فلنحاول استبدال العملة الورقية بالذهب تماماً صناديقنا بالذهب فندفع قيمة الورق ونصبح أسياد الجميع »^(١) .

ان هذه الأفكار وان كان مبعثها في الأصل مبنية على معتقدات دينية ، إلا أنها أخذت تنسن مع الزمن بطابع يعتمد على استراتيجية اقتصادية تهدف إلى السيطرة والاستيلاء على مقدرات البلاد التي يعيشون فيها (اليهود) وفق نهج مرحل يراعي الظروف السياسية والاجتماعية في البلاد التي يعيش فيها اليهود .

أما النقطة الثالثة التي ترتكز عليها الصهيونية فهي فلسطين وهي الهدف الأساسي لليهود وهي نقطة الارتكاز التي يبدأ منها سيطرتهم على العالم ، ففيها (يجب أن تقوم دولتهم لأنها . على حد قولهم أرض الميعاد ، ولذلك يقول اليهود أن فلسطين أرض مقدسة لا يحق لأية فئة احتلالها ، وإنما هي حق لليهود وحدهم)^(٢) .

وقد جاء في بروتوكولات حكام صهيون أن فلسطين ليست إلا حقل تجرب لإسرائيل في الزراعة تمهيداً للثورة العالمية القادمة وبقى اليهود البعيدين عن فلسطين يراودهم الحلم بالعودة إلى الأرض المقدسة واستعادتها (وإعادة بناء أورشليم) كما كانوا يتغنون في مزاميرهم بالأرض المقدسة ويصلون من أجل الرجوع إليها . وقد ظلت فكرة العودة إلى فلسطين تراود اليهود منذ نهاية غزوهم لها وطردتهم . وقد تناقلت الأجيال المتعاقبة هذه الأفكار ولذا فإن فلسطين على حد زعمهم هي حجر الزاوية في معتقدات اليهود الدينية .

(١) محمد خليفة التونسي : بروتوكولات حكام صهيون ، ص ١٢٠ .

(٢) محمد طلعت الغنيمي : قضية فلسطين أمام القانون الدولي ، ص ١٩ - ٢٠ .

وتزعم الصهيونية كذلك أن اليهود في شني أنحاء العالم يمثلون شعباً واحداً ينتمي إلى أصل واحد وأن هذا الأصل مرجعه أرض فلسطين ، ومن ثم يجب اعتبار يهود العالم جميعاً أعضاء في الجنسية الإسرائيلية^(١) .

وحقيقة الأمر أن اهتمام اليهود بفلسطين ليس مردّ الاهتمام الديني كما يزعمون ، بل هي الأهمية الاستراتيجية . كما ذكرنا حوم جولدمان رئيس المؤتمر اليهودي العالمي الذي بين بوضوح الهدف الحقيقي لاختيار فلسطين هدفاً للصهيونية وقاعدة للاستعمار . فقد قال في محاضرة له في مونتريال في كندا عام ١٩٤٧ نشرتها جريدة الاتحاد الوطني الناطقة بالفرنسية عدّد ١٢ عام ١٩٥٣ م « لم يخطر اليهود فلسطين لمعناها التوراتي والديني بالنسبة إليهم ، ولا لأن مياه البحر الميت تعطى بفعل التبخر ما قيمته ثلاثة آلاف مليار دولار من المعادن وأشباه المعادن ، وليس أيضاً لأن مخزون أرض فلسطين من البرول يعادل عشرين مرة مخزون الأميركيتين مجتمعتين ، بل لأن فلسطين هي ملتقى طرق أوروبا وأسيا وأفريقيا ، ولأن فلسطين تشكل بالواقع نقطة الارتكاز الحقيقة لكل قوى العالم ، ولأنها المركز الاستراتيجي للسيطرة على العالم »^(٢) .

ولم يكن من قبيل المصادفة أن تنشأ الصهيونية في أوروبا ، وأن يكون تأسيس ظهورها في نهاية القرن التاسع عشر ، وأن تصوغ أيديولوجيتها على الوجه الذي صاغته فيه . فالأوضاع الاقتصادية والسياسية هي التي أوجدت المناخ المناسب لظهور اللاسامية^(٣) ومن ثم ظهرت الصهيونية التي زعم أصحابها أنها الرد الوحيد على اللاسامية ، فقد ولدت الصهيونية على فراش الاستعمار الأوروبي وغذتها المطاعم الدولية .

وعلى أثر انتشار فكرة القوميات في أوروبا خلال القرن التاسع عشر ، أخذ بعض مفكري اليهود وفلسفتهم يفكرون في حل للمشكلة اليهودية في أوروبا

(١) سالم الكسواني : المركز القانوني لمدينة القدس ، ص ٤٥ .

(٢) رفيق شاكر التشه : الإسلام وفلسطين ، ص ٥٨ .

Herzle , Theodor: The jewish state (New York 1972)p.27.

(٣)

والخلص من الاضطهاد الذى لا قوة هنالك ، فوجدوا أن خلاصهم من أرض الشتات لابد أن يكون على أساس من الفكر الدينى اليهودي وكان على رأس هؤلاء الحاخام يهودا القالى (١٧٩٨ - ١٨٧٨) الذى عاش فى البلقان فى أعقاب الحرب اليونانية التحررية ، الذى تميز بالشعور القومى ضد الدولة العثمانية . وقد تأثر القالى بهذه الحرب فنشركتيبا بعنوان اسمى يا اسرائيل عام ١٨٣٤ ، اقترح فيه إقامة مستعمرات يهودية فى فلسطين كأساس لخلاص اليهود من شتاهم واضطهادهم ^(١) . وقد هاجر القالى إلى فلسطين وهو فى السبعين من عمره ، وحيانا توفى فيها عام ١٨٧٨ م قام عدد من أتباعه بشراء قطعة من الأرض وأنشأوا عليها أول مستعمرة زراعية لليهود فى فلسطين هي مستعمرة « باتاخ تكفا » والتي تعنى « باب الأمل » وكانوا بذلك يضعون افكار القالى موضع التنفيذ ^(٢) .

ومما يجدر ذكره أن حياة اليهود فى فلسطين فى تلك الفترة كانت تعكس ظلالا قائمة إذ كان لا يذهب إليها من اليهود إلا الكبار السن ، الذين يرغبون فىقضاء آخر أيامهم فى القدس . وخير وصف لحياتهم تلك جاء على لسان القصل الأمريكى فى القدس عام ١٨٧٨ م إذ يقول : « ويهود القدس خاصة فقراء كسى ، ضعاف العقول والأجسام يبدو أن القدس محطة يتلاقى فيها اليهود المتucciرون المشوهون والعجاوز ليعيشوا هنا على الشحاذة والإحسان ، وليقضوا بقية العمر ينحوون أمام حائط المبكى » ^(٣) .

ولم يكن القالى هو الأوحد فى هذا المضمار ، فقد تلاه عدد من المفكرين اليهود الذين طوروا الدعوة إلى الهجرة اليهودية والاستيطان فى فلسطين كحل للمشكلة اليهودية فى أرض الشتات ، وكان فى مقدمة هؤلاء الحاخام زفي هيرش كالisher Ziv Hirsh Kalisher كاليشر بوطنون فى بولونيا ، والذى عمل حاخاما لمدة أربعين عاما فى مدينة ثورن ،

(١) أنيس صايغ وآخرون : الفكرة الصهيونية ، التصوص الأساسية ، ص ٩ .

(٢) المصدر نفسه ، ص ١٠ .

(٣) اسحق موسى الحسيني :عروبيت القدس ، ص ١٨ .

وكان حياته معاصرة لحركة الإصلاح الديني اليهودي ، إلا أنه عارضها بشدة ، ودعا إلى ضرورة التمسك بالعادات والتقاليد المتوارثة وشدد على ضرورة إبراز العلاقة بين اليهودي والأرض المقدسة^(١) .

وحين تأسست « جمعية رعاية الاستيطان اليهودي في فلسطين » عام ١٨٦٠ في مدينة فرنكفورت ، انضم كاليلشر إليها واستمد فيها أفكاره التي طرحها في كتابه « السعي إلى صهيون » Derishat zion الذي نشر عام ١٨٦٢ م . وقد بالغ كاليلشر في هذا الكتاب في وصفه لحياة اليهود في أوروبا الشرقية ، ودعا إلى إنهاء الاضطهاد والذى يعانونه هناك ، بالهجرة إلى فلسطين والاستيطان الدائم فيها^(٢) .

وراح كاليلشر يطوف في بلدان أوروبا داعياً لتطبيق أفكاره ، مما حمل جماعة من اليهود على شراء قطعة من الأرض بالقرب من مدينة يافا عام ١٨٦٦ حيث قامت جمعية الاليانس الاسرائيلية^(٣) بإنشاء مدرسة زراعية أسمتها « مدرسة ميكفاه إسرائيل الزراعية » Mikveh Israel Agri cultural school لكي تتولى الاعداد لإقامة المستوطنات الزراعية الصهيونية في فلسطين وكان كاليلشر يهدف من وراء ذلك إلى تثبيت دعائم الاستعمار الاستيطاني في أرض فلسطين . وهكذا استطاع كاليلشر أن ينخطو بالفكرة الصهيونية خطوة هامة إلى الأمام^(٤) .

كما أسهم في بناء الفكر الصهيوني الحديث مفكراً إجتماعياً يهودي آخر اسمه موسى هيس Moses Hoss (١٨١٢ - ١٨٧٥) وقد ولد في بون في

(١) أئيس صانع وآخرون : الفكرة الصهيونية ، النصوص الأساسية ، ص ١٣ ، ١٦ وانظر كذلك أسعد عبد الرحمن : المنظمة الصهيونية العالمية ، ص ١٥ - ١٦ .

(٢) المصدر السابق ، ص ١٣ .

(٣) جمعية يهودية تأسست في فرنسا عام ١٨٦٠ لتشجيع شراء الأراضي ، وإقامة المستوطنات الصهيونية على أرض فلسطين .

(٤) أئيس صانع وآخرون : المصدر السابق ، ص ١٣ .

لما نيا ، وتلقى أصول الدين اليهودي واللغة العبرية على يد جده لأمه . وكان في بداية حياته متدينا ، ثم مال إلى الاشتراكية ، وغدا في النهاية صهيونيا وقد اعتبره بعضهم منشئ الصهيونية ، إذ يقول عنه هرنزل : « كل شيء حاولناه يمكن العثور عليه في آثاره »^(١) وأفهم تلك الآثار كتابه . روما والقدس » الذي نشره عام ١٨٦٢ ، وفيه اقترح هييس حل لمشكلة اليهودية على أساس توطين اليهود في فلسطين ، ووُجِّهَ الأجيال اللاحقة فيها تضمنه هذا الكتاب من آراء ، أساساً للعقيدة الصهيونية الجديدة^(٢) .

والواقع أن آراء هييس لم تختلف عن آراء سابقه كاليلش ، إلا أنه أكد في كتابه هذا على استحالة ذوبان اليهود في المجتمعات الأوروبية ، وانتهى إلى أن الحل القومي هو الأساس حل مشكلة اليهودي . وبناء على ذلك ، دعا إلى إقامة المستعمرات اليهودية في فلسطين^(٣) . وهكذا نرى أن الفكر الصهيوني المنسليخ أصلاً عن الفكر الديني اليهودي بدأ يتطور ويتبلور في إطار الفكر القومي الذي كان يسود أوروبا آنذاك .

وقد أضيفت لبنة جديدة في صرح الفكرة الصهيونية على يد ليون بنسcker Leon pinsker (١٨٢١ - ١٨٩١) ، وهو طبيب روسي ولد في بولونيا ، وبدأ عام ١٨٦٠ يهتم بالشؤون اليهودية ، وكان في بداية حياته يؤمن بأفكار حركة التنشير (المسكلاه Haskalah) التي كانت تدعو اليهود إلى الاندماج في المجتمعات التي يعيشون فيها ، ولكن أفكاره هذه ما لبثت أن تغيرت ، كما تغيرت أفكار كثيرين من إتباع هذه الحركة على اثر مذبحة اليهود في روسيا عام ١٨٨١ فـ . أعقاب اغتيال قيصر روسيا اسكندر الثاني (١٨٥٥ - ١٨٨١) حيث اتهم اليهود بالإشتراك في مؤامرة الإغتيال^(٤) . وهكذا كانت

(١) نفس المصدر ، ص ٢٠

(٢) إبراهيم أبو لغد : تهديد فلسطين ، ص ٢٧ .

(٣) أسعد عبد الرحمن : المنظمة الصهيونية العالمية ، ص ١٨ وانظر أيضاً محمود السمره : فلسطين الفكر والكلمة ص ٤٦ .

Roth, cecil: A short History of the Jewish people, p.387.

(٤)

هذه المذبحة العامل المباشر في فشل حركة التنوير ، مما اضطر يهود روسيا للاتجاه إلى اعتناق الفكر القومي ، واتخاذها أسلوباً للملاحم من الإضطهاد^(١) .

وفي عام ١٨٨٢ ، نشر بنسكر كتابه « التحرر الذاتي » الذي تعرض فيه لحياة المؤس والإذلال التي يعيشها يهود أوروبا الشرقية وخاصة ، وبالغ في ذلك كثيراً ، وتوصل في النهاية إلى أن حل المشكلة اليهودية يكون عن طريق تحرير اليهود ذاتياً في المجتمعات التي يعيشون فيها ، والسامح لهم بالهجرة إلى وطن يمارسون فيه السيادة على أنفسهم . ويلاحظ أن بنسكر لم يذكر اسم فلسطين في كتابه ، وإنما كان همه الأول إيجاد قومية يهودية تعيش على أرض يهودية مستقلة^(٢) . وعلى ذلك استطاع بنسكران يتطور الفكر الصهيوني من الفكر الديني التقليدي إلى الفكر السياسي القائم على اعتبار اليهود أمة لها مقومات خاصة .

والواقع أن بنسكر كان يعتقد بادئ ذي بدء أن بالإمكان إيجاد وطن قومي لليهود في أي جزء من العالم ، وليس بالضرورة أن يكون ذلك الوطن في فلسطين ، مما جعله يتعرض لنقد شديد من قبل المتعصبين اليهود الذين كانوا يصررون على أن تكون فلسطين وحدها هي أرض ذلك الوطن ، فاضطر بنسكر على أثر ذلك إلى أن يغير من ارائه تلك ويصبح صهيونياً متزماً^(٣) .

وعلى أي حال ، فقد أصبح كتاب بنسكر السالف الذكر بمثابة الكتاب المقدس لكثير من اليهود الذين راحوا يؤلفون الجمعيات من أجل شراء الأرضي في فلسطين لإقامة المستعمرات اليهودية عليها . وكان من بين تلك الجمعيات واحدة تسمى « البيلو » Bilu ، وقد تألفت من عدد من طلاب جامعة خاركيف في روسيا عام ١٨٨٢ . وكان هؤلاء الطلاب يرفعون شعاراً يدعون فيه أخوانهم من يهود الشتات إلى العمل بجد من أجل استعادة أرض فلسطين ، ونص ذلك الشعار : « إذا لم أساعد نفسي فمن يساعدني ، يا بيت يعقوب هلم بنا

Taylor, Allan. prelude to Israel, p.2.

(١)

(٢) أنيس صابق وآخرون : الفكر الصهيوني ، النصوص الأساسية ، ص ٧٩ .

(٣) المصدر السابق ، ص ٨٠ .

نذهب » Beth Jacop lech Ue-neleha⁽¹⁾ . ومن الحروف الأولى من هذه الكلمات العبرية تكونت الكلمة Bilus) التي عرفت بها الجمعية فيها بعد . ولكن هذه الجمعية كانت قد فشلت في الحصول على ترخيص من الباب العالي لشراء الأراضي في فلسطين من أجل إقامة مستعمرات يهودية عليها . فقد تنبهت السلطات العثمانية لما يدور في خلد الصهانية ، فأصدرت في إبريل عام ١٨٨٢ قانوناً بمنع اليهود من الإستيطان في فلسطين⁽²⁾ .

ولكن القانون العثماني لم يكن من عزيمة بنسكر الذي واصل جهوده ، فألف جمعية زرو بابل zero Babel في مدينة أوديسا عام ١٨٨٣ ، وتولى رعايتها حتى غدت مثلاً يحتذى لكثير من الجمعيات اليهودية التي راحت تقلدتها في أهدافها من أجل النجاح الإستعمار الإيطالي اليهودي في فلسطين . إلا أن أهم أعمال بنسكر على الإطلاق كانت جهوده التي بذلها لتوحيد تلك الجمعيات اليهودية في حركة واحدة سميت حركة « أحباء صهيون » وذلك على أثر إعتقداد مؤتمر دروسكينجي Droskiniki عام ١٨٨٧⁽³⁾ .

وهكذا نبت البذور الأولى للحركة الصهيونية السياسية . في عام ١٨٩٠ حصلت حركة أحباء صهيون برئاسة بنسكر على اعتراف رسمي من روسيا ، وذلك عندما منحت ترخيصاً للعمل باسم « جمعية دعم الزراعيين والحرفيين اليهود في فلسطين وسوريا »⁽⁴⁾ .

Society for support of Jewish Agriculturalists and Artisans in Palestine and Syria .

وقد انبعثت الحماسة لدى أحباء صهيون عندما أقدمت السلطات العثمانية على رفع الحظر عن الإستيطان اليهودي في فلسطين عام ١٨٩٠ ، مما دفع إلى تشكيل لجنة برئاسة بنسكر لتشجيع شراء الأراضي في فلسطين والاشراف على الهجرة اليهودية إليها . وجرى افتتاح مكتب لهذا الغرض في مدينة يافا ، إلا أن السلطات

Laqueur, W.: The Israel Arab Reader, p.3

(١)

(٢) أسعد رزوق : اسرائيل الكبرى ، ص ٣٤ .

(٣) المصدر نفسه .

Taylor, Allan: prelude to Israel , pp. 2-3.

(٤)

العثمانية سارعت فأمرت بإغلاقه نتيجة للاحتجاج عرب فلسطين على عمليات الاستيطان اليهودي في بلادهم . وقد أفضى ذلك العمل إلى خيبة أمل لدى حركة أحياه صهيوني ، فتوقفت عمليات الإستيطان اليهودي في فلسطين مما أوقف إستمرارية تقدم وتطور الصهيونية السياسية^(١) .

وفي العام التالي ١٨٩١ ، توفي بنسكر ، فانقسمت على أثر ذلك حركة أحياه صهيوني إلى ثلاثة تيارات :

التيار الأول : وظل مصرًا على الإتجاه العملي القائم على ضرورة استعمار فلسطين عن طريق الإستيطان والهجرة ، وكان هذا التيار بزعامة ليلينبوم .

Lilinbum

التيار الثاني : وكان أتباعه يعتقدون بضرورة القيام بعمل ثقافي وروحي في فلسطين قبل البدء في عملية الإستيطان ، وكان هؤلاء بزعامة أحددها عام .

Ahad Ha'am

التيار الثالث : وهم الصهيونيون الدينيون الذين ظلوا مصرین على حبهم لصهيون^(٢) .

وكان التيار الثاني يعارض بشدة عمليات الإستيطان الفوري في فلسطين ، مما جعل التيارات الأخرى تعتبر أتباعه منشقين عن حركة أحياه صهيوني . وقد دفع هذا العمل زعيم ذلك التيار أحددها عام^(٣) ، إلى تكوين جمعية منفردة أطلق عليها اسم «جمعية بنى موسى» ، ثم قام بزيارة لفلسطين الأولى عام ١٨٩١ ، والثانية عام ١٨٩٣ واستفاد من هاتين الزيارتین في وضع ملاحظاته عن البلاد ، وكان أهمها أن فلسطين غير صالحة لاستيطان كل المهاجرين اليهود ، وأنه منها هاجر إليها منهم فإن الموقف السياسي لهؤلاء المهاجرين سيظل ضعيفا ، لأنهم لن

(١) أسعد رزق : إسرائيل الكبير ص ٣٥ .

(٢) المصدر السابق وانظر أيضا : Taylor, A.: op. cit., p.3 ١

(٣) اسمه الحقيقي أشبر جيزبرج (١٨٥٦ - ١٩٢٧) ، كان من زعماء حركة أحياه صهيوني في أوروبا ، أما أحددها عام وبعثها واحد من الناس فقد كان اسمها مستعارا يوقع به مقالاته اللاذعة التي كان يعالج فيها أمور الحركة الصهيونية

يصحبوا مزارعين أكفاء في نظره^(١) . وحقيقة الأمر ، أن زعماء أحباء صهيون الآخرين كانوا يعلمون علم اليقين بأن فلسطين لا تصلح لإستيطان اليهود ، وإنها مكتظة بسكانها العرب ، لكنهم كانوا يضللون اليهود في الخارج بأن فلسطين هي أرض خالية من السكان وهي الفردوس المفقود وستجدوا الراحة والنعيم هناك.

تلك هي الصورة التي كانت عليها حركة أحباء صهيون ، عندما بز إلى الساحة زعيم صهيوني جديد تم على يديه تأسيس المنظمة الصهيونية العالمية ، ألا وهو تيودور هرتزل Theodor Herzl (١٨٦٠ - ١٩٠٤) الذي يعتبر بحق مؤسس الصهيونية الحديثة^(٢) .

وقد ولد هرتزل في بودابست في ٢ مايو عام ١٨٦٠^(٣) ، وكان الابن الوحيد لأحد أثرياء اليهود فيها ، وأثرت والدته عليه تأثيراً كبيراً ، ففرست في نفسه منذ نعومة أظفاره أنه سيؤدي رسالة هامة في حياته . وبعد أن أنهى تعليمه الثانوي في بودابست انتقلت أسرته إلى « فيينا » وهناك التحق عام ١٨٧٨ بكلية الحقوق وتخرج فيها بعد حصوله على درجة الدكتوراه عام ١٨٨٤ ، ولكنه لم يعمل في المحاماة إلا عاماً واحداً ، ثم اتجه إلى الصحافة ، وبدأ عمله محرراً لصفحة أدبية في إحدى الصحف ، ثم عرضت عليه أشهر الصحف النسوية (Neu Freie presse) ، أن يكون مراسلاً لها في باريس عام ١٨٩١ ، فقام بهذه المهمة حتى عام ١٨٩٦ ، حين عاد إلى فيينا ليرأس تحرير القسم الأدبي في نفس الصحيفة^(٤) .

وكانت إقامة هرتزل في فرنسا قد جعلته يهتم بالمسألة اليهودية ، وبخاصة أن باريس آنذاك كانت مسرحاً لقضية « الكابتن دريفوس »^(٥) التي ازداد على

Cohen, Israel: A short History of Zionism, p.26.

(١)

Laqueur, w: op. cit., p.6.

(٢)

(٣) أسعد عبد الرحمن : المنظمة الصهيونية العالمية ، ص ٢٠ .

(٤) أنيس صايغ واحروف : الفكرة الصهيونية ، ص ٩٧ - ٩٨ .

(٥) دريفو ضابط يهودي فرنسي ، اتهم بالخيانة وحكم عليه بالسجن والتجريد من جميع القابه

العسكرية وأهين علنا ، وكان الحاضرون للمحكمة يهتفون « الموت لليهود » وقد حضر هرتزل المحاكمة بنفسه كمراسل صحفي لجريدة .

أثرها العداء لليهود . وشعر هرتزل أن اليهودي دائماً يكون كبش الفداء في مثل هذه القضايا ، ولذا راح يبحث عن حل لقضية العداء لليهود ، فوجد أن المشكلة اليهودية لن تحل إلا على أساس قومي ، ولذا قام هرتزل بنشر آرائه عام ١٨٩٦ في كتاب أسماه الدولة اليهودية *Der Judenstaat* ، دعا فيه إلى إقامة دولة ذات سيادة^(١) . ولكنه ترك لليهود حرية الإجماع على اختيار الأرض التي سيقيمون عليها تلك الدولة ، وإن كان لا يجني تفضيله لفلسطين التي قال عنها : « أنها وطن اليهود التاريخي الذي لا يمكن أن ينسى ، ويكون أن سحر هذا الاسم سيجلب اليهود إليها^(٢) . واقتراح هرتزل في كتابه السالف الذكر ، دستوراً للدولة اليهودية ودعا إلى تكوين جيش صغير مسلح بأحدث الأسلحة للدفاع عنها ، كما اقترح شكلاماً لعلم تلك الدولة^(٣) . وقد رکز هرتزل في كتابه على أن المشكلة اليهودية ليست مشكلة اجتماعية أو دينية فحسب بل هي مسألة قومية قبل كل شيء ، ولا بد من إيجاد حل سياسي لها تشارك فيه الأمم المتحضرة^(٤) . كما أن هرتزل قد وضع خطة لإقامة الدولة اليهودية المشودة بوساطة هيئتين هما : جمعية لليهود ، وشركة يهودية تعمل إلى جانب الهيئة الأولى في تمويل عملية إنشاء المجتمع اليهودي^(٥) . وبذلك يكون هرتزل قد حول أمانى العودة إلى صهيون من هدف ديني إلى هدف سياسي ، كما أدخل فكرة الهجرة إلى يهود الغرب الذين كانوا يسرون في طريق الإنعام مستفيدين بعوامل التسامح^(٦) .

اعتبر هرتزل أن « معاداة السامية » على حد قوله . قوة متصلة دائمة في نفوس غير اليهود ، ولا شفاء منها « فكل الجنوبيم (الأغبيار) وعلى الدوام إعداء لكل اليهود » . All goyim ever lastingly against all Jews . . . ويجب على اليهود أن يعرفوا كيف يستخدمون معاداة السامية لصالحهم ، وكان حل المشكلة

(١)

Taylor , A: op. cit., pp. 3-4.

(٢)

Herzel, theoclor: The Jewish state , p.66.

(٣)

Tbid ., pp. 132-138

(٤)

Lenzowski, Georgi: The Middle East in the world Affairs , p.260.

(٥)

Laqueur, walter: op. cit., pp. 9-10.

(٦)

(٦) ولم يفهمى : المصدر السابق ، ص ٢٦ .

اليهودية في نظره «أن اليهود الذين يكونون جماعة ببيولوجية» يجب أن تكون لهم أمة مثل باقي الأمم في دولة خاصة بهم ، وأن يعطى الشعب اليهودي بلا أرض ، أرضا بلا شعب ». ^(١)

to give to the people without land , a land without people

وما لا ريب فيه أن هناك مغالطات وتناقضات في أقوال هرتزل ، فهو يدعى أن كل الشعوب معادية لليهود ، وحقيقة الأمر أن المسلمين – باعتراف اليهود أنفسهم – كانوا الملجأ الآمن لهم كلما تعرضوا لإضطهاد في أوروبا فلم يسبق أن إضطهدوا من قبل المسلمين ، بل كان الإسلام يمنحهم الأمان في ظل الدول الإسلامية . وهناك إدعاء زائف آخر قاله هرتزل عن أن اليهود يكونون جماعة بيولوجية ، والواقع غير ذلك كما أشرنا إليه سابقا وفندهنا في بداية حديثنا عن الصهيونية ، والأدهى وأمر من ذلك أن كشف القناع عن الفكر الصهيونية القائلة بطرد الشعب العربي الفلسطيني واحتلال شعب الشتات اليهودي محلهم .

ولما كان هرتزل يعتقد أن خطة إقامة الدولة اليهودية لا يمكن أن يتم على يد رجل واحد ، فقد دعا إلى عقد مؤتمر صهيوني عالمي ، وعقد بالفعل المؤتمر الصهيوني الأول في بازل بسويسرا من ٢٩ إلى ٣١ أغسطس عام ١٨٩٧ ، وحضره مائتان وأربعة من مفكري اليهود ، وكان هرتزل مهندسه الحقيقي ، واستطاع المؤتمر أن يخرج بقرارات هامة عرفت . ببرنامج بازل » وكانت تهدف إلى إنشاء وطن قومي للشعب اليهودي في فلسطين يضممه القانون العام « ^(٢) وحدد المؤتمر الوسائل الكفيلة بتحقيق هذا الغرض .

١ - تشجيع الإستعمار الإستيطاني في فلسطين على أساس مناسبة من قبل العمال الزراعيين والصناعيين اليهود ، وكذلك العمل على إنشاء مستعمرات زراعية و عمرانية في فلسطين .

٢ - إنشاء منظمة تربط يهود العالم ، وذلك عن طريق منظمات محلية تابعة لها في كل بلد يتواجد فيه اليهود .

(١) المصدر السابق ص ٢٨ .

(٢) يوميات هرتزل ، ص ٨٩ ، فايز صابق : الإستعمار الصهيوني في فلسطين ، ص ٩ - ١٠ .

- ٣ - تقوية وتعزيز الشعور القومي لدى اليهود .
- ٤ - إتخاذ خطوات تمهدية من أجل الحصول على موافقة حكومية دولية لتحقيق أهداف الصهيونية^(١) .

بعد أن حددت الحركة الصهيونية هدفها المرحل في المؤتمر الصهيوني الأول ، تكونت في بازل المنظمة الصهيونية العالمية ، وانتخب هرتزل رئيساً لها ، وبذلت على الفور العمل من أجل الحصول على حق شرعي معترف به دولياً للبدء في تنفيذ الإستعمار الإسائيلي الصهيوني في فلسطين . ووضعت الحركة الصهيونية برنامجاً عملياً لتنفيذ هذا الخطة يقوم على ثلاثة خطوط : التنظيم ، والإستعمار أو الإستيطان ، ثم الدبلوماسية أو المفاوضات^(٢) .

وقد عملت الصهيونية على تنظيم أجهزتها الإدارية للقيام باعباء ومهام بناء الدولة ، فأقامت جمعيات صهيونية أعلنت تعاطفها مع المنظمة الصهيونية العالمية ، كما عملت على خلق أدوات الإستعمار الصهيوني المنظم في فلسطين ، ومنها : المصرف اليهودي للمستعمرات (صندوق الإئمان اليهودي للإستعمار) Jewish colonial Trust ، ولم يبدأ عمل المصرف جدياً إلا في عام ١٩٠١ ، وقد أنشأ مصرف فرعى له في يافا ٢ - الصندوق القومى اليهودى Jewish National Fund وقد أنشئ في عام ١٩٠٦ بهدف الحصول على أراضى في فلسطين ، وإلى جانب المصرف اليهودي للمستعمرات والصندوق القومى اليهودى ، أنشئت عام ١٨٩٨ «لجنة الإستعمار» ، كما أنشئ عام ١٩٠٨ ، مكتب فلسطين » و «شركة تطوير الأراضى ١٩٠٩ » وكان هدف هذه المؤسسات جميعها التخطيط لعملية الإستعمار اليهودى^(٣) .

واعتمدت الصهيونية الخط الثالث وهو الدبلوماسية للحصول على الدعم والتأييد الدولى بشأن تحقيق المهدى الإستراتيجي لها . وكان من الطبيعي أن تتركز

^(١)

Taylor, A: op. cit. p.5.

^(٢) فائز صايغ : المصدر السابق ص ١٣ .^(٣) السيد رجب حراز : صفحات من تاريخ الصهيونية وإسرائيل ، ص ٤٠ .

جهود الصهيونيين الدبلوماسية في بادئ الأمر على الأتراك العثمانيين الذين كانوا يحكمون فلسطين في ذلك الوقت . وبذل هرتزل جهوداً كبيرة للاتصال بالسلطان عبد الحميد الثاني ، فنجح في مقابلته ثلاث مرات وفشل محاولاته جميعها . فقد رفض السلطان منح حقوق غير محدودة بالهجرة اليهودية إلى فلسطين ، نظير قيام اليهودية العالمية بتسديد الديون العامة للدولة العثمانية ، وأرسل السلطان إلى هرتزل - كما كتب الأخير في مذكراته - يقول : « انصحوا الدكتور هرتزل بآلا يتبع خطوات أخرى في هذا الموضوع . إنني لا أستطيع أن أتخلى عن شبر واحد من الأرض ، لأنها ليست ملك يميّز ، بل ملك شعبي . لقد ناضل شعبي في سبيل هذه الأرض وروها بدمه . . . فليحافظ اليهود على ملاليهم لأنّه لو قدر لأمبراطوريّتي أن تتمزق فقد يحصلون على فلسطين دون مقابل . ولن يتم ذلك إلا إذا مزقت أوصالنا ، ولن أوفق على أن تمزق وأناحي »^(١) .

ولم يمنع هذا الرد هرتزل من الإستمرار في مفاوضاته مع الحكومة العثمانية ، بهدف السماح للليهود بالهجرة إلى فلسطين ، إلا أن السلطان العثماني قد رد على ذلك بالسماح للمهاجرين اليهود بالاستقرار متفرقين في جميع الولايات الأسيوية التابعة للدولة العثمانية بإستثناء فلسطين ، ولوسوف يمنح المهاجرون اليهود الرعوية العثمانية ، ويطالبون بدفع جميع الضرائب المدنية ، بما فيها الخدمة العسكرية ، كم أنهم سيخضعون لجميع قوانين البلاد^(٢) . وحيثما فشلت محاولات هرتزل مع الدولة العثمانية اتجه إلى الدول الأوروبية الإستعمارية للحصول على التأييد الدولي .

(١) يوميات هرتزل ، ص ١٧٣ .

(٢) حسان حلاق « موقف الدولة العثمانية من النشاط الصهيوني الدولي ١٨٩٧ - ١٩٠٤ » مجلة

شؤون فلسطينية ، العدد ٧٤ ، يناير ١٩٧٨ ، ص ١٦٢ .

الفصل الثالث

الصهيونية والاستعمار

وقد أعطيت البراءة الدولية الأولوية في المساعي الصهيونية ، خاصة وأن اليهود كانوا مشتتين في جميع الدول الأوروبية ، فرغبت الحركة الصهيونية في أن يتذكر هؤلاء اليهود لقومياتهم ، وأخذت تعمل على تجتمعهم وحشد قواهم في فلسطين حتى يكونوا دولة خاصة بهم . وحتى يتحقق ذلك اعتبر هرتزل ومن جاء بعده الإستعمار الصهيوني في فلسطين إمتداداً للإمبريالية الأوروبية^(١) .

وقد بني هرتزل على هذا المنطق الأمال في الحصول على الدعم الإستعماري الأوروبي معلناً بذلك إرتباط الحركة الصهيونية بعجلة الحركة الإستعمارية الأوروبية والعمل على تنفيذ مخططاتها والمشاركة في ممارستها الإرهابية ضد الوطنيين . وتأسساً على ذلك ، أوضح هرتزل أن الدولة الصهيونية ستكون الحاجز الأمامي للسياسات الإمبريالية الأوروبية في الشرق حين كتب يقول : « سُولف هناك جزءاً من المتراس الأوروبي ضد آسيا ، ومركز أمامياً للمدنية والحضارة الأوروبية في وجه البربرية »^(٢) .

ولكن تكوين هذا المتراس إصطدام بواقع الوجود العربي الذي عارض بدوره تدفق المستعمررين الجدد منذ المراحل الأولى . فأدرك هرتزل حتمية الصدام والصراع بين أتباعه المستعمررين والسكان الوطنيين ، وخرج بنظرية للتخلص من هؤلاء الوطنيين ، فكتب في مذكراته يقول : « سوف نحاول تسريح السكان

(١) إبراهيم أبو لند : تهديد فلسطين ، ص ٣٢ .

(٢)

الوطنيين عبر الحدود ، بتأمين مجالات الإستخدام لهم في بلدان العبور ، على أن نسد أمامهم مجال العمل في بلادنا»^(١) .

وأياماً كان الأمر ، فإن الظروف الدولية السائدة آنذاك ، جعلت إستراتيجية العمل الصهيوني نحو التحالف مع دولة كبرى أو مجموعة من الدول لقاء تقديم الصهيونية خدمات وإمتيازات لهذه الدول ، وكان هرتزل في سعيه للمحصول على البراءة الدولية من أجل قيام الوطن القومي في فلسطين ، يدرك تماماً أن اليهود في أوروبا يعيشون ضمن أطر دولهم ، ولا يكونون دولة مستقلة تسعى لأنخذ مكانها في الحركة الاستعمارية^(٢) .

وما يجدر ذكره أن المجتمع الأوروبي كان بحاجة إلى حد أدنى من الخبرة التجارية لدى اليهود للإستمرار في التقدم ، وأن عليه أن يتقبل اليهود بين ظهرانيه أملاً في إكتساب الخبرة والتوصيل إلى نفس مهارة اليهود . ولم يشرق القرن العشرون إلا وظهر في أوروبا طبقة من المسيحيين الذين لم تقتصر مقدرتهم على بحارة اليهود في الأعمال التجارية ، بل تعدت ذلك إلى رغبتهم في التخلص من هؤلاء اليهود ، هذا فضلاً عن أن تيار القومية الأوروبية الحديث قد حارب اليهود من تاحتين فقد أدت هذه القومية منفعة للأوربيين من جهة فشعروا بالعزلة والكرامة ، وضغطت على اليهود من جهة أخرى ، الأمر الذي جعل اليهود يخترعون قومية خاصة بهم^(٣) .

وعلى ذلك ، فإن صلة الإستعمار بالصهيونية صلة وثيقة ، من قبل أن يعلن هرتزل دعوته . إذ بدأت هذه الصلة منذ أن قام نابليون بحملته المشهورة على مصر ثم على بلاد الشام . فقد سعى نابليون إلى استئثار اليهود لمعاونته في فتح عكا ، ووعدهم بأن يعيدهم إلى القدس وأن يعيد بناء الهيكل ثنا لمساعدتهم له . فقد

(١) Herzl, Theodor: The Complete Diaries , vol.1 (New York 1960) p.88,10

(٢) أسعد رزوق : الصهيونية وحقوق الإنسان العربي ، بيروت ١٩٧٣ ، ط ، ص ٥٥ .

(٣) زاهية قدورة : تاريخ العرب الحديث ، بيروت ١٩٧٣ ، ص ١٨٤ - ١٨٦ .

نبه نابليون الدول الإستعمارية إلى استغلال اليهود في تحقيق أهدافها الإستعمارية ، كما نبه هرتزل إلى إمكانية استغلال القوى الإستعمارية لتحقيق أحلام اليهود وإنشاء دولة لهم في فلسطين^(١) . ويبدو أن معظم الدول من أقدم العصور كانت تستغل اليهود من الناحية الدينية ليساعدوها في تحقيق أطاعتها التوسيعة ، كما حدث مع الفرس في التاريخ القديم ، ثم لا ثبت هذه الدول أن تنقض عليهم -

بدأ هرتزل مساعيه مع الدول الأوروبية ذات الشأن ، وأخذ يزعم أمام كل مسؤول في أوروبا بأن خططه الصهيوني لن يخدم إلا مصالح تلك الدولة ، وتارة يحاول إثارة التنافس الإستعماري بين هذه الدول . فقد اتصل هرتزل بالإمبراطور الألماني وطمث الثاني في أكتوبر ١٨٩٨ أثناء زيارة الإمبراطور لتركيا . وطلب هرتزل من الإمبراطور الألماني السماح للصهاينة بتأسيس شركة لشراء الأرضي وتنميته في فلسطين على أن تكون تلك الشركة تحت رعاية وحماية ألمانيا . وحاول هرتزل إقناع الإمبراطور الألماني بارتباط المصالح الألمانية بالمصالح اليهودية ، وبأن ثقافة اليهود المانية في الصفيح ، وحاوت الصهيونية أغراء الألمان بتقديم المساعدات في المشروعات الاقتصادية (خط حديد برلين - بغداد)^(٢) . وفشل هرتزل في جميع مساعيه .

أما فرنسا فلم تقدم على تأييد الصهيونية إيمانا منها بأن الحركة الصهيونية ما هي إلا أداة في يد ألمانيا للأضرار بمصالح فرنسا ، كما أن اليهود الفرنسيين لم يعتنوا الصهيونية وظلوا يعارضون بشدة . وإلى جانب ذلك فقد كان الفرنسيون يخشون أن يترتب على تأييدهم للصهيونية نفور أنصارهم من العناصر المسيحية في بلاد الشام . ومن ناحية أخرى ، فقد كان الصهيونيون في قرارة أنفسهم ، يفضلون ، إذا ما أتيح لهم إنشاء وطن قومي لليهود في فلسطين ، ألا يكون هذا الوطن تحت حماية فرنسا ، خشية ألَا تسمع فرنسا بقيام ثقافة يهودية مميزة عن

(١) نقولا : هكذا ضاعت . . . وهكذا تعود بيروت ١٩٦٣ ، ص ١٩ - ٢٢ .

(٢) Esco - Foundation For Palestine: Palestine: A study of Jewish, Arab and British policy , vol.1.p.43.

الثقافة الفرنسية ، وإنما ستصر على أن تطبع الحياة في البلاد التي تحت سيطرتها بالطابع الفرنسي ، ومن ثم كان الصهيونيون يفضلون السيادة البريطانية^(١) .

ولم يتورع هرتزل عن الاتصال بوزير الداخلية الروسي بليفيه Bleve والذى عرفه اليهود جيدا كجلادهم ، زاعما أنه يحاول تخليص روسيا من التوربين اليهود الذين ينتشرون في البلاد^(٢) .

اتجه هرتزل بعد ذلك إلى بريطانيا ، وأثار القضية الصهيونية في الصحافة ومع الزعماء السياسيين من رجال الحكم . وكان الرأي العام البريطاني مهيا للإسماع إلى هرتزل . ففي هذا الوقت بالذات كانت المسألة اليهودية تفرض نفسها على بريطانيا بوصول أعداد كبيرة من المهاجرين اليهود قادمين من شرق أوروبا . وشكلت لجنة ملوكية « لدراسة مشكلة الهجرة الأجنبية » وكانت الحكومة البريطانية على وشك وضع قيود لوقف تيار تلك الهجرة . ولذا كان الوزراء البريطانيون على استعداد لتأييد أي مشروع من شأنه إيجاد منفذ لإستيعاب اللاجئين اليهود ، الذين سيمعنون من الآن فصاعدا من دخول إنجلترا^(٣) .

وفيما يتعلق بفلسطين ، رفضت الحكومة البريطانية تعضيد مطامح الصهيونية فيها ، خشية اغضاب الدولة العثمانية ، مما جعل هرتزل يعرض مشروعات بديلة . فاقترح على جوزيف تشمبرلين Joseph Chamberlain وزير المستعمرات أن يسمح لليهود باستيطان جزيرة قبرص ، فرفضت بريطانيا طلبه ، كما رفضت طلبا آخر باستيطان اليهود في العريش^(٤) .

وازاء فشل مشروع العريش ، عرضت بريطانيا على هرتزل أوغندا كمكان لإستيطان اليهود فيها . وقد أبدى هرتزل موافقته على ذلك بالرغم من معارضة

(١) محمود حسن منسى : « فرنسا والصهيونية » مجلة الشرق الأوسط ، القاهرة العدد الأول بنابر

١٩٧٤ ، ص ٢٢ - ٢٣ . \

(٢) انظر تفاصيل إتصالات هرتزل مع الدول المختلفة في مذكراته سالفه الذكر .

(٣) السيد رجب حراز : صفحات من تاريخ الصهيونية وإسرائيل ، ص ٤٦ .

Taybr , A: Preluele to Israel , p.8.

(٤)

كثيرين من زعماء الصهيونية لمشروع أوغندا في المؤتمر الصهيوني السادس الذي انقض بعد أن أوصى بإرسال بعثة استكشافية إلى أوغندا لدراسة إمكانية إستئمارها على أن ترفع تقريرها للمؤتمر السابع ، غير أن هرتزل كان قد توفي في ٣ تموز (يوليو) ١٩٠٤ وذلك قبل إنعقاد المؤتمر^(١) .

والحقيقة أن مشروع أوغندا كان متعطفاً خطيراً في تاريخ الحركة الصهيونية ، إذ دب على أثره الخلاف بين أنصار المنظمة الصهيونية فانقسموا إلى فريقين : « سياسيين » و« عمليين » ، أما الفريق الأول فكان على استعداد لقبول فكرة الوطن البديل عن فلسطين ، وأما الفريق الثاني « فريق العمليين » فقد رفض أن يقبل أي بديل عن فلسطين ، وكان حاييم وايز من weizmann chaim زعماء هذا الفريق^(٢) .

وأما وايزمان فهو من مواليد روسيا ، فقد ولد في بلدة موتول عام ١٨٧٤^(٣) ، وبدأ يمارس النشاط السياسي في فترة مبكرة من حياته ، ثم هاجر إلى إنجلترا عام ١٩٠٤ ، وتولى تدريس الكيمياء في جامعة منشستر حيث حقق إنجازات علمية ساعدت على نجاحه في هذا الحقل . وكان وايزمن من الصهاينة العاملين الذين أسهموا في اسقاط مشروع أوغندا أثر وفاة هرتزل^(٤) . وكانت الأعوام العشرة التالية من أكثر سنّ حياته إنتاجاً وخدمة للحركة الصهيونية ، ففي عام ١٩٠٦ اجتمع مع أثر جيمس بلفور وشرح له سبب معارضته لمشروع أوغندا . تم عمل وايز من بعد ذلك وحتى عام ١٩١٧ على كسب جماعة من ذوى النفوذ في بريطانيا والذين باستطاعتهم دعم المطالب الصهيونية في أوساط الحكومة البريطانية ومن أبرز أولئك : هربرت صموئيل ، واللورد روتشريلد ، والخامي نورمان بنتوبيش ، والميجور أورمسى غور ، ورئيساً تحرير جريدة التايمز والمانشستر جارديان^(٥) .

sicolow, N.: History of Zionism, 600-1918 pp.296-297.

(١)

weizmann , chaim: Trial and Error , p.121.

(٢)

Ibid.: p.4.

(٣)

Ibid.: p.96.

(٤)

Weizmann, chain: Trial and Error, pp 109-120

(٥)

ومعها يكن من أمر فإن العلاقة بين الصهيونية والإمبريالية علاقة قديمة قدم الحركة الصهيونية نفسها ، إذ أنها علاقة وجودية ومصدريّة من ناحية ، كما أنها علاقة مصلحية من الناحية الأخرى ، وتفوم على التلاق بين الأهداف والخططات والمصالح^(١) . أما أن علاقة الصهيونية بالإمبريالية علاقة وجودية ومصدريّة ، فلأن الصهيونية نفسها حركة استعمارية تقوم على استعمار الأرض وإستيطانها بعد إخراج أهلها منها ، ولأنها في واقعها تُؤلف جزءاً لا يتجزأ من الرأسمالية العالمية التي تعتبر الإمبريالية أعلى مراحلها . ومن هنا يكون الرابط الوجودي والمصيري بين الصهيونية من ناحية وبين الاستعمار العالمي من الناحية الأخرى^(٢) . وأما من ناحية المصلحية بين الصهيونية والإمبريالية ، فالصهيونية كحركة عنصرية دينية تقوم على مبادئ الإستغلال والعدوان ، وتستند إلى فكرة التوسيع والسيطرة وتلجمًا إلى أساليب العنف وسفك الدماء^(٣) .

ولا ريب في أن الاستعمار قد استفاد من الصهيونية وضرب عصوفرين بحجر واحد ، فاستطاع بواسطة الصهيونية أن يدفع بجماعات اليهود المهاجرة من شرق أوروبا إلى فلسطين بدلاً من الهجرة إلى غرب أوروبا وهذا ما كانت ترفضه الدول الأوروبيّة وحتى الرأسمالية اليهودية في تلك الدول ، كما أنه استفاد من ناحيه أخرى في قيام جسم بشري غريب في فلسطين يحفظ لتلك الدول الاستعمارية مصالحها الإستراتيجية والاقتصادية الهامة في منطقة الشرق العربي الإسلامي .

ولم تمض عشرة أعوام على إنعقاد المؤتمر الصهيوني الأول في بازل بسويسرا ، حتى كان الاستعمار البريطاني يحدد أهدافه أيضًا . فقد عقد مؤتمر عالمي للدول الاستعمارية في عام ١٩٠٧ في لندن وعدة عواصم أوروبية استعمارية وخرج في النهاية بمجموعة من التوصيات ، كان أهمها تلك التي تناولت شؤون الوطن العربي^(٤) .

(١) محمد أنيس ، السيد رجب حراز : الشرق العربي في التاريخ الحديث والمعاصر ، ص ٣٨٩ .

(٢) المصدر السابق .

Lenzowski, G: The Middle East in the world Affairs, pp.259.
kink, G.: A Short History of the middle East. p.149.

(٣)

(٤)

وتضمنت هذه التوصيات حسبما جاء في تقرير كامبل بائزمان | Campbell Bannerman | رئيس وزراء بريطانيا آنذاك أن الخطر الذي يهدد الاستعمار الغربي يمكن في البحر الأبيض المتوسط ، الذي يؤلف حلقة الاتصال بين الشرق والغرب ، والذي يقيم على سواحله الشرقية والجنوبية ، شعب واحد ، يتميز بكل مقومات التوحد والترابط ، وبما في أراضيه من كنوز وثروات تتبع لأهلها مجال التقدم والرقي في طريق الحضارة والثقافة . وأوصى التقرير لمواجهة هذا الخطر ، بأن تعمل الدول الاستعمارية على تجذئة هذه المنطقة ، والإبقاء على تفككها ، ومحاربة أي اتحاد يقوم بين أجزائها ، والسعى الدائب إلى تفسيخها عملياً وفكرياً وتاريخياً ، واقتراح التقرير كوسيلة عاجلة العمل على فصل الجزئين الإفريقي والأسيوي في هذه المنطقة أحدهما عن الآخر ، وإقامة حاجز بشري غريب في نقطة التقاء هذين الجزئين ، يمكن للاستعمار أن يستخدمه كأداة في تحقيق أغراضه^(١) .

وهكذا تحددت أهداف الاستعمار في المنطقة العربية ، ورأى قادة الصهيونية - وهي جزء لا يتجزأ من الناحية الوجودية والمصيرية من الاستعمار العالمي - في هذا التحديد الفرصة التي طالما انتظرواها لتحقيق أهدافهم العنصرية الخاصة . وقد تأكّدت هذه الروابط بين الصهيونية والاستعمار حينما أعلن ناحوم جولدمان - كما أشرنا أعلاه - في خطاب له في كندا عام ١٩٤٧ بأن اليهود اختاروا فلسطين لا لمعناها الثوراني والديني ولكن لأن فلسطين هي ملتقى طرق أوروبا وأسيا وأفريقيا ولأن فلسطين تشكل بالواقع نقطة الارتكاز الحقيقة لكل قوى العالم ، ولأنها المركز الإستراتيجي للسيطرة على العالم^(٢) .

ويبدو أن اليهود يؤكّدون دائماً على الهدف الديني حتى يحافظوا على وحدة مجتمعهم في فلسطين المحتلة ، فإذا أهملوا العنصر الديني فإن المجتمع سيتفكّك لأن به تناقضات وإختلافات كبيرة لا تظهر إلا إذا أهمل القائمون أمر الدين . فالدين

(١) انظر التفاصيل في كتاب خيري جماد « الوجرد الإسرائيلي في الخطط الإمبريالية » بيروت ١٩٦١ .

(٢) رفيق الشهه : الإسلام وفلسطين ، ص ٥٠ .

هو الذى يحتوى هذه الخلافات ، ولكنها ستطفو على السطح وتقضى على ذلك الكيان أَنْ عاجلاً أو أَجلاً .

وقد شهدت المنظمة الصهيونية حدثين هامين أديا إلى انتشارها من حالة الفوضى والضياع مع بداية الحرب العالمية الأولى . أما الحدث الأول فهو ظهور حاييم وايز من في لندن كزعيم للحركة . والحدث الثاني كان الدور النشط والفعال الذى لعبه صهيونيو الولايات المتحدة الأمريكية . وقد اعتبر وايزمن ورفاقه بريطانيا أفضل حليف للصهيونية^(١) .

الإستعمار البريطاني والوطن القومى اليهودى :

ترجع أطّاع بريطانيا وغيرها من الدول الأوروبية الغربية بفلسطين إلى عهد بعيد ، وبالتحديد إلى عصر الغزوات الصليبية لما يمثله موقع فلسطين من أهمية اقتصادية وعسكرية ودينية ، كما أن حملة بونابرت على مصر وبلاط الشام في أواخر القرن الثامن عشر قد أثارت أطّاع بريطانيا من جديد في فلسطين ، ولذا دعت بريطانيا إلى المحافظة على ممتلكات الدولة العثمانية ، لتفف حاجزاً في وجه الدول الأوروبية الأخرى ، ذات الأطّاع الإستعمارية في المنطقة ، وهذا نظرت إلى قيام محمد على في مصر بقلق بالغ ، خاصة بعد أن اجتاحت جيوشه سوريا في طريقها إلى الآستانة^(٢) .

وعلى أثر ذلك ، تحالفت بريطانيا مع الدول الأوروبية ضد محمد على ، تعزيز موقف السلطان العثماني ودعمه ، ووقعت هذه الدول على معايدة لندن في ١٥ يوليو ١٨٤٠ ، والتي تقضى بإعادة جميع الممتلكات التي استولى عليها محمد على إلى السلطان عدا مصر^(٣) . وإذا رفض محمد على ذلك تدخلت تلك الدول وأجبرته عسكرياً على توقيع إتفاقية بذلك في ٢٧ نوفمبر ١٨٤٠ تقضى بمحلاً قواته عن سوريا وفلسطين لقاء تأمين حقوق سلالته الوراثية في مصر^(٤) .

Taylor, A.: Prelude to Isreal, p.11.

(١)

(٢) عبد الوهاب الكيالي : تاريخ فلسطين الحديث ، بيروت ١٩٧٠ ، ص ٢٥ - ٢٦ .

(٣) الوتسكى : تاريخ الأقطار العربية الحديث ، ص ١٤١ .

F.O. 371 /14495 / 07186 , Memorandenn by w.J. childs oct.24, 1930.

(٤)

وف الواقع أن إهتمام بريطانيا بفلسطين لم يقتصر على تأمين الطريق التجارى للهند ، بل كانت تهدف إلى تحويل فلسطين والمنطقة المجاورة إلى منطقة نفوذ . ومن أجل تحقيق ذلك ، فتحت بريطانيا أول قنصلية لها في القدس عام ١٨٣٨ برئاسة المستر يانج W.T. yang^(١) . ووجهت هذه القنصلية معظم جهودها لحماية الجالية اليهودية في فلسطين والتي لا يزيد عدد أفرادها عن تسعة آلاف نسمة موزعين بين القدس وصفد وطبريا وذلك بغية اسالة اليهود إلى جانب بريطانيا ضد الدولة العثمانية كما عملت القنصلية البريطانية جهدها لتشجيع الهجرة اليهودية إلى فلسطين لأسباب إستعمارية بينما بوضوح رسالة رئيس وزراء بريطانيا آنذاك (بالمرستون) إلى سفيره في استانبول يشرح فيها المنافع المادية والسياسية التي تعود على السلطان العثماني من جراء تشجيعه للهجرة اليهودية إلى فلسطين ، فقد جاء في تلك الرسالة : «أن عودة الشعب اليهودي إلى فلسطين بدعة من السلطان وتحت حمايته تشكل سداً في وجه مخططات شريرة يعاها محمد على أو من يخلفه»^(٢) .

وهذا يؤكّد بشكل قاطع أن بريطانيا لم تكن حريصة على مصالح الدولة العثمانية بقدر ما هي حريصة على مصالحها الإستعمارية في المنطقة ، فهي تريد أن تبقى المنطقة ضعيفه تحت سيطرة الدولة العثمانية (الرجل المريض) حتى يمكنها (بريطانيا) مستقبلاً أن تحصل على ما تريده في أعقاب إنهاء الدوله العثمانية . ولذا فإننا نجدها تقاوم بقوة أي محاولات إتحاديه بين مشرق الوطن العربي ومغربه ، وذلك عن طريق إقامة حاجز بشري غريب (اليهود) في فلسطين للحيلولة دون قيام وحدة عربية إسلامية .

ولم يقف الأمر عند هذا الحد ، فقد اشتركت بريطانيا مع روسيا في إنشاء أول أسقفية في القدس عام ١٨٤١ ، وعيّنت الكنيسة اليهودية متصرّاً أسقفاً عليها يدعى سلومون الكندر Salmon Alexander . ولعبت كذلك شخصيات بريطانيا دوراً في تقوية الفكرة الصهيونية ، مثل اللورد شافتسبury

(١) عز الدين فوده : قضية القدس في محيط العلاقات الدولية ، ص ١١٠ ، ١٣٨ . P.6.

(٢) عبد الوهاب الكيالي : تاريخ فلسطين الحديث ، ص ٢٧ .

قريب بالمرستون وزير الخارجية حينذاك ، فقد تقدم بمذكرة إلى مؤتمر لندن ١٨٤٠ يطلب فيها إرجاع اليهود إلى فلسطين . كما أن موسى متنفيوري حصل ليهود دمشق ورودس على بعض الحقوق من السلطان عبد المجيد ، وأنشأ أول مدرسة يهودية في فلسطين ١٨٣٥ ، كما كان أول يهودي أجنبي استملك أرضاً في فلسطين بموجب فرمان (مرسوم) حصل عليه من السلطان عبد المجيد أيضاً^(١) .

وإنطلاقاً من هذه المخططات البريطانية ، اندفع قادة الصهيونية نحو بريطانيا لتحقيق أهداف الصهيونية في فلسطين ، وبذل وايزمن ورفاقه جهوداً مكثفة لكسب تأييد المسؤولين البريطانيين إلى جانب المخطط الصهيوني^(٢) . كما لعب صهاينة الولايات المتحدة بزعامة القاضي لويس برانديس دوراً ناجحاً وهاماً في كسب وإدخال أشخاص يتمتعون بنفوذ ومركز قوة إلى الصفوف الصهيونية . وتعاون وايزمن ورفاقه في لندن مع برانديس ورفاقه في الولايات المتحدة الأمريكية ، تعاوناً وثيقاً ، ونجحا في استصدار تصريح بلفور من قبل الحكومة البريطانية وتدعمه الولايات المتحدة^(٣) . ويعتبر تصريح بلفور أهم تطور حققه الصهاينة بعد مؤتمر بازل الأول ، فقد استطاع الصهاينة بوساطة هذا التصريح إيجاد الركيزة التي يستندون عليها في عملية الإستيطان الجماعي في فلسطين بهدف تحويلها في النهاية إلى دولة يهودية .

وبينص تصريح بلفور الصادر في الثاني من نوفمبر عام ١٩١٧ والملجأه من وزير الخارجية البريطانية آرثر جميس بلفور إلى الزعيم الصهيوني اللورد روتشفيلد على ما يلى : «أن حكومة جلالة الملك تنظر بعين العطف إلى تأسيس وطن قومي للشعب اليهودي في فلسطين ، وستبذل جهدها تسهيل تحقيق هذه الغاية ، على أن يفهم جلياً ، أنه لن يؤتى بعمل من شأنه أن يضر بالحقوق المدنية والدينية التي تتمتع بها الطوائف غير اليهودية المقيمة الآن في فلسطين ، ولا الحقوق والوضع السياسي الذي يتمتع به اليهود في البلدان الأخرى»^(٤) .

(١) نقولا الدر: هكذا ضاعت... وهكذا تعود ، ص ٢٤ - ٣٦

(٢) Encyclo pedia of zionism and Israel , vol.I (New York 1971) col 412.

(٣) stein, heonurd : The Balfour Declaration, p.531.

(٤) Hurewitz, J.C. : Diplomacy in the near and Middle East , Vol.2 p.26.

وعلى العموم ، فإن موافقة بريطانيا على إصدار تصريح بلفور لم يكن إقتناعا منها بحق اليهود في فلسطين فحسب ، بل إن عدة اعتبارات سياسية وعسكرية حملتها على ذلك ، ومن هذه الإعتبارات ماله ارتباط وثيق بوضع قناة السويس ، وتأمين مواصلات بريطانيا مع مستعمراتها ، ومنها أيضا أن الحكومة الألمانية كانت تبذل المساعي الحادة للسيطرة على الحركة الصهيونية^(١) . كما أخذت بريطانيا بعين الإعتبار إمكان استخدام الصهيونية لمواجهة حركة التحرر القومي العربية في بلاد الشام والعراق وغيرها^(٢) .

ولاشك أن الساسة البريطانيين قد نظروا إلى الحركة الصهيونية نظرة استعمارية ، إذ أنهم وجدوا أنهم يستطيعون من خلالها وعبر قنواتها وجودا دائماً في الشرق العربي وخاصة والشرق الإسلامي بعامة . ويفوكد ذلك ما قاله لويس جولدنج L. Golding : « إن الصهيونية كانت منذ البداية حركة انجلizية لا حركة يهودية فحسب »^(٣) .

وقد ذكر ونستون تشرشل Winston Churchill في الجلسة التي وافق فيها مجلس الوزراء البريطاني على وعد بلفور : « إن قيام وطن قومي لليهود في فلسطين يخدم أهداف بريطانيا من حيث إنه يساعدها على مواجهة تناقض المصالح الحادة بينها وبين العرب . هذا الوطن القومي لليهود في فلسطين سوف يكون عازلاً يفصل بين العرب شرق سيناء والعرب غرب سيناء ، ثم إن هذا الوطن القومي لليهود الذي سيكون بمدعاة إلى الدفاع عن نفسه ضد الإمتداد العربي الواسع ، سوف يبقى دائماً في أحضان الغرب الذي يستطيع في أي وقت أن يستعمله كقاعدة للعمل ضد أي تهديد لمصالح الإمبراطورية البريطانية في مصر من ناحية أو في العراق من ناحية أخرى ، كذلك فإن هذا الوطن القومي لليهود سوف يشغل العرب ويفصل طاقتهم أول بأول^(٤) ..

(١) Sykes, christe pher: Cross Roads to Israel (London 1965) p.40

(٢) أميل توبا : جذور القضية الفلسطينية ، بيروت ١٩٧٣ ، ص ٨٢ .

(٣)

Goldiny, lewis: The Jewish problem . (London 1949)p.183.

(٤) جريدة الأهرام ، ١٠/٣١ ١٩٦٩ نقل عن وليم فهمي : الهجرة اليهودية ، ص ٣٦٦ .

وقال تشرشل في مذكراته أيضاً : « وإذا أتيح في حياتنا ، وهو ما سيقع حتماً أن نشهد مولد دولة يهودية ، لا في فلسطين وحدها ، بل على ضفتي الأردن معاً ، تقوم تحت حماية الناج البريطاني ، وتضم نحوها من ثلاثة أو أربعة ملايين من اليهود ، فإننا سنشهد وقوع حادث يتفق تمام الإتفاق مع المصالح الحقيقة للإمبراطورية البريطانية »^(١) . كما أدى أورمسي غور Ormesby qhour وكيل وزارة المستعمرات البريطانية ، بالتصريح التالي في جلسة ٩ يوليو عام ١٩٢٣ : « أن هدف وجودنا في فلسطين ليس فقط لاحتفاظ بها وطننا روحياً لليهود ولكن هناك أسباب أخرى »^(٢) . وأدى كثيرون من الساسة البريطانيين بتصريحات مشابهة .

والواقع أن تصريح تشرشل يكشف بوضوح وجلاء أهداف السياسة البريطانية بخاصة والسياسة الاستعمارية بعمومها في منطقة الشرق العربي . تلك السياسة التي رسماها مخططو ومنظرو السياسة الاستعمارية والتي لا زالت قائمة حتى اليوم بالرغم من انحسار النفوذ البريطاني من المنطقة العربية ، غير أن الولايات المتحدة الأمريكية تقوم بهذا الدور الآن والذي حددهته السياسة الاستعمارية حسب ما جاء في تقرير كامبل باترمان الذي أشرنا إليه سابقاً .

ولكن السياسة البريطانية قد تطورت تجاه الصهيونية من العطف كما جاء في تصريح بلفور عام ١٩١٧ إلى الالتزام بتنفيذ ما جاء في التصريح ، وذلك في أعقاب الاحتلال البريطاني لفلسطين بقيادة الجنرال اللبناني Allenby الذي دخلت جيوشه القدس في ١١ ديسمبر (كانون أول) عام ١٩١٧ ، أي بعد فترة وجيزة من إعلان ذلك التصريح^(٣) . وأعلن اللنبي الأحكام العسكرية ، وشكل إدارة عسكرية تتولى شئون البلاد . وقد اتصفـت فترة الحكم العسكري في فلسطين بثلاث مظاهر رئيسية هي : الحكم المطلق ، وسيطرة العناصر اليهودية

(١) أنيس وحراز : الشرق العربي في التاريخ الحديث والمعاصر ، ص ٤١٠ .

(٢) Parliamentary Debates: House of commons , vol. two, col.900

(٣) عبد الوهاب الكيلاني : تاريخ فلسطين الحديث ، بيروت ١٩٧١ ، ص ١٠٣ .

على الإٰدراة العسكريّة ، والمحافظة على بعض الأنظمة العُمانيّة في إٰدراة البلاد .
والتي كانت تخدم أهداف ومصالح الإٰحتلال العسكري في فلسطين^(١) .

ومعها كان الأمر ، فإن الصهابيّة لم يكتفوا بإٰصدار تصريح بلفور ، بل
عملوا جاهدين من خلال توافق سياساتهم مع السياسة الإٰستعماريّة البريطانيّة على
كسب تأييد الدول الكبّرى الأخرى لذلّك التصريح لكي يكتسب شرعية
دولية ، وقد أمرت جهودهم تلك قبل صدور التصريح نفسه ، حينما جاء أول
تأييد دولي من رئيس الولايات المتحدة الأمريكية ولسون . وفي ١٤ فبراير عام
١٩١٨ وافقت عليه فرنسا ، كما أيدته واعترفت به إيطاليا في ٩ مايو من العام
نفسه^(٢) .

ولم يمض وقت طويّل على انتهاء الحرب العالميّة الأولى ، واستسلام تركيا في
٣٠ أكتوبر ١٩١٨ ، حتى قرر المجلس الأعلى مؤتمر الصلح في باريس في يناير عام
١٩١٩ ، عدم إمكانية إعادة المقاطعات العربيّة المحتلة ومنها فلسطين إلى الحكم
العُماني^(٣) . وفي ٢٥ أبريل عام ١٩٢٠ قرر مجلس الحلفاء المنعقد في سان ريمو
وضع فلسطين تحت الإٰنتداب البريطاني ، وقبل أن تصادق عصبة الأمم على هذا
القرار كانت بريطانيا قد سارعت في الأول من تموز (يوليو) عام ١٩٢٠ إلى
إقامة إٰدراة مدنية لتحكم بواسطتها فلسطين ، وعيّنت أول مندوب سام لها هناك
أحد كبار الصهابيّة البريطانيّين هو السير هيربرت صموئيل^(٤) Herbert Samuel
والذى كان له اليـد الطولـى في إـصدار وعد بلفور . وهكذا تشكـلت الإـدراة
المدنـية الجديدة التي أخذـت على عاتـقها تنـفيـذـ السـيـاسـةـ الـبـرـيطـانـيـةـ يجعلـ فـلـسـطـينـ
وطـنـاـ قـومـياـ لـلـيهـودـ وـذـلـكـ أـثـنـاءـ فـرـةـ الإـنتـدـابـ الـبـرـيطـانـيـ علىـ فـلـسـطـينـ .

فلسطين تحت الإٰنتداب البريطاني :

رفعت بريطانيا مشروع صك الإٰنتداب إلى عصبة الأمم كما اقترحـتهـ الحـرـكةـ

Eneyclopedia of zionism and Israel , vol 2, col. 749.

(١)

Garegnment of palestine: A survey of palestine , vol.I.(Jerusalem 1946)p.1.

(٢)

Ibid. p.2.

(٣)

war Memoirs of David Lloyd George , vol 2 (New york 1943)pp.1090-1091

(٤)

الصهيونية دون تبديل أو تعديل في ٢٤ يونيو ١٩٢٢ ، فأقرته العصبة في ٢٤ يوليو من العام نفسه إستنادا إلى المادة (٢٢) من ميثاق عصبة الأمم^(١) .

ويتكون صك الإنذاب من مقدمة وثمان وعشرين مادة ، وتضمنت مقدمة صك الإنذاب نص وعد بلفور وموافقة دول الحلفاء على إنشاء الوطن القومي اليهودي ومسؤولية الدولة المنتدبة عن إنشاء هذا الوطن . كما نصت الفقرة الثانية من مقدمة صك الإنذاب على « الإعتراف بصلة الشعب اليهودي التاريخية بفلسطين ، وبأنس إعادة بنائهم لوطنهم القومي في ذلك البلد »^(٢) . وعلى ذلك ، فقد كان صك الإنذاب نصرا آخر للصهيونية إذ حوى هاتين الفكرتين اللتين خلا مهما وعد بلفور .

وجاء في المادة الثانية أنه على الدولة المنتدبة « أن تهأ في البلاد من الأحوال السياسية والإدارية والاقتصادية ما يضمن إنشاء الوطن القومي اليهودي ». ونصت المادة الرابعة على قيام « وكالة يهودية » يعرف بها كهيئة عامة من أجل تقديم المشورة والتعاون مع السلطات الإدارية في فلسطين في الشؤون الاقتصادية والاجتماعية وغيرها من الشؤون التي قد تؤثر في إنشاء الوطن القومي اليهودي ». وأجارت المادة الحادية عشرة لإدارة الإنذاب أن تتعاون مع الوكالة اليهودية على إنشاء أو تشغيل أية مرافق وخدمات عامة على أساس عادل ، وتطوير أية موارد طبيعية توجد في البلاد ». ونصت المادة السادسة على « وجوب تسهيل الهجرة اليهودية إلى فلسطين ، وأن يستقروا في الأراضي الأميرية والأراضي الموات غير المطلوبة » وطلبت « المادة السابقة من الدولة المنتدبة » أن تسن قانونا للجنسية يتضمن نصوصا بتسهيل حصول اليهود الذين يتخذون فلسطين مقاما دائما لهم

(١) Parlimentary Debates: Hawse of Lords , vol.44.col.1062.20th April 1921

وقد ذكر الفورد لامنجتون Lamington بأن صك الإنذاب يتعارض مع المادة ٢٢ من الميثاق ، لأن المادة المذكورة تدعو إلى إستشارة الشعب الفلسطيني وأخذ رغبته في قبول الإنذاب وهذا لم يتم بإعتراف الحكومة .

(٢) فايز صايغ : الدبلوماسية الصهيونية (بيروت ١٩٦٧) ، ص ١٤٤ .

على الرعوية الفلسطينية» . ونصت المادة الثانية والعشرون على جعل اللغة العربية - إلى جانب اللغتين الإنجليزية والعربية - لغة رسمية في البلاد^(١) .

وهكذا يتبيّن لنا أن مهمّة الدولة المتبدلة الرئيسية . وعلى نحو ما تتضمّنه التراّمات صك الإنّداب ، هي تهيّئة الوسائل الكفيلة بإنشاء وطن قومي لليهود في فلسطين . ومن ثم ، فلا عجب أن يعتبر حايم وايزمن استصدار صك الإنّداب بمثابة نهاية الفصل الأول من نضال الصهيونية الطويل .

عملت بريطانيا بتعضيد من عصبة الأمم والدول الاستعمارية والحركة الصهيونية على تهويد فلسطين وخلق الظروف الملائمة لتأسيس الوطن القومي اليهودي ، فعيّنت - بفضفط من الصهيونية - هيربرت صموئيل كأول مندوب سام لها في فلسطين كما أشرنا وهو صهيوني متطرف ، وسرعان ما خلق جهازا إداريا يرضى اليهود ، وينفذ أغراضهم ، فعين المستر نورمان بنتويش Norman Bentwich سكرتيرا قضائيا (نائبا عاما) ويتولى وضع القوانين وسن التشريعات الالزمة لفلسطين . وفتح أبواب المناصب لليهود برغم قلة عددهم حتى أصبحت أربعة أضعاف العرب ، وسلم الإدارة المهاجرة لمدير يهودي يدعى « حايمسون » كما سلم إدارة التجارة اليهودي آخر ولم تبق دائرة إلا ويرأسها يهودي أو يساعد مديرها البريطاني يهودي آخر^(٢) .

وبدأت بريطانيا بسن التشريعات ووضع القوانين الالزمة لتنفيذ خططها ، فأصدرت قانون الهجرة الذي سمح بدخول فلسطين لكل الأشخاص الذين لهم موارد مستقلة ، وسمحت بدخول ١٦٥٠٠ يهودي كل عام^(٣) . وسنت سلطات الإحتلال البريطاني بعض القوانين التي تتيح لليهود إمتلاك الأموال غير المنقوله ، وقانون آخر بنزع الملكية ، وقد سنت في عهد صموئيل مئات القوانين التي حدّت

(١) الوثائق الرئيسية في قضية فلسطين ، إصدار الأمانة العامة للجامعة العربية ، القاهرة ١٩٥٧ ، وثيقة رقم ٢٧ صك الإنّداب ص ١٢٨ - ١٣٧ .

(٢) صالح مسعود أبو يصیر: جهاد شعب فلسطين في نصف قرن ، ١٩٧٠ ، ص ٩٦ - ٩٧ .

Survey of Palestine , p.9.

من نشاط العرب وحالت اليهود وسهلت هجرتهم والتي منعت تصدير الحاصلات العربية ، لتكسيد تجارة الشعب العربي الفلسطيني ، ولئن الفلاحون العرب تحت وطأة الديون ، وتتابع أراضيهم سداداً لتلك الديون^(١)

وحين وضع صموئيل اللبنات الأولى في اتفاقية العرق باتفاق كاهلهم بالضرائب وسلخ أراضيهم ، أخذ يضع اللبنات القوية في تنمية ثروة اليهود وتمكينهم اقتصادياً من فلسطين^(٢) . فاقطع لهم الأراضي ومنهم المشروعات الصناعية الهامة (مشروع كهرباء فلسطين) ، فقد حصل بنساس روتبرغ P. Roten birg على مشروع كهرباء فلسطين لمدة ٧٥ عاماً ، وتشكلت في المدن والمستعمرات اليهودية هيئات سياسية ودينية واجتماعية لها مميزات قومية^(٣) ، وأصبحت اللغة العربية لغة رسمية في البلاد^(٤) .

وعلى العموم ، فإن أبرز وأهم وسائل التهويد هي الهجرة اليهودية إلى فلسطين وما نتج عنها من تحول ديمغرافي للسكان ، وتملك اليهود للأراضي . وهاتان النقطتان جديرتان بالبحث بشيء من التفصيل وسأعالج ذلك بموضوعية وعلمية .

أما بالنسبة للسكان في فلسطين ، فقد تطور في ظل الإنتداب البريطاني بنسب غير طبيعية بين العرب واليهود وذلك بسبب فتح بريطانيا أبواب البلاد على

(١) الأرض الفلسطينية بين الشرعية والإغتصاب ، مشورات اتحاد الحقوقين الفلسطينيين ، بيروت ١٩٧٠ ، ص ٥٩ - ٦٠ .

(٢) صالح مسعود أبو يصير: المصدر السابق ، ص ٩٨ .

(٣) الوثائق الرئيسية في قضية فلسطين ، وثيقه رقم ٢٩ ، الكتاب الأبيض ١٩٢٢ ، ص ١٥٩ . يذكر تشرشل في كتابه الأبيض . . . ولكن حتى يكون للطائفه اليهوديه أمل وطريق في تقدمها الحر ويفسح للشعب اليهودي مجال واسع لكي يظهر مقدراته ، كان من الضروري أن يعلم بأن وجوده في فلسطين هو حق وليس منه . .

(٤) Parliamentary Debates: House of Lords . Lord sydenham col.49.eol.447 14 Eel.1922 . وقد سال اللورد سيد نهام كيف تقرر الحكومة فرض اللغة العربية بالقوة في بلاد لا يتكلم فيها هذه اللغة سوى ٥٪ فقط من السكان .

مصاريعها أمام موجات الهجرة اليهودية إلى فلسطين. ومعلوم أن زعماء الصهيونية قد أتوا مسألة الهجرة إلى فلسطين حل عنائهم ، فقد أخذوا يدفعون باليهود دفعا تارة بالإغراء والتشجيع وتارة أخرى بالوعيد والترهيب من أجل السفر إلى فلسطين والإقامة بها والإستيطان فيها ، وذلك كخطوة هامة من خطوات تهويد البلاد ، فهم يعلمون بأن العرب يشكلون الغالبية الساحقة من سكان فلسطين ، فالبلاد بلادهم والوطن وطنهم .

ومنذ منتصف القرن التاسع عشر وعدد اليهود في فلسطين يزداد بسرعة بسبب وصول العديد من المهاجرين ، وبخاصة على أثر الإضطهاد في روسيا في عام ١٨٨٢ ، في عام ١٨٤٥ كان عدد اليهود في فلسطين نحو ١٢ ألف نسمة ، وفي عام ١٨٨٢ وصل عددهم إلى ٢٤ ألف نسمة ، وفي عام ١٨٩٥ قدروا بنحو ٤٧ ألف نسمة ثم تزايدوا إلى ٨٥ ألف نسمة في عام ١٩١٤^(١) .

واستنادا إلى بعض التقديرات ، فقد كان يسكن فلسطين في منتصف القرن التاسع عشر نحو نصف مليون نسمة منهم ٨٠٪ عرب مسلمون و ١٠٪ عرب مسيحيون ، أي أن العرب كانوا يبلغون ٩٠٪ من جملة السكان ، في حين أن نسبة السكان اليهود كانت تتراوح ما بين ٥ إلى ٧٪ من مجموع السكان . أما الباقي فيتألف من عناصر سكانية أخرى^(٢)

وقد كانت المجرات اليهودية إلى فلسطين على شكل موجات ، كل موجة منها تم عقب حدث من الأحداث الدولية وال محلية أو نتيجة خطة صهيونية موصوعة . فالموجة الأولى مثلاً حدثت بين عامي ١٨٨٣ و ١٩٠٣ وكان معظمها من روسيا القيصرية ، وذلك بسبب إضطهاد اليهود نتيجة إشتراكهم في إغتيال قيسار روسيا ، حيث قدرت بما يتراوح ما بين ٢٠ إلى ٣٠ ألف مهاجر

(١)

Hurewitz, J.C.: The struggle for palestine,(New York 1968) p.27.

(٢) جانيت أبو لند : « التحول الديموغرافي لفلسطين » بحث في كتاب تهديد فلسطين ، إعداد وتحوير إبراهيم أبو لند وترجمة الدكتور أسد رزوق ، مركز الأبحاث الفلسطينية ، بيروت ١٩٧٢ ، ص ١٥٦ .

يهودي^(١) . ومع حلول عام ١٩٠٠ كان حوالي ٥ ألف يهودي يقطنون فلسطين معظمهم على شكل أقليات تستوطن القدس و耶افا .

وفي الفترة من ١٩٠٤ إلى ١٩١٤ جاءت الموجة الثانية ، وكان معظم أفرادها من روسيا أيضا ، وقد قدر عددهم بما يراوح بين ٣٥ إلى ٤٠ ألف يهودي . ولكن منذ عام ١٩١٤ أنشأ اليهود ٤٤ مستعمرة (قرية) استواعبت نحو ١٤٪ من مجموع السكان بفلسطين^(٢) .

وفى بين عامى ١٩١٤ و ١٩٣٦ تزايد عدد اليهود بفلسطين بنحو ٤٠٠٪ واتسعت المساحة المملوكة لليهود نحو ٢٠٠٪ أي من ١١٠ ألف فدان إلى ٣٠٨ ألف فدان وهذا يشكل نحو ٦٤٪ من مساحة البلاد^(٣) .

هذا وقد أخذت هذه الهجرات تتواتى على فلسطين بتشجيع ودعم من حكومة الإنتداب البريطاني التي أخذت على عاتقها تنفيذ مخطط التهويد ، ونتيجة لذلك أخذ عدد اليهود يتزايد يوما بعد يوم ، كما ازدادت أملاكهم التي منحهم إياها بريطانيا في فلسطين وسهلت لهم طرق شراءها من بعض الأسر غير الفلسطينية . وقد مول هذه الهجرات كبار الرأسماليين اليهود مثل البارون «أدموندروتشيلد» الذي أنفق نحو ٦٥ مليون جنيه إسترليني بين عامى ١٨٨٣ و ١٩٣٧ على الإستيطان اليهودي بفلسطين ، وكذلك البارون «دي هيرش De Hirsch » الذي خصص نحو عشرة ملايين جنيه لبناء الوطن القومي في فلسطين^(٤) .

وطبقاً لهذه السياسة الإستعمارية ، فقد تطور عدد سكان فلسطين في ظل الإنتداب البريطاني بحسب غير طبيعية بين العرب واليهود وذلك بسبب فتح بريطانيا أبواب البلاد أمام موجات الهجرة اليهودية في فلسطين . في عام ١٩١٨ ، عندما احتلت بريطانيا البلاد ، كان عدد سكانها حوالي ٧٠٠٠٠٠ .

(١) كامل محمود خلة : فلسطين والإنتداب البريطاني ، ص ٤٩٨ .

Hurewitz,J.C. : op.cit .. p.28.

Ibid.

(٢)

(٣)

(٤) كامل خلة : المرجع السابق ، ص ٤٩٨ .

نسمة منهم ٦٤٤٠٠٠ من العرب (٥٧٤٠٠٠ مسلم و ٧٠٠٠ مسيحي) و ٥٦٠٠٠ يهودي^(١) . أى أن اليهود آنذاك لم يزيدوا على ٨٪ من سكان البلاد في حين أن العرب كانوا يشكلون الأغلبية الساحقة أى ٩١٪ على الرغم من الهجرات اليهودية الكثيرة التي غزت البلاد.

وفي ٣١ ديسمبر ١٩٢٢ ، أجرت حكومة الانتداب أول إحصاء رسمي لفلسطين ومنه تبين أن سكان فلسطين تزايدوا بلغوا نحو ٧٥٧١٨٢ نسمة منهم نحو ٥٩٠٨٩٠ عربياً مسلماً أى نحو ٧٨٪ من سكان البلاد ، ونحو ٧٣٠٢٥ عربياً مسيحياً أو ما يوازي ٩٦٪ من السكان .. وبذلك أصبح العرب يمثلون ٦٪ في حين بلغ عدد اليهود ٨٣٧٩٤ نسمة أو حوالي ١١٪ من سكان البلاد ، والباقي ومقداره ٩٤٧٤ نسمة أو نحو ١٢٪ للمذاهب الأخرى^(٢) .

وهذا يعني أنه على الرغم من تزايد السكان العرب في الفترة الواقعة ما بين ١٩١٤ و ١٩٢٢ بنسبة ٥٪ وهي نتيجة الزيادة الطبيعية الصرف ، نجد أن اليهود تزايدوا في نفس الفترة بنسبة ٣٩٪ بسبب الهجرات اليهودية التي تدفقت على فلسطين : وبمعنى آخر فإن تحولاً ديموغرافياً بدأ يظهر بوضوح لصالح اليهود ، في حين تراجعت نسبة السكان العرب . من ٩١٪ من مجموع السكان في عام ١٩١٨ إلى ٨٧٪ في عام ١٩٢٢ ، نجد أن نسبة السكان اليهود قد زادت في نفس الفترة من ٨٪ إلى ١١٪ ، وهذا يعود إلى الهجرة اليهودية التي تدفقت على فلسطين إبان عهد الانتداب .

وجرى عام ١٩٣١ إحصاء آخر تبين منه أن عدد السكان قد ازداد بلغ ١٠٣٥٨٢١ نسمة منهم ١١٠٧٥٩ مسلم أو نحو ٣٪ من السكان ، وحوالي ٩١٣٩٨ مسيحياً أو نحو ٨٪ من جملة السكان ، في حين ارتفع عدد اليهود إلى ١٧٤٠٠٦ نسمة أو حوالي ٨٪ من مجموع سكان فلسطين ، أى

(١)

Asurvey of Palestine, vol .p. 14.

(٢) جانبت ابو لندن: « التحول الديمغرافي لفلسطين » بحث كمن كتاب تهديد فلسطين ، ص

أنه حين تزايد السكان المسلمين بنسبة ٢٨٪ في مدى عشر سنوات أو بمعدل ٢٪ سنوياً ، نجد أن تزايد اليهود بلغ ١٠٪ أو بمعدل ١٪ سنوياً ، أي أنهم يلغوا أكثر من الصحف في بحر عشر سنوات . وهذا يعكس حركة الهجرة المكثفة في هذه الفترة والتي بلغت الأوج ، إذ لم يسبق أن وفدت إلى فلسطين هجرة يهودية واسعة النطاق على هذا النحو . في عام ١٩٢٥ فقط هاجر نحو ٣٤ ألف يهودي إلى فلسطين^(١) . ويضاف إلى الأرقام السابقة في أعداد السكان ١٠١ فتات أخرى .

وابتداء من عام ١٩٣٢ وحتى عام ١٩٣٦ أخذت تتدفق على البلاد أفواج عديدة من المهاجرين بشكل لم يسبق له مثيل مما أثار شعور الإستياء والغضب لدى عرب فلسطين ، وكان هنا أحد الأسباب الرئيسية التي فجرت ثورة ١٩٣٦ الشهيرة . وعلى مدى الأربع سنوات هذه (١٩٣٢ - ١٩٣٦) دخل البلاد ما لا يقل عن ١٧٤ ألف مهاجر يهودي مما رفع عدد السكان اليهود إلى ٣٧٠ ألف نسمة ، وذلك بناء على تقدير لجنة بيل التي أرسلت للتحقيق في المأساة الفلسطينية في عام ١٩٣٦ ، في حين أن الوكالة اليهودية قدرت يهود فلسطين في نهاية عام ١٩٣٦ بنحو ٣٨٤ ألف نسمة ، وبذلك أصبح اليهود يشكلون أقلية كبيرة بلغت نسبتها ٢٨٪ من سكان البلاد^(٢) .

ومن الملاحظ أن البلاد قد شهدت موجات من الهجرة في هذه الفترة لم يسبق لها مثيل وذلك بسبب مجئ النازية إلى الحكم في ألمانيا ، والتواطؤ السري بين زعماء النازية وزعماء الصهيونية باشراف الاستعمار على تهجير اليهود إلى فلسطين . فقد كشفت الوثائق عن تواطؤ زعماء اليهود مع النازيين الألمان ، لذبح اليهود الذين يرفضون الهجرة إلى فلسطين من الشباب وتسليم كبار السن من الرجال والنساء إلى المذابح الهمتلية النازية ، ولقد تأكد لدى العارفين من اليهود أن زعماءهم في الحرب العالمية الثانية كان بإمكانهم إنقاذ أعداد هائلة من يهود ألمانيا وبولندا إلا أنهم لم يقوموا بأى جهد يذكر من أجل ذلك المهدف^(٣) .

Survey of palestine, vol.I.p.149.

(١)

(٢) جانيت أبو لند : المرجع السابق ، ص ١٦٣ .

(٣) رفيق شاكر التشه : الإسلام وفلسطين ، ص ٣٢ .

ويمها يكن من أمر ، فلو أن السياسة الألمانية سارت في طريق آخر عند مطلع الثلاثينيات ، لما كانت هناك على الأرجح «مشكلة فلسطينية» في الأربعينيات ، ولا نزاع عربي إسرائيلي اليوم . ففي أواخر العشرينات تضاءلت الهجرة اليهودية إلى فلسطين ليصبح صاف المتدفق منها بضعة آلاف من المهاجرين في السنة ، ومن الممكن إنها كانت ستحافظ على تلك المستويات المتواضعة فيما لو قدر للظروف السوية أن تسود . ويبدو أن العارفين من اليهود من ذوى الأموال بالإتفاق هم الذين هاجروا إلى فلسطين ، لأن يهود ألمانيا الذين وفدو إلى فلسطين آنذاك أثروا على اقتصاد فلسطين ، وزادوا من الدعم الاقتصادي والدخل القومي في وقت كانت معظم الدول تشكو قلة النقود وغلاء الأسعار .

وفي عام ١٩٤٤ قدرت الحكومة البريطانية (حكومة فلسطين) بمجموع السكان بحوالي ١٧٩٠٠٠ راً عربي ، ٥٥٤٠٠٠ يهودي ، ٣٢٠٠٠ فتات أخرى^(١) . وفي عام ١٩٤٦ وصل عدد سكان فلسطين إلى ٢١٤ راً ٨٨٧ نسمة منهم نحو ٣٢٧ راً يهوديا ، أي أنهم أصبحوا يشكلون نحو ٣١٪ من سكان البلاد^(٢)

وأجرت حكومة الإنذاب البريطاني في ٣١ مارس ١٩٤٧ آخر تعداد رسمي لسكان فلسطين فكان نحو ٨٧٧٥٠١٩٠ نسمة موزعين على التعداد التالي :

عدد المسلمين	عدد اليهود	عدد المسيحيين
١١٥٧٤٤٢٣	٠٥٨٩٣٤١	١٤٦٧١٦٢
نسمة أى أئمهم شكلوا من جملة السكان	نسمة أى أئمهم شكلوا من جملة السكان	نسمة أى أئمهم شكلوا من جملة السكان
٦٠٦%	٣٠٨%	٧٧٦%

وفي عام ١٩٤٨ قدر عدد سكان فلسطين بحوالي ٦٥٠٠٠٠٠ نسمة منهم ١٥٠٠٠٠٠ عربي و ٥٠٠٠٠ يهودي^(٣).

ويتضح من ذلك أن نسبة اليهود من مجموع السكان قد ارتفعت من ٨٪ عام

(١) المصدر السابق survey of palestine.

(٢) محمد الفراء : «تهبـه فـلـسـطـن»

(٢) الأرض الفلسطينية بين الشريعة والإذن بـ، ص ٣٩.

إلى حوالي ١١٪ عام ١٩٢٢ إلى ١٧٪ عام ١٩٣١ ، إلى ٣١٪ عام ١٩٤٤ ، ومنتصف مايو (مايو) ١٩٤٨ أيضاً بلغت النسبة ٣١٪ من عدد السكان^(١).

هذا التقدم السريع في زيادة حجم الطائفة اليهودية ، شيء - مروع للغاية ، وما يزيده غرابة أن المعدل للزيادة الطبيعية بين العرب الفلسطينيين كانت حوالي ٥٪ أعلى منها بين اليهود الفلسطينيين (أي ٣٪ للعرب و ٢٪ للיהודים) والسبب في هذا الارتفاع في نسبة تعداد اليهود من مجموع السكان هو حجم الهجرة اليهودية الواسعة التي سمحت بريطانيا بدخول موجاتها إلى فلسطين^(٢).

ويوضح الجدول التالي عدد المهاجرين اليهود من بداية الإدارة المدنية في فلسطين^(٣):

السنة	عدد المهاجرين	السنة	عدد المهاجرين اليهود	السنة	عدد المهاجرين اليهود
١٠٤٤٥	١٩٤٠	٤٩٤٤	١٩٣٠	٥٥١٤	١٩٢٠
٥٨٨٦	١٩٤١	٤٠٧٥	١٩٣١	٩١٤٩	١٩٢١
٣٠٣٨	١٩٤٢	٩٥٥٣	١٩٣٢	٧٨٤٤	١٩٢٢
٨٥٠٧	١٩٤٣	٣٠٣٢٧	١٩٣٣	٧٤٢١	١٩٢٣
١٤٦٦	١٩٤٤	٤٢٣٥٩	١٩٣٤	١٢٨٥٦	١٩٢٤
١١٦١٦	١٩٤٥	٦١٨٥٤	١٩٣٥	٣٣٨٠١	١٩٢٥
٢٧٥٦٩	١٩٤٦	٢٩٧٢٧	١٩٣٦	١٣٠٨١	١٩٢٦
٨٣٩٨	١٩٤٧	١٠٥٣٦	١٩٣٧	٢٧١٣	١٩٢٧
٢٠٧٥٠	١٩٤٨	١٢٨٦٨	١٩٣٨	٢١٧٨	١٩٢٨
مجموع		١٦٤٥٥	١٩٣٩	٥٢٤٩	١٩٢٩
٦٥٠٠٠		اليهود			

(١) المصدر السابق.

(٢) المصدر السابق.

(٣) فاضل حسين: تاريخ السياسي تحت الإدارة البريطانية ، بغداد ١٩٦٧ ، ص ١٥ . وانظر كذلك ولهم فهمي: الهجرة اليهودية إلى فلسطين المحتلة ، ص ٧١ .

وفَّ أَعْقَابَ قِيامِ دُولَةِ الْكَيْانِ الصَّهِيْنُوْفِيِّ فِي ١٤ِ مَaiَوِيْ ١٩٤٨ ، زَادَ عَدْدُ الْيَهُودِ زِيَادَةً كَبِيرَةً نَتْيَاجَةً لِلْهِجَرَةِ الْمَكَشَفَةِ إِلَى فَلَسْطِينَ وَبِخَاصَّةً مِنَ الشَّبَابِ الْمَدْرَبِ عَلَى حَمْلِ السَّلَاحِ مِنْ أَجْلِ الْمَشَارِكَةِ فِي الْحَرْبِ الَّتِي قَامَتْ نَتْيَاجَةً قِيامِ هَذِهِ الدُّولَةِ عَلَى أَرْضِ فَلَسْطِينِ الْعَرَبِيَّةِ وَمَا تَرَبَّى عَلَى ذَلِكَ مِنْ طَرَدٍ وَتَشْرِيدٍ عَرَبِ فَلَسْطِينِ وَالَّذِينَ قَدِرَ عَدْدُهُمْ بِحَوْلَى مَلِيُونِ نَسْمَةٍ^(١) .

وبعد توقف القتال قامت اسرائيل في نوفمبر ١٩٤٨ باجراء احصاء للسكان تبين منه أن عدد العرب الذين ظلوا في فلسطين المحتلة نحو ١٢٠ ألف نسمة، وبذلك أصبحوا أقلية بعد أن كانوا يشكلون الأكثريّة الساحقة. هذا وقد أخذ عدد اليهود يتزايد عاماً بعد عام حتى بلغ عددهم في أول يناير ١٩٧١ حوالي ٢٥ مليون نسمة، وتنطليع اسرائيل إلى استقدام يهود العالم ولرما وصل عددهم حالياً الثلاثة ملايين^(٢).

وهكذا جرى استبدال كامل بالفعل للسكان الأصليين في فلسطين منذ بداية القرن العشرين في غضون فترة قصيرة لا تتجاوز جيلين من الناس بأجناس من الدخلاء ، وأصبحت أجزاء من فلسطين تحت الاحتلال الصهيوني منذ عام ١٩٤٨ ، وتحت سيطرة الكيان الصهيوني الدخيل على كل فلسطين في عام ١٩٦٧ . وقد تحولت فلسطين بذلك من أرض مأهولة بجاعة متوطنه وناطقة بالعربية (معظم سكانها من المسلمين ، لكنها تحوي أقلية صغيرة من المسيحيين واليهود الأصليين الذين إندرجوا مع الأكثريية لغوية وثقافيا) إلى بلد تقطنه أغلبية ساحقة من اليهود الذين جئ بهم من قارات آسيا وأوروبا وأفريقيا . أن هذا الإستبدال الجذرى المستمر حتى الآن للسكان ، رغم مقاومة وبمعارضة أهالى البلاد الأصليين أوجد ظلامه لا مثيل لها ، حيث تزعز الخلوى المقترحة للقضية حاليا نحو أبعادها إلى المسرح الخلفي .

(١) غالباً، سعد: «المigration اليهودية إلى فلسطين المحتلة»، بيروت ١٩٦٩؛ ص ٢٢٤.

(٢) *نحوة فلسطين العالمية*، الكويت فبراير ١٩٧٦، دراسات فلسطينية، ص ٢٨.

وهناك قضية أخرى تحتاج إلى معالجة متأنية دقيقة ، تلك هي قضية إمتلاك اليهود للأراضي فلسطين بمساعدة سلطات الإنتداب البريطاني .
تبلغ مساحة فلسطين ٢٧ مليون دونم مربع ، منها ١٢ مليون دونم مسجلة أراضي أميرية للدولة ، ١٣٦٧٣٣٢٠ دونم مسجلة أملاكا باسم عرب فلسطين ، ٦٥٠٠٠ دونم مسجلة أملاكا باسم اليهود^(١) .

ويذل اليهود جهوداً مكثفة من أجل تملك أقصى قدر ممكن من أراضي فلسطين بعد فشلهم في شرائها من السلطان العثماني وقت أن كانت البلاد تحت الحكم العثماني . واعتبر اليهود تملك الأرض من أقوى الوسائل التي تمكنهم من تهديد فلسطين توطئة لتأسيس دولتهم .

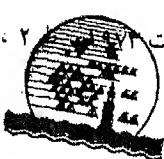
ولا شك في أن مسألة الإستيلاء على أراضي فلسطين كان قد خطط لها بمهارة وذكاء منذ ظهور الحركة الصهيونية . فقد كتب تيودور هرتزل في يومياته في عام ١٨٩٥ في هذا الصدد ما يلى : « أنه يتوجب نزع الملكية الخاصة بلفظ . . . سوف نحاول تسريب السكان المعدمين عبر الحدود بتأمين مجالات الإستخدام لهم في بلدان العبور ، على أن نسد أمامهم كل مجال للعمل في بلادنا . . . العمليتان : عملية نزع الملكية ، وعملية ابعاد الفقراء يجب تنفيذهما بحذر واحتراس وتقدير . لا بأس أن اعتقاد أصحاب العقارات والأراضي بأنهم يغشوننا فيبيعوننا الأشياء بأسعار تفوق قيمتها المستحقة ، نحن لم نبيعهم شيئاً على الإطلاق متى جاءوا لاسترداده بالشراء »^(٢) .

ومع حلول عام ١٩٠١ أنشأ هرتزل وزملاؤه في زعامة الحركة الصهيونية ما يسمى بالصندوق اليهودي « كيرن كايميت » لتنفيذ خطط شراء الأراضي « كملك لا تنتهي حرمتها للشعب اليهودي » . وفي عام ١٩٢٠ تأسس الصندوق التأسيسي « كيرنا هايسود » والذي أصبح أكثر جهاز مالي للعمل الصهيوني في فلسطين^(٣) .

(١) المصدر السابق .

(٢) يوميات هرتزل ، ترجمة هلدا الصايغ ، مركز الأبحاث الفلسطينية ، بيروت ، ٢٠٠٢ ، ص ٦ .

(٣) كامل خله : فلسطين والإنتداب البريطاني ، ص ٤٨١ .



وعلى الرغم مما بذله اليهود من مختلف الوسائل والإغراءات ، وبالرغم من تسخير حكومة الإنتداب لتنفيذ مخططاتهم ، فإنهم لم يتمكنوا من أن يتسلكوا إلا نحو مليوني دونم أي ما يعادل ٧٪ فقط من مجموع أراضي فلسطين البالغة ٢٧ مليون دونم وذلك منذ أن بدأوا بالمجرة إلى فلسطين ، وحتى انتهاء الإنتداب البريطاني في ١٥ مايو ١٩٤٨ . وقد استطاع اليهود الاستيلاء على المليوني دونم بالوسائل الآتية^(١) :

٦٥٠٠٠ دونم استولى عليها اليهود في عهد الحكومة العثمانية (خلال حقبة طويلة) بحججة إنعاش الزراعة وإنشاء مدارس زراعية .

٣٠٠٠٠ دونم منحتها حكومة الإنتداب البريطاني لليهود دون مقابل (وهي من أملاك الدولة)

٢٠٠٠٠ دونم منحتها حكومة الإنتداب البريطاني لليهود لقاء أجراة اسمية (وهي من أملاك الدولة)

٦٣٥٠٠ دونم اشراها اليهود من بعض اللبنانيين والسوريين الذين كانوا يملكون أراضي في فلسطين منذ الحكم العثماني مثل (أراضي مرج بن عامر ، ووادي الحوارث ، والحولة وغيرها) . فقد باعت عائلة سرسق اللبنانية ٢٤٠٠٠ دونم وبلغ مجموع ما باعنته ٣٣٣ عائلة غير فلسطينية (أمثال الجزائري ، يوسف ، القباني ، سلام التيان ، التويبي وغيرهم) لليهود ٤٦١٠٠٠ دونم^(٢) .

٢٥٠٠ دونم باع عرب فلسطين معظمها في ظروف قاهرة ، وبعضها ذهب نتيجة نزع الملكية^(٣) .

ونتيجة لذلك أصبت الصهيونية بخيبة أمل كبيرة لأنها لم تنجح في تحقيق شراء أراضي فلسطين ، فلم تجد أمامها غير وسيلة واحدة وهي استعمال القوة ،

(١) محمد أمين الحسني : حقائق عن قضية فلسطين ، القاهرة ١٩٥٤ ، ص ١١ - ١٢ .

(٢) محمد عرابي نخلة : تطور المجتمع في فلسطين ، القاهرة ١٩٧٨ ، ص ٥٩ - ٦٠ .

(٣) فايز صايغ : الإستعمار الصهيوني في فلسطين ، ص ٥٩ .

فأخذت تختل الأماكن والمناطق التي تنسحب منها قوات الإنتداب البريطاني تدريجياً بتحطيم وتنسيق تام مع الحكومة المتباعدة. ولا توقفت حرب عام ١٩٤٨، وفشلت الدول العربية في تحرير فلسطين وانسحبت منها ثم وقعت المذنة العامة مع إسرائيل في رودس عام ١٩٤٩، كانت إسرائيل تختل نحو ٢٠٨٥٠ كيلو متراً مربعاً من فلسطين أو نحو ٤٧٧٪ من مساحة البلاد الكلية^(١).

وبمجرد أن هدأت الأحوال نسبياً وصفها الجدول لإسرائيل أخذت تعمل على نزع ملكية الأراضي العربية التي تحت سيطرتها، وقد استعانت على ذلك بوضع تشريعات وقوانين اتخذتها كوسيلة لتحقيق ذلك. وبعد قيام إسرائيل مباشرة صدر قانون الطوارئ والذي منع وزير الدفاع بموجبه صلاحيات خطيرة جداً منها إخراج العرب الذين يسكنون في مناطق من فلسطين حيث أطلق عليها مناطق الأمن، وترحيلهم خارج هذه المناطق بصورة دائمة^(٢).

وهكذا أتينا بالتفصيل على مسألة الهجرة والأراضي التي نشط الصهاينة من أجلها خلال فترة الإنتداب، غير أن الصهاينة لعبوا أدواراً أخرى هامة في تأسيس الوطن القومي اليهودي، فرفعوا علمهم في مستعمراتهم، وأنشدوا نشيدهم القومي «هاتكفا» الأمل، ثم فرضوا لغتهم، وفتحوا مدارسهم، وأسسوا جامعة هي الجامعة العربية، وبنوا مستعمرات، وأنشأوا الوكالة اليهودية التي أنيط بها التنظيم الإداري لليهود وهي شبه حكومية وتشمل المؤسسات المتعددة وأوهايا المستدروت (إتحاد العمال) والشركات الأخرى لشراء الأراضي والتوطين، وسمحت بريطانيا للوكالة اليهودية بتأليف هيئات ومنظمات إرهابية عسكرية كالهاجاناه والأرغون وشطرين وغيرها، وأمدت بريطانيا كذلك اليهود بالسلاح في حين ضيق على العرب الخناق وطبقت أقسى العقوبات على العرب

(١) جون رودس : «حركات استلاب الأرض». بحث في كتاب تهديد فلسطين، مرجع سبق ذكره، ص ١٥١.

(٢) محمد الفرا : تهديد فلسطين، ص ١٢.

الذين كانوا يحملون السلاح^(١) . ولا شك أن صموئيل المندوب السامي البريطاني قد حقق للصهيونية الشئ الكثير خلال فترة حكمه القصير (١٩٢٠ - ١٩٢٥) فقد شجع الهجرة وتضاعف عدد اليهود من خمسة وخمسين ألف نسمة إلى مائة وثمانية آلاف نسمة ، وازداد عدد المستعمرات اليهودية من أربع وأربعين إلى مائة مستعمرة وانهى عهده بإفتتاح الجامعة العبرية في عام ١٩٢٥^(٢) . كما لعبت الوكالة اليهودية - والتي كانت حكومة فعلية ضمن الانتداب البريطاني دورا هاما في إنشاء الوطن القومي اليهودي بمساعدة بريطانيا^(٣) .

وازاء تحالف الصهيونية والإستعمار وسعيهما معا لتهويد فلسطين ، رفض عرب فلسطين ذلك وهبوا لمقاومة كل الخطط الصهيونية والإستعمارية ليس فقط منذ بداية عهد الانتداب بل قبل ذلك بكثير إبان الحكم العثماني على وجه الخصوص فكان جهادا مريرا لا زال قائما حتى الآن وقد مضى عليه قرابة قرن .

الحركة الوطنية الفلسطينية

بدأ التحرك الفلسطيني مسجل نضاله الوطني المتصل ، ضد سريجات الهجرة ومشاريع الإستيطان الصهيونية قبل أن يجتمع المؤتمر الصهيوني الأول الذي عقد في بال سويسرا ١٨٩٧^(٤) . وطالبت الحركة الوطنية الفلسطينية في كل مذكرة أو احتجاج قدم للسلطنة العثمانية ، بمطلب واحد متكرر : وقف انتقال ملكية الأرضي وإستلامها للصهاينة .

ولم يرافق الشعور القومي عند عرب فلسطين في القرن التاسع عشر أى شكل من أشكال العداء لليهود ، قبل بداية الغزو الصهيوني والهجرة الصهيونية الواسعة

(١) زامية قديمة : تاريخ العرب الحديث ، بيروت ١٩٧٣ ، ص ٢٠٢ - ٢٠٤ وانظر كذلك Cohen , Ahroni Israeli and the Arab world , p.169.

(٢) تقرير المندوب السامي عن إدارة فلسطين (١٩٢٠ - ١٩٢٥) إلى وزير المستعمرات البريطاني القدس ١٩٢٥ ، ص ٣٢ - ٤٠ .

(٣) المصدر السابق ، ص ٢٧ .

(٤) مجاهد علي شراب : «كفاح ونضال الشعب العربي الفلسطيني منذ الحرب العالمية الأولى » دراسة تاريخية جريدة الوطن الكويتية ، ١٩٧٦/٨/١٠ .

عام ١٨٨٢ . فلم يشعر عرب فلسطين تجاه اليهود بأي إحساس يضر بالمصالح القومية للشعب الفلسطيني ، فقد كانت صلة اليهودا بفلسطين مجرد صلة دينية عاطفية ورغبة لدى بعض الفئات اليهودية المتدينة في الإقامة قرب الأماكن المقدسة للتعبد ومارسة الطقوس الدينية لقضاء أيامهم الأخيرة في المدن الأربع المقدسة (القدس ، صفد ، طبريا ، الخليل) ناهيك عن أن اليهود المتدينين كانوا يؤمّنون بفكرة بعث الدولة اليهودية في فلسطين بجدوٌ معجزة إلهية ، يظهر معها المسيح المنتظر الذي سيعيد بناء ، هيكل سليمان ويقود العالم نحو الخير والسلام ^(١) .

وعلى العموم ، فقد تمعن اليهود في فلسطين إبان الحكم العثماني بقسط كاف من الحرية الدينية رغم كونهم أقلية ضئيلة بين السكان العرب (٪٢) ولا تلفت النظر ، وعاشوا مع العرب في أمان وسلام وذلك إنطلاقاً وإنسجاماً مع تعاليم دينينا الإسلامي بحماية من يعيش بين المسلمين من ذوي الديانات الأخرى والمساواة بينهم وبين المسلمين في المعاملة . ولكن الحال تغير بتغير أهداف الهجرة اليهودية ، فالهجرة القديمة كانت من الرجال المتدينين الذين يريدون البقاء في فلسطين قرب الأماكن المقدسة ، أما الهجرة الحديثة في القرن التاسع عشر فكان طابعها الإستيطان . ومن هنا أخذ الشك يتسرّب إلى نفوس عرب فلسطين مما حدا بالحركة الوطنية الفلسطينية اتخاذ مجموعة من الإجراءات لوقف إنتقال الأرض ، إذ أنها حرمت البيع بفتاوي شرعية وشجعت عملية وقف الأرض ، واتخذت جميع الإجراءات السلبية والإيجابية لمنع انتقال الأرض إلى الأيدي الصهيونية ^(٢) .

أثارت هجرة اليهود إلى فلسطين تحفّ عرب فلسطين من الإستيطان اليهودي ، فقد وردت أول إشارة مبكرة لذلك من القدس في رسالة نشرتها مجلة

(١) أمين محمود عبد الله : «نشأة الترعة الإستيطانية في الفكر اليهودي الغربي خلال القرن التاسع عشر» مجلة العلوم الاجتماعية ، جامعة الكويت ، العدد الثاني يوليو ١٩٧٩ ، ص ٩ .

(٢) الأرض الفلسطينية بين الشرعية والإغتصاب ، منشورات اتحاد الحقوقين الفلسطينيين ، الكويت ١٩٧٥ ، ص ٢٣ .

الجوائب اللبنانية في عددها ١٨٦٨ (٣٥٦)، ذكر فيها الكاتب عن قدوم أحد أعضاء الجمعية الإسرائيلية في باريس (الإليانس) إلى القدس وقال فيها: «إن مراد الجمعية أن تشتري حقولاً ومزارع في الأراضي المقدسة ليتعلّم أولاد اليهود الزراعة والحراثة»، ويلفت الكاتب نظر الدولة العلية «أن تنظر في أمرنا وتتدارك أحوالنا، وإلا فإن اليهود لا يخلونا من هذه الأرض كما أجليناهم من جزيرة العرب»^(١). ويتصحّ من ذلك أن عرب فلسطين أحسوا بالخطر الحقيقي الذي يهدّهم من وراء الهجرة اليهودية الإستيطانية، ويظهر أن هناك أرضية تاريخية رسبت في عقول عرب فلسطين احساسهم بالخطر الصهيوني المتمثل في الهجرة وجعلتهم يعتقدون أن الصهيونية هي الخطير الذي يهدّهم وأنه ينبغي تركيز جهودهم تجاه مقاومتها.

كما أبدى قنصل الولايات المتحدة الأمريكية في القدس تحفه من هجرة اليهود إلى فلسطين وكتب إلى حكومته (١٨٧٥) محذراً من أن تدفق اليهود على فلسطين يُعدّ ألفين كل عام من روسيا سوف يقلب الحالة في البلاد ويصبح اليهود هم سكان البلاد لا سكانها الأصليين^(٢). وقد رأى قنصله باشا حاكم القدس الثاني احتجاجاً إلى القنصليين الألماني والروسي لإنتشار فكرة أحلام العودة إلى فلسطين بين اليهود، وخاصةً منذ أن تأسست مستعمرة «باتاخ تكفا» والتي تعنى بالأمل في عام ١٨٧٨، وأوضح الحاكم أن ما يفعله ضد هذه المستوطنات إنما هو لإزالة هذا الحلم^(٣). ومن هنا تشجع عرب فلسطين فقاموا بإحتلال الأراضي التي استولى عليها اليهود، وتكرر الهجوم من العرب مع زيادة الهجرة إلى فلسطين.

وقد بدأت الإضطرابات المسلحة بين الفلاحين العرب والغارة الصهاينة والمستوطنين الجدد عام ١٨٨٦ وذلك في أعقاب الهجرة الصهيونية الأولى، فقد

(١) خيرية قاسمية: النشاط الصهيوني في الشرق العربي وصداته ١٩٠٨ - ١٩١٨، ١٩٧٣ بيروت، ص ٣٢.

(٢) مانويل فرانك ١: بين أمريكا وفلسطين، ترجمة يوسف حنا، عمان ١٩٦٧، ص ٢٠.

(٣) خيرية قاسمية: المصدر السابق، ص ٣٢.

هاجم الفلاحون العرب المطرودون من الخصيرة وبتاح تكفا (ملبس) التي أجلوا عنها رغم عن إرادتهم . وأجبرت الإصطدامات المسلحة الحكومة العثمانية عام ١٨٨٧ إلى فرض قيود على هجرة المستوطنين الصهاينة الذين كانوا يدخلون البلاد كسياح . . . حيث لم يعد يسمح لهم بالإقامة مدة تزيد على ثلاثة أشهر في البلاد ، وذلك بموجب جوازات سفر حمراء ، عوضاً عن جوازاتهم الأصلية عند دخول البلاد ، وقد تكرر الهجوم على قرى يهودية أخرى وللدفاع نفسها في عام ١٨٩٢^(١) .

وبالرغم من ذلك فإن المدود قد ساد العلاقات بين العرب واليهود خلال السنوات العشر الأولى من الهجرة الكثيفة (١٨٨١ - ١٨٩١) ولكن سرعان ما انقلب إلى شعور بالشك والإستكثار للهجرة ، وبدأ العرب يفيقون ويتنهون للخطر الصهيوني ، وأصبح مألوفاً أن تحصل اعتداءات من السكان العرب على المستعمرات اليهودية . وسقطت الصداقة القديمة أمام عداء العرب للهجرة ، فقد كان احساس العرب بابتعاد المستعمرات الصهيونية عنهم يزداد ، حيث حرص اليهود على أن تكون مستعمراتهم عبرانية خالصة ، وقاوموا كل ما يخل بالشكل العبراني^(٢) .

وهكذا اتضحت الرؤيا والقصد من الهجرة الصهيونية أمام عرب فلسطين ، وزالت الأقنعة وأزيح الستار عنها ، ووجد عرب فلسطين أن لا مناص لهم من الكفاح ومقاومة مخططات الصهيونية بعد أن تأكد لهم أن الهجرة اليهودية هدفها إستيطان فلسطين وبالتالي طرد أهلها منها على المدى البعيد . ومن هنا كان الصراع في فلسطين صراعاً بين استعمار سياسي عسكري إستيطاني صهيوني وبين شعب يدافع عن حريته وجوده وكيانه ضمن ظروف الصراع بين القرى الاستعمارية الكبرى على السيادة والأسواق في العالم . وقد حدد هذا كله طبيعة الصراع بين الطرفين كما بين التناقض بين الحركة الصهيونية والحركة الوطنية العربية .

(١) عبد الوهاب الكيلاني : تاريخ فلسطين الحديث ، بيروت ١٩٧٠ ، ص ٤٩ .

(٢) عبد العزيز عوض : «الحركة العربية في متصرفية القدس» مجلة الشرق الأوسط ، القاهرة العدد الأول ، يناير ١٩٧٤ ، ص ١٤٥ .

وانكفاءً عرب فلسطين على التصدي للهجرة اليهودية ومحظطات الصهيونية ، في ايار (مايو) ١٨٩٠ قام وفد من وجهاء القدس بتقديم عريضة احتجاج للصدر الأعظم (رئيس الوزارة العثمانية) ضد رشاد باشا (الذى حل محل روؤوف باشا كمتصرف لسنجق القدس) الذى أبدى محابة للصهاينة وتحيزاً لهم . وعاد وجهاء القدس في يونيو ١٨٩١ فأرسلوا إلى الصدر الأعظم في الآستانة ، إحتجاجاً طالبوا فيه بإصدار (فرمان) « يمنع هجرة اليهود وتحريم استتملاكهم للأراضي الفلسطينية » بعد أن لاحظوا بداية النشاط الصهيوني لإقامة « وطن قومي لليهود في فلسطين »^(٢) .

وما يجدر ذكره أن عريضة الإحتجاج الأولى ضد مشاريع الإستيطان الصهيونية ، تضمنت المطلبين الأساسية للحركة الوطنية في فلسطين وهم الشعارات اللذان ظلا مرفوعين حتى عام ١٩٤٨ : منع الهجرة وتحريم إستتملاك اليهود للأراضي الفلسطينية .

وعلى العموم ، فقد استجابت الآستانة للإحتجاج إلا أن التدخل البريطاني أبطل مفعول الفرمان ، غير أن عرب فلسطين واصلوا الإتصال بالآستانة ، فأصدر السلطان قرار في السنة التالية ١٨٩٢ بمنع اليهود من شراء الأرضي ، وينع أيضاً الرعايا من بيع الأرضي لليهود . ولكن تدخلت بعض الدول الكبرى وبخاصة بريطانيا فاستطاعت أن تقلل من فعالية القرار بالمنع ، وذلك بالرغم من تشتبث الحكومة العثمانية برأيها حتى خلع السلطان عبد الحميد (أبريل ١٩٠٩)^(٣) وهذا يوضح أن الصهيونية لجأت إلى أسلوب الرشوة للموظفين الأتراك ، وأساليب أخرى كمخالفنة قوانين الإقامة والبقاء في فلسطين في ظل قانون الحماية للأجانب برعاية الدول الأجنبية .

وأخذت المقاومة العربية تستند في مواجهة الإستيطان الصهيوني ، في أعقاب المؤتمر الصهيوني الأول ، في عام ١٨٩٧ ترأس مفتى القدس محمد طاهر الحسيني

(٢) ناجي علوش : الحركة الوطنية الفلسطينية ١٨٨٢ - ١٩٤٨ ، بيروت ١٩٧٤ ، ص ٣٩ .

(٣) عبد العزيز عوض : المصدر السابق ، ص ١٤٥ .

هيئة محلية ذات صلاحيات حكومية مهمتها التدقيق في طلبات نقل الملكية في متصرفية القدس ومخاربة الهجرة اليهودية والإستيطان الصهيوني ، فحال ذلك دون حصول اليهود على أراضي زراعية جديدة لسنوات عديدة^(١) .

وأشارت تقارير عام ١٨٩٨ إلى أن « أهل فلسطين وقفوا موقفا حازما ضد المشاريع الصهيونية والمهاجرة اليهودية ، وامكان قيام (إسرائيل) في بلادهم ، لأنهم اعتبروا ذلك خطرا على حقوقهم وامتيازاتهم »^(٢) .

وشهد عام ١٩٠٠ حملة اجتماعية واسعة من العرائض الجماعية ضد استتمال اليهود للأراضي الزراعية . سجلت تقارير « البرت عنيني » المعتمد الرسمي « للجمعية الإستعمارية اليهودية » ، وكانت حينذاك مؤسسة غير صهيونية . تدل دلالة قاطعة على الوعى الفلسطيني المبكر وتبثت أن الصهيونية هي التي سمت العلاقات العربية باليهود في فلسطين ، كما سجلت هذه التقارير امتداد المعارضة الصهيونية إلى صغار موظفي الحكومة من أهالي البلاد^(٣) .

وفي عام ١٩٠١ صدر قرار آخر يمنع دخول أي يهودي إلى أرض فلسطين (إلا إذا كان سيغادرها خلال ثلاثة أشهر) ولم ينفذ هذا القرار بسبب تدخل السفير البريطاني في العاصمة العثمانية (الأستانة) ، على دخول الصهاينة إلى أرض فلسطين بمساعدة بريطانيا - بطرق غير مشروعة^(٤) .

وحذر المفكر العربي اللبناني نجيب عازوري - الذي أقام في فلسطين - من الخطط الصهيونية وتناقضها مع أمنى الأمة العربية ، ففي عام ١٩٠٤ أصدر نجيب عازوري بيانه التاريخي « بلاد العرب للعرب » وأصدر في العام التالي ، في باريس كتابه « يقظة الأمة العربية » Le vœil de la nation orabe ، فيه إعرابه إلى خطورة التوسيع الصهيوني في فلسطين وأثره على الأمة العربية ، وخشيته من إنتشار أفكاره بين العرب ، فقامت بحركة اعتقالات في يافا السلطات العثمانية من إنتشار أفكاره بين العرب ، فقامت بحركة اعتقالات في يافا

(١) مجاهد على شراب : المصدر السابق

(٢) عبد الوهاب الكيلاني : تاريخ فلسطين الحديث ، ص ٥٠

Mondel, Neville: Turks, Arabs and Jewish Immigration into Palestine, London 1965, (٣) p.214.

Mondel, N: op. cit., p. 246.

(٤)

وغيرها من المدن ، ولكنها اضطرت تحت الضغط العربي في عام ١٩٠٦ إلى تعين متصرف جديد للقدس ، بدلاً من سلطنه رشيد بك ، الذي كان قد ساند الهجرة اليهودية إلى فلسطين ، وخالف القوانين العثمانية التي فرضت الحظر عليها^(١) .

وقد أثار توافد يهود الهجرة الثانية (١٩٠٤ - ١٩١٤) استياءً الفلاحين الفلسطينيين الذين عبروا في أكثر من مناسبة عن معارضتهم منذ اللحظة الأولى لوصول المستوطنين الصهاينة . ورافق هذا الاستياء موجة من الغضب على الملاكين الإقطاعيين الذين كانوا يجنون الأرباح من بيع الأراضي للصهاينة . « وفي شهر تشرين الثاني (نوفمبر) ١٩٠٨ وردت تقارير تدل على أن الفلاحين في منطقة حيفا وطبريا يضمرون شعوراً من العداء نحو الملاكين العرب أصحاب الأرض الشاسعة أمثال (مصطفي باشا ، فؤاد سعد ، آل سرست) وكذلك الأمر بالنسبة للمستعمرين اليهود »^(٢) .

بعد أن قامت الجمعيات اليهودية بشراء مساحة واسعة من الأرض من عائلة سرقق اللبنانيية بالقرب من طبريا ، مما كان له أعمق الأثر في نفوس الفلاحين في القرى المجاورة والتي كانت ضمن صفقة البيع ، الأمر الذي حدا بهم إلى مهاجمة الفنانين الذين جاءوا لمسح الأرض تمهيداً لنقل ملكيتها ، وذلك بقصد محاولة منع إتمام الصفقة . ونجح العرب بالفعل في استصدار أحكام من الباب العالي بإلغاء بعض الصفقات التي عقدها الصهاينة في مطلع القرن العشرين^(٣) . ويبدو أن مشاعر الفلسطينيين العرب المسلمين كانت ذات تأثير في موقف السلطان عبد الحميد الرافض لمحاولات هرتزل لإغرائه ببيع فلسطين بالرغم من حاجة الدولة العثمانية الماسة حينذاك للدعم المالي .

ولا يسعنا في هذا المقام إلا أن نذكر بالقixin والإعتزاز الموقف المشرف الذي وقفه السلطان عبد الحميد من محاولات هرتزل والصهيونية ، فقد أصدر عدة

(١) أسعد رزوق : إسرائيل الكبرى ، دراسة في الفكر التوسي الصهيوني ، بيروت ١٩٦٨ ، ص

(٣) عبد الوهاب الكيلاني : تاريخ فلسطين الحديث ، ص ٥٠ - ٥١ .

قرارات في غاية الأهمية فقد أصدر قراراً بعدم السماح للحجاج اليهود بالإقامة في فلسطين أكثر من ثلاثة شهور . وعليهم تسلّم جوازات سفرهم عند دخولهم أرض فلسطين ، ويستلموا بدلاً منها إذن إقامته (الجواز الأحمر) من موظفي الباب العالى في الميناء الذى يدخلون منه ، وكل من لا يغادر البلاد خلال هذه المدة فسيطرد من البلاد . وأصدر أمراً ثانياً في سنة ١٩٠١ يحرم فيه على اليهود شراء أي قطعة أرض في فلسطين وكان القرار الأخير والهام هو رفض عروض اليهود عليه بتضييد جميع ديون الدولة العثمانية البالغ ٣٣ مليون ليرة إنجليزية ذهبية ، وبناء أسطول حملة الإمبراطورية بمبلغ ١٢٠ مليون فرنك ذهبي ، وتقديم قروض للدولة بمبلغ ٣٥ مليون ليرة ذهبية بدون فوائد لانعاش مالية الدولة وذلك مقابل دخول اليهود إلى فلسطين والسماح لهم بإنشاء مستعمرة في القدس .

أدرك السلطان عبد الحميد بثاقب نظره أن هذا المطلب البخس لا يتناسب مع الثمن الضخم الذي عرضه اليهود وأيقن أنهم إنما يريدون الحصول على موطئ قدم في بداية الأمر ، ليتعلموا بعد ذلك لاستعمار فلسطين كلها . ولذلك كان ردء التاريخي على اليهود - بعد أن رفض مقابلتهم - مايلي :

- ١ - أن ديون الدولة ليست عاراً عليها ، لأن غيرها من الدول مثل فرنسا مدينة أيضاً وذلك لا يضرها .

- ٢ - أن بيت المقدس الشريف قد افتحه للإسلام أول مرّة سيدنا عمر بن الخطاب ولست مستعداً أن أتحمل في التاريخ وصمة بيعها لليهود وخيانة الأمانة التي كلفني المسلمين بمحايتها .

- ٣ - ليحتفظ اليهود بأموالهم ، فالدولة العلية لا يمكن أن تتحمّل وراء حصولهم بأموال أعداء الإسلام .

هذا هو موقف السلطان عبد الحميد المشرف من قضية فلسطين ، والذي يذكر له العرب والمسلمون بالتقدير^(١) . والاعتذار والفاخر ، والذي رفع الصهيونية والإستعمار لأن يتعاونوا على تحريك حزب تركيا الفتاة للتخلص منه وخير

(١) حسان حلاق : موقف الدولة العثمانية من الحركة الصهيونية ١٨٩٧ - ١٩٠٩ ١٩٧٨ بيروت

شاهد على موقف السلطان عبد الحميد هو ما ورد عن هذه الإتصالات في مذكرات هرتزل وقد سبق الإشارة إليها.

ومنذ عام ١٩٠٨ بدأت بعض الصحف تأخذ على عاتقها كشف المطامع الصهيونية وأخطار الهجرة وبيع الأراضي لليهود وكان في طليعة تلك الصحف جريدة « الكرمل » التي أسسها نجيب نصار والتي توقفت مراراً بسبب مقالاتها العنيفة التي كشفت الخطر الصهيوني . كما قامت مظاهرات مختلفة احتجاجاً على الهجرة اليهودية^(١) . وهكذا اتخذ رد الفعل العربي ضد الصهيونية منذ البداية أشكالاً مختلفة من إرسال البرقيات إلى الإحتجاج والمظاهرات والحملات الإعلامية في الصحف .

وازدادت الهجمات المسلحة حدة بعد عام ١٩٠٨ على المستعمرات اليهودية والأفراد ، بتأثير من الحملة الصحفية التي وصلت الفلاحين في أكواخهم الطينية والبدو في خيامهم^(٢) .

وبعد أن جرت انتخابات مجلس المبعوثان في السلطنة العثمانية ، انتقل الصراع ضد الصهيونية إلى داخل المجلس أيضاً ، ومنذ سنة ١٩٠٩ خاصة ، فقد أجبر النواب العرب في مجلس المبعوثان رئيس الوزراء على أن يعلن « أنه لن يسمح لليهود بإستيطان فلسطين »^(٣) .

وفي هذه الفترة ظهرت أول وثيقة هامة عن موقف الفلسطينيين من اليهود والحركة الصهيونية ، وهي دراسة نشرها المثقف الفلسطيني يوسف الخالدي بين فيها أن هدف الحركة الصهيونية هو إنشاء دولة صهيونية في فلسطين ، وقد حذر من قيام تلك الدولة لأن قيامتها « لا يمكن أن يتم دون إصطدامات وصراع دموي بسبب المعارضة العربية لقيام مثل هذه الدولة ». ويطرح الخالدي في دراسته قضيتين هامتين :

(١) ناجي علوش : الحركة الوطنية الفلسطينية ، ص ٩٥ .

(٢) المصدر السابق ص ٩٦ .

(٣) ناجي علوش : المصدر السابق ، ص ٩٧ .

أولاًهما : أنه يلمس « مشكلة يهودية » في أوربا ، ولذلك فقد اقترح « إقامة وطن قومي لليهود خارج فلسطين » .

وثانيها : أنه يفرق « بين الصهيونيين وغير الصهيونيين من اليهود » ^(١) .

وواصلت الصحف العربية حملاتها على الذين يسعون أراضيهم للهجاجرين الصهاينة ، وفي شهر أيار (مايو) ١٩١٠ ، هاجمت الصحف العربية آل سرق لاعتراضهم بيع أراضي قرطى فولة وعفولة لليهود . وبحلول صيف عام ١٩١٠ كانت عدّة صحف عربية نافذة قد بدأت تتبّع الحمّلة المناوئة لبيع الأراضي العربية للمستوطنين الصهاينة ، بينما صحيفتي « المقتبس » الدمشقية وصحف « المفيد » و « الحقيقة » و « الرأي العام » الباريسية . كما كونت جميع الصحف العربية جبهة واحدة ضد الصهيونية ، فكتبت مقالات كثيرة ضد الصهيونية ، كما كشفت أيضاً أساليب وسائل اليهود ، كرشوة المكّام العثمانيين وكبار موظفي الباب العالي بقصد تسهيل نقل ملكية الأراضي العربية في فلسطين إلى اليهود ^(٢) .

وتجلى رفض العرب في معارضته المتصارعين لمشروع توطين اليهود في شبه جزيرة سيناء ، كما تجلّى كذلك في معارضته النواب العرب في البرلمان العثماني (مجلس المبعوثان) عام ١٩١٤ للهجرة اليهودية إلى فلسطين ، وإقامة المستعمرات الزراعية فيها ^(٣) .

وتصادعت موجة المقاومة والتصدي ظهرت جمعيات لكافحة الصهيونية ودرء الخطر الصهيوني عن البلاد ، منها جمعية مكافحة الصهيونية « أنشئت عام ١٩١٣ في نابلس » ، وفي عام ١٩١٤ تأسست الجمعيات التالية في القدس « الجمعية الخيرية الإسلامية » و « جمعية الأخاء والعفاف » و « شركة الاقتصاد الفلسطيني العربي » و « شركة التجارة الوطنية الاقتصادية » . وكان هدف هذه

(١) جريدة الاهرام ، ١٩٠٩/١٠/٧ نقاً عـ الأـ رـضـ الفلـسـطـينـيـةـ بـيـنـ الشـرـعـيـةـ وـالـإـغـصـابـ ص

٢٨

(٢) جريدة المقتبس الدمشقية ١٩١٢/١٢/٢٥ نقاً عن عبد الوهاب الكيالي : المصدر السابق ،

ص ٦٤ - ٧١

(٣)

المؤسسات ومثيلاتها هو الوقوف في وجه الأخطار الوشيكة التي تهدد أرض الوطن
 وإنقاذ البلاد من الدمار^(١).

وشهدت البلاد طيلة صيف عام ١٩١٣ حملة من الإحتجاجات ضد محاولات بيع أراضي الدولة الحكومية (الميري) في بيان لليهود ، واشتدت النسمة الجاهيرية حتى أن مظاهرات قامت في نابلس سنة ١٩١٣ ضد اعتزام السلطة ببيع أراضي ييسان للمنظمات الصهيونية ، ونشرت الكرمل في ٤٧(١٩١٣) صورة من مضبطة احتجاج من غزة والقدس ويافا حول منع الحكومة الأرض لليهود ، ونشرت كذلك برقيات احتجاج أخرى من أهالي فلسطين ، كما نشرت كذلك نداء إلى الفلسطينيين دعمهم فيه إلى الضغط على الحكومة لمنعها من بيع الأراضي الأميرية إلى اليهود فتضاعفت الحكومة التركية . والتي جاءت في أعقاب الإطاحة بالسلطان عبد الحميد بتعضيد من اليهود وحزب تركيا الفتاة – من الحملة وأغلقت الصحف (فلسطين والكرمل والمقبس) التي عالجت الموضوع بهمة تعكير الأمن^(٢).

كما شهد عام ١٩١٣ مظاهرات قامت في نابلس إحتجاجا على اعتزام السلطة ببيع أراضي ييسان للمنظمات الصهيونية ، وحرق الشعب الفلسطيني حرشا من الأشجار التذكارية التي غرسها بعض رجالات الصهيونية عند زيارتهم لفلسطين في ذلك العام . كما قام الفلاحون بمحاجمة المستعمرات اليهودية في منطقة طبريا والخليل ويافا وقد ربط الصهيونيون ذلك بمحنة الفلاحين لهم إلا أنها كانت اعتراضاً بأن حياة المستوطنات لم تكن آمنة . وتعددت شكاوى اليهود لدى الباب العالي لحماية سكان المستوطنات ، وكان أشهر هذه الحوادث هي حادثة الإشتباكات بين أهالي قرية زرنوفا ومستعمرة ديران (رجبوت) في أواخر تموز (يوليو) ١٩١٣ ، والتي بدأت بحادث صغيرة بين بعض أهالي القرية وحراس المستوطنة

(١) عبد الوهاب الكيلاني : تاريخ فلسطين الحديث ، ص ٧١ - ٧٢

(٢) جريدة الكرمل ، ٧/٤ ، ٧/٧ ، ١٩١٣/٨/٨ نقلًا عن ناجي علوش . المصدر السابق ، ص

اليهودية حول قطف بعض العنب من كروم المستوطنة ، واتسع الإشتباك ليشمل أهالي القرىتين ، واستخدم السلاح ووقع بعض القتل والجرحى من الطرفين وببدأت القطيعة تأخذ دوراً منها فاستغل الصهيونيون الحادث لتصوير أهالي البلاد بمظهر التوحشين المتعصبين^(١) .

ولعبت الصحافة العربية المعادية للصهيونية في الأشهر السبعة الأولى من عام ١٩١٤ دوراً بارزاً وهاماً في توعية الرأي العام والتهديد للقيام بأعمال منظمة منسقة ضد الصهاينة . وقد ثابتت الصحافة دون كلل أو ملل على التنديد ب موقف « أولئك الأثرياء المتغذين الذين تعميمهم مصالحهم الشخصية ، فلا يرون الخطر الصهيوني المحدق بهم ويؤثرون حاضراً ذهبياً على حساب مستقبل مظلم لأنفسهم »^(٢) .

وكشف هذا النداء النقاب عن أن الفلسطينيين قد فقدوا الأمل أن تتخذ الحكومة أي إجراء ضد العدوان الصهيوني ومن ثم تحركوا نحو تنظيم أنفسهم والإعتماد عليها وحدها . وعشية الحرب العالمية الأولى كان الفلسطينيون يفكرون بالإنقضاض على الحكم التركي فانضم الكثيرون منهم إلى جمعيتي « العهد » و« الفتاة » اللتين كانت تناضلان في سبيل استقلال العرب ووحدتهم وذلك إيماناً من الفلسطينيين بأن الصهيونيين حلفاء الأتراك في وجه النهضة العربية . ولم يكن مما يثير الدهشة بالطبع أن يكون شباب فلسطين قد بدأوا بالتفكير باللجوء إلى العنف آخر الدواء ضد الصهيونية ، وذلك في وقت كانوا فيه يعملون أيضاً على القيام بثورة ضد الأتراك لتحقيق استقلال العرب^(٣) .

وتأسيساً على ما تقدم ، فإن عرب فلسطين قد وضعوا خطة سرية ضد اليهود في فلسطين إبان الحرب العالمية الأولى ، فقد كشف بيرلان أن الأوراق والمستندات التي وضع الأتراك أيديهم عليها عام ١٩١٥ تكشف عن وجود خطة

(١) خيره فاسمه : النشاط الصهيوني في الشرق العربي وصداه ، ص ١٩٧ - ١٩٨

(٢) ناجي علوش : الحركة الوطنية الفلسطينية ، ص ١٠٣ - ١٠٤

(٣) عبد الوهاب الكيلاني : تاريخ فلسطين الحديث ، ص ٧٦ - ٧٧

للتخلص من الصهيونية تقضى بإضرام النار في المستعمرات اليهودية وطرد السكان اليهود منها . وما جاء في تلك الأوراق أن الصهيونيين هم ألد أعداء العرب وهذا هو السبب الذي من أجله كان الأتراك على استعداد تام لمساعدتهم^(١) .

○

وبنضوب الحرب العالمية الأولى ، توقف النشاط ضد الحركة الصهيونية لانتقال مركز نشاطها إلى مجالات عالمية أوسع من جهة ، ولأن الشرق العربي نفسه قد شغلته أحداث الحرب بعد أن صار أحد ميادينها العسكرية من جهة أخرى ، وتغير موقف تركيا نفسه من اليهود إبان الحرب أيضا . فقد ألغت تركيا امتيازات نظام الحماية التي كان المواطنون الأجانب ومن ضمنهم المهاجرون اليهود يتمتعون بها . واعتبرت تركيا يهود روسيا مواطنى دولة معادية كانت في حالة حرب مع تركيا ، فاضطرر حوالي ٣٠ ألف يهودى إلى الترحُّج من فلسطين وبذلك وصل عدد السكان اليهود فيها في نهاية الحرب إلى نحو ٥٦ ألف نسمة بدلاً من ٨٥ ألف عند بدايتها^(٢) . ونان اليهود أيضا في فلسطين نصيبهم من سياسة الإضطهاد^(٣) ، والتي انتهجها جمال باشا في سوريا الكبرى ، فقامت السلطات العثمانية بمحظِّر النشاط الصهيوني في البلد ، وأمرت بحل كل المنظمات الصهيونية العاملة فيه ، وقام جمال باشا بنى عدد من الزعماء الصهيونيين البارزين من فلسطين وكان من بينهم دافيد بن غوريون واسحق بن زفي وغيرهم . كما اشتدت الإجراءات القمعية ضد اليهود في أواخر عام ١٩١٧ عندما كشفت السلطات العثمانية شبكة تجسس (نيل) وتعمل بين يهود فلسطين لصالح بريطانيا ، ونتيجة لذلك فرض الأتراك حصارا حول بعض المستوطنات اليهودية ، ونكّلت بسكانها

(١) المصدر السابق ، ص ٨٢ .

(٢) صري جريس : تاريخ الصهيونية ح ١ بيروت ١٩٧٧ ، ص ٢٩٠ - ٢٩٢ .

(٣) في عام ١٩١٥ اقتحم الرائد حسن الجابي أجياعا سريا لفرع الجمعية الصهيونية في مدينة يافا وضبط أوراقا سرية هامة وخطيرة ، ونفي بعض رجالات الصهيونية خارج المدينة وابرق أهل يافا إلى السلطات العثمانية في ذلك الوقت محذرين من خطر الصهيونية . انظر عادل غنيم : « موقف عرب فلسطين من اليهود والصهيونية ومن الحرب العالمية الأولى في اضطرابات البراق ١٩٢٩ » مجلة «شرق الأوسط» ، القاهرة ١٩٧٤ ، ص ٢١٥ .

واعتقلت أعداداً كبيرة منهم ، وأعدمت بعض قادة شبكة التجسس (نيل) . وزاد من حدة الإجراءات التي اتخذت ضد سكان المستوطنات اليهود الإضطراب الذي ساد في صفوف القوات التركية مع بدء الهجوم البريطاني من سيناء على جنوب فلسطين^(١) .

أدى إلغاء تلك الإمتيازات إلى خروج تظاهرات تأييد عربية في يافا والقدس وقام المتظاهرون في أحدها بوضع قبة من ذلك النوع الذي يستعمله المستوطنون الصهيونيون على رأس كلب ورجموه بالحجارة وهم ينشدون «الحامية مثل الصرمایة»^(٢) . (الخداء) . كما أبدى عرب فلسطين تأييدهم وترحيبهم بالإجراءات القمعية ضد اليهود ، ولكنهم مع ذلك كانوا غير راضين عن موقف السلطات لنعهم من تنفيذ مخططاتهم السرية ضد اليهود . وربما كانت السلطات العثمانية آنذاك معدنة لأنها مشغولة في مbadيين الحرب وتخشى قيام حرب أهلية في منطقة الحرب قد تؤثر عليها ، ولربما كان بعض الساسة العثمانيين متعاطفين معهم وهذا هو الأرجح . ومن المؤسف أن العرب وقعوا ضحية الاستعمار وتحالفوا معه ضد الدولة العثمانية في حين تحالف جماعة الإتحاد والترق مع اليهود وسار كلا الجانبان العربي والتركي في طريق قومي مما كان له أكبر الأثر في إنهيار الدولة بسبب خصوبتها للصهيونية والإستعمار .

وهكذا كانت نظرة عرب فلسطين للحركة الصهيونية نظرة واقعية . فقد أحسوا بخطر الغزو الصهيوني الذي يتهددهم وكانوا يخشون من قيام دولة صهيونية . في فلسطين من خلال تحركات الصهيونية فأدركوا أن المعركة مع الصهيونية هي معركة بقاء أو فناء وأن نجاح الحركة الصهيونية يعني أن الصهيونيين يمتلكون البلاد ونصبح نحن فيها غرباء . وكان التخوف الشعري يذهب أبعد من ذلك وكأنه يتباين بالمستقبل ، ويخشى من المصير الأسود الذي سيلاقيه الفلسطينيون إذا لم ينهض المخلصون ويحفروا لإنقاذهم .

(١) صبرى جريس : تاريخ الصهيونية ، ج ١ ص ٢٩٤ - ٢٩٥

(٢) صبرى جريس : تاريخ الصهيونية ج ١ ، ص ٢٩١

ولا شك أن عرب فلسطين كانوا على وعي وادران عظيمين لأبعاد الخطير الصهيوني، إذ بدأ الصراع العربي الصهيوني منذ بلوغ الصهيونية السياسية عام ١٨٩٧ ، ولكنه ظل ضعيفاً ومحدوداً حتى اعلان وعد بلفور ، ثم زاد تأججاً بعد وضع سياسة الوطن القومي موضع التطبيق خلال الإنتداب البريطاني على فلسطين ، وقد حدد كل هذا طبيعة الصراع بين الطرفين ، وأوضحت التناقض بين الحركة الوطنية العربية والحركة الصهيونية . وتعودخلفية الصراع وجذوره إلى عوامل سياسية واجتماعية واقتصادية ، فمن الناحية السياسية تسعى الحركة الصهيونية إلى السيطرة والإستعمار والإحتلال شأنها في ذلك شأن الدول الإستعمارية الكبرى لما بينهما من ترابط في المصير والوجود والمصالح المشتركة ومن الناحية الإجتماعية فإن المجتمع الفلسطيني يعد مجتمعاً زراعياً في الدرجة الأولى ومجتمع كهذا لا بد أن يكون محافظاً ، وأن يكون أهله متخصصين بالأرض كما أن مثل هذا المجتمع ينظر بريبة إلى الغريب داعماً لما بينهما من تفاوت وإختلاف في العادات والتقاليد . أما من الناحية الاقتصادية فقد شعرت ثلة الفلاحين والعمال والحرفيين بأن الصهيونية قد قدمت تحدياً لكل هؤلاء بما في صفوفها من حرفين وخربيجي جامعات وعمال وعمال مهنيين ورؤوس أموال وخبرة يهودية عالمية في كل الحالات وأنه بالتالي ستسيطر الصناعة اليهودية على الصناعة العربية وتعمل على عرقلتها ، ولذا كانت المعارضة العربية للصهيونية معارضة عنيفة وشرسة ، وتطورت إلى معركة بقاء أو فناء استمرت حتى بعد قيام الحرب العالمية الأولى خلال فترة الإنتداب البريطاني على فلسطين .

ومنذ صدور وعد بلفور واحتلال الإنجليز لفلسطين ١٩١٧ ، عمل عرب فلسطين على خلق تنظيم سياسي يستطيعون بواسطته مواجهة الشاطئ الصهيوني ، فتأسست الجمعيات الإسلامية المسيحية التي قادت الحركة الوطنية الفلسطينية إبان الحكم العسكري ، وكانت تلك الجمعيات تتبع في نشاطها مع الحركة العربية العامة التي كانت تتخذ من دمشق مقراً لها^(١) . وكانت زيارة وايزمن

(١) عادل غنم : الحركة الوطنية الفلسطينية ، القاهرة ١٩٧٤ ، ص ١٤ - ١٧

للفلسطين في عام ١٩١٨ من أهم العوامل التي ساعدت على تكوين تلك الجمعيات^(١). وفي ٣ فبراير ١٩١٩ أرسل المؤتمر الفلسطيني الأول المنعقد في القدس احتجاجاً إلى مؤتمر الصلح في باريس ، ورفض فيه تصريح بلغور والمجرة اليهودية إلى فلسطين ، كما قدمت الجمعية الإسلامية المسيحية عريضة مماثلة^(٢).

وسجل تقرير لجنة كنج كرين King-Crane التي قدمت إلى فلسطين عام ١٩١٩ رفض سكانها العرب للصهيونية ، وقررت اللجنة في تقريرها أن البرنامج الصهيوني لا يتفق مع الحقائق ولا مع المبادئ التي أعلنها الحلفاء ، كما أوصى التقرير بأنه « يجب الحد من المجرة اليهودية إلى فلسطين والعدول عن كل خطة ترمي إلى جعل فلسطين دولة يهودية »^(٣).

وبعد توقيع معاهدة فرساي (٢٨ يونيو ١٩١٩) وإقرار ميثاق عصبة الأمم ، طالب الشعب العربي الفلسطيني بالإتحاد مع سوريا في دولة عربية مستقلة ، وعارض بشدة أي تقسيم في بلاد الشام . كما طالب بحق تقرير المصير وفق المبادئ التي أعلنها الدول الخليفة على أثر انتهاء الحرب في نوفمبر عام ١٩١٨^(٤).

وفي فبراير ١٩٢٠ ، دعت اللجنة التنفيذية للمؤتمر الفلسطيني الأول إلى عقد مؤتمر فلسطيني في يافا ولكن السلطات البريطانية منعت العرب من عقد ذلك المؤتمر وحضرت على الفلسطينيين الإجتماعات العامة والمظاهرات ، وفرضت الرقابة على الصحف العربية واعتبر العرب ذلك المؤتمر المقترن بميثابة المؤتمر الفلسطيني الثاني^(٥).

(١) عيسى السفرى : فلسطين العربية بين الإنتداب والصهيونية ، القدس ٢١٩٣٧ ص ٣٧

(٢) وثائق المقاومة الفلسطينية العربية ، اعداد مؤسسة الدراسات الفلسطينية ، بيروت ١٩٦٨ ،

وثيقة ٢ ، ص ٣ - ٤ وثيقة ٦ ، ص ٨ - ١١

Documents on British Foreign policy: General clyton to Earl curzon June 1919 , vol. (٣) iv,p.285.

Ibid; p.273 (٤)

(٥) محمد عزة دروزة : القضية الفلسطينية في مختلف مراحلها ، ط بيروت ١٩٥٥ ، ص ٣٨

وكانت جاهير الشعب العربي تغلق نسمة على السلطات البريطانية والمنظمة الصهيونية ، فانفجرت يوم ٤ أبريل ١٩٢٠ في انفاضة عارمة وحدثت إشتباكات بين العرب واليهود في مدينة القدس ، سقط فيها عدد من القتلى والجرحى من كلا الطرفين ، وإن كانت خسائر اليهود أكثر من خسائر العرب ، وامتدت الإشتباكات إلى شمال فلسطين ، ولكن قوات الاحتلال البريطاني قمعت تلك الانفاضة بالقوة . وكان من نتائج هذه الانفاضة ظهور موسى كاظم الحسيني كأول زعيم للحركة الوطنية الفلسطينية من جهة ، وظهوره وحدات يهودية مسلحة على يد جابوتينسكي تسمى بوحدات الدفاع الذاتي « الماجناه » من جهة أخرى^(١) .

وفي الفترة بين ١٣ إلى ١٩ ديسمبر عام ١٩٢٠ عقد المؤتمر الفلسطيني الثالث في حيفا ، فأقر ميثاقه الوطني بالطالة بحكومة فلسطينية مستقلة على عكس المؤتمر الأول الذي نادى بوحدة فلسطين مع سوريا وكان سقوط الحكم العربي في دمشق في أواخر يوليو من عام ١٩٢٠ صدمة للحركة الوطنية الفلسطينية ، وجاءت الصدمة الثانية بعد شهرين حينما ضربت ثورة العراق عام ١٩٢٠ . مما فرض على القيادة الفلسطينية أن تعيد النظر في إستراتيجيتها وأسلوب عملها السياسي في هذه المرحلة^(٢) . وقد حاول العرب ممارسة سياستهم الجديدة لأول مرة حينما عرضوا مطالبهم على وزير المستعمرات (تشرشل) يوم ٢٨ مارس ١٩٢١ أثناء وجوده في القدس ، إلا أنه رفض تلك المطالب وتمسك بسياسة بلاده تجاه الحملة الصهيونية كما أسلفنا . وعندما قامت مظاهرات في مدينة حيفا في نفس اليوم (٢٨ مارس) في محاولة للضغط على بريطانيا لإعادة تقييم سياستها تجاه فلسطين ، تصدت قوات الاحتلال البريطاني وأطلقت النار على جموع المتظاهرين ، قتلت اثنين من العرب ، وأصابت عشرة آخرين ، وفرضت حظرا على التظاهر والتجمع في سائر أنحاء فلسطين^(٣) .

(١) عبد الوهاب الكيلاني : تاريخ فلسطين الحديث ، ص ١٤٩ .

(٢) وثائق المقاومة الفلسطينية العربية ، ص ١٦ - ١٩ .

(٣) كامل خله : فلسطين والإنتداب البريطاني ، ص ١٦١ .

وفي أول مايو ١٩٢١ عمت مدن وقرى فلسطين انتفاضة عارمة ، بدأت بمدينة يافا على أثر إحتكاكات بين العرب والمتظاهرين من اليهود بمناسبة عيد العمال ، وتفاقمت الأمور فهاجم العرب عدداً من المستعمرات اليهودية وألحقوا بها خسائر كبيرة ، إلا أن القوات البريطانية انبرت للدفاع عن اليهود وحماية مستعمراتهم ، وأنزلت في صفوف العرب خسائر جسمية قدرت بـ ٤٨ شهيداً و٧٥ جريحاً . في حين بلغت خسائر اليهود ٤٧ قتيلاً و ١٤٦ جريحاً^(١) . وقد تمخصت تلك الإنفاضة عن نتيجة هامة جداً هي الوحدة الوطنية بين المسلمين والمسيحيين من عرب فلسطين الذين شاركوا في الأحداث جنباً إلى جنب^(٢) .

وعلى أثر انتفاضة مايو ، عنيت الحكومة البريطانية لجنة للتحقيق في أسباب الحوادث برئاسة السير توماس هايكروف特 قاضي قضاة فلسطين آنذاك فكانت نتائج التحقيق عادلة ، إذ أوضحت بأن السبب في تلك الأحداث راجع إلى شعور العرب بضرورة مقاومة السياسة الرامية إلى إقامة وطن يهودي في بلادهم . فقد جاء في توصيات اللجنة : « ... ونحن متذمرون بأن ليس هناك دافع لوقوع الإضطرابات غير الشعور السائد في البلاد ضد اليهود ، وهو ناشئ عن خطط الحكومة فيها يتعلق بالوطن القومي اليهودي »^(٣) .

وكانت انتفاضة مايو دافعاً لعقد المؤتمر الفلسطيني الرابع الذي عقد في القدس في الفترة ما بين ٢٩ مايو و ٥ يونيو من عام ١٩٢١ ، وكان من مقرراته : إرسال وفد فلسطيني إلى لندن برئاسة موسى كاظم الحسيني لشرح القضية الفلسطينية وتقدم مطالب عرب فلسطين إلى الحكومة البريطانية . وسافر الوفد يوم ١٩ يوليول ومركث في لندن قرابة عام ، لم يستطع فيها تغيير سياسة بريطانيا تجاه فلسطين . وقد أرصدت بريطانيا على أثر انتهاء محادثتها مع ذلك الوفد ، الكتاب الأبيض لعام ١٩٢٢ ، والذي تمسكت بموجبه بسياساتها تجاه الصهيونية العالمية

Parliamentary Debates, House of Londs , 5th series , vol. 45. 15 June 1921, col. 566- (١)
572

(٢) الوثائق الرئيسية في قضية فلسطين ، المجموعة الأولى ١٩١٥ - ١٩٤٦ . القاهرة ١٩٥٧ ، ص ١٢٤ .

parliamentary Debats, House of commons, vol. 151, 16 Th Mar. 1922 col. 2356

(٣)

وضرورة تنفيذ تصريح بلفور ، ووعد بإنشاء مجلس شرعي ، وحددت الهجرة اليهودية إلى فلسطين بحيث لا تزيد على مقدرة البلاد الاقتصادية على الإستيعاب^(١).

وقد سارع عرب فلسطين إلى رفض الكتاب الأبيض ، ورفض الانتداب البريطاني على فلسطين ، وطالبو إنشاء حكومة وطنية مستقلة ، وقد أصدرت اللجنة التنفيذية للمؤتمر الفلسطيني الرابع بياناً بذلك في ٨ يوليو عام ١٩٢٢ ، وتلا ذلك سيل من البرقيات من الهيئات والجمعيات العربية في فلسطين موجهة إلى مجلس عصبة الأمم ، تؤيد بيان اللجنة التنفيذية ، إلا أن ذلك المجلس صادق على انتداب بريطانيا على فلسطين يوم ٢٤ يوليو عام ١٩٢٢ دون النظر إلى أمانى الشعب الفلسطيني^(٢).

وفي ٢١ أغسطس عاد الوفد العربي من لندن واتجه على الفور إلى مدينة نابلس بين هناف جموع الشعب التي جاءت لاستقباله ، والتي كانت تنادي برفض الانتداب وسياسة الكتاب الأبيض . وفي اليوم التالي بدأ المؤتمر العربي الخامس عقد جلساته في مدينة نابلس واستمرت تلك الجلسات حتى ٢٥ أغسطس عام ١٩٢٢ ، وكان المؤتمر قد استمع إلى تقرير من الوفد العائد من لندن ، ثم أصدر في ختام جلساته ١٧ قراراً من أهمها : رفض دستور فلسطين الجديد ، ورفض الانتداب ، ومشروع روتبرج ومقاطعة البضائع اليهودية ، وتأسيس مكتب فلسطين في لندن ، وتطبيق نظام مالي لجمع التبرعات ، وفي أول سبتمبر عام ١٩٢٢ أصدرت اللجنة التنفيذية للمؤتمر بياناً طالبت فيه المواطنين مقاطعة انتخابات المجلس التشريعي المقترن^(٣) . وهكذا فشلت جهود بريطانيا في إضعاف الصيغة الشرعية على حكمها في فلسطين بعد ما فشل مشروع المجلس التشريعي وكذلك المجلس الاستشاري ، مما دعا عدداً من أعضاء مجلس العموم إلى اتهام حكومة الانتداب بسوء الإدارة إلى فلسطين^(٤).

(١) جامعة الدول العربية ، الوثائق الرئيسية في قضية فلسطين ج ١ ، ص ١٥٦ - ١٥٩.

(٢) Esco - Foundation: A study of Jewish, Arab and British policies , vol. I pp. 281-287.

(٣) وثائق المقاومة الفلسطينية العربية ، ص ٥٥ - ٥٨

(٤) عادل غنم : الحركة الوطنية الفلسطينية ، ص ١٣٦.

وفي ٢٧ أكتوبر عام ١٩٢٢ تقرر عقد مؤتمر لوزان بين بريطانيا وفرنسا وإيطاليا ، فتشكل وفد فلسطين برئاسة موسى كاظم الحسيني وسافر إلى لوزان لعرض قضية بلاده ، إلا أن الحلفاء حالوا دون اشراكه في جلسات المؤتمر ، فغادر الوفد لوزان واتجه إلى لندن واجتمع بوزير المستعمرات في محاولة منه للتغيير موقف بريطانيا إلا أن الوفد عاد خائباً إلى فلسطين^(١) .

وبعد عودة الوفد من لندن بوقت قصير ، عقد في مدينة يافا المؤتمر الفلسطيني السادس في الفترة من ١٠ إلى ٢٠ يونيو عام ١٩٢٣ ، وقرر المؤتمر رفض مشروع المعاهدة العربية البريطانية المقترحة ، وطالب بإنشاء حكومة نيابية مستقلة ، وبالغاء السياسة الصهيونية التي ترمي إلى إنشاء الوطن القومي اليهودي^(٢) . وقرر المؤتمر كذلك إرسال وفد ثالث إلى لندن ، ولكن بريطانيا تمسكت بسياسة الوطن القومي فعاد الوفد الفلسطيني إلى بلاده يغير أذيال الخيبة والفشل^(٣) . ومع ذلك عرضت بريطانيا على عرب فلسطين إنشاء وكالة عربية على غرار الوكالة اليهودية ولكنهم رفضوا العرض ، كما رفضوا من قبله مشروع المجلس التشريعي^(٤) .

وخلال هذه الفترة (١٩٢٣ - ١٩٢٨) دب الخلاف واشتد الصراع العائلي بين آل الحسيني الذين كانوا على رأس الحركة الوطنية الفلسطينية ، وأآل النشاشيين الأكثر اعتدالاً والذين يقودون المعارضة ضد المجلس الإسلامي الأعلى الذي أخذ يبرز كقوة سياسية في البلاد برئاسة الحاج محمد أمين الحسيني ، ولذا سمى أنصار المجلس (بالجلسية) في حين سمي معارضوه (المعارضة)^(٥) . واستشرى التزاع بين هاتين الكتلتين ، فأحدث شرخاً في بنية الحركة الوطنية . ونتيجة لذلك تشرذمت تلك الحركة ، وظهر عدد من الأحزاب السياسية مهمتها معارضة اللجنة التنفيذية العربية ، وهذه الأحزاب هي :

(١) المصدر السابق ، ص ١٣٦ - ١٣٩

(٢) وثائق المقاومة الفلسطينية العربية ، ص ٧٣ - ٧٥

(٣) عادل غنم : المصدر السابق . ص ١٤٢ - ١٤٣

(٤) محمد أمين الحسيني : حقائق قضية فلسطين ، ص ٣١ .

(٥) محمد عزة دروزة : المصدر السابق ، ط ٢ ص ٥١ - ٥٣

١ - الحزب الوطني : تأسس في نوفمبر عام ١٩٢٣ برئاسة سليمان التاجي الفاروق ، وكان من أبرز رجاله راغب الشاشبي . وكان هذا الحزب ميلاً للتعاون مع حكومة الإنذاب .

٢ - حزب الزراع وهو عبارة عن مجموعة من الأحزاب الزراعية التي نشأت في المدن والقرى . وكان بعض الوجهاء وراء ظهور هذه الأحزاب التي كان منها معارضة اللجنة التنفيذية العربية .

٣ - حزب الأهالي : تأسس في نابلس عام ١٩٢٦ ، وكان من أبرز رجاله عبد اللطيف صلاح ، وعادل زعير وكان ظهور هذا الحزب يعتبر خروجاً جديداً على ارادة الأمة ، وصفقة موجهة إلى نصاها الوطني^(١) بعد أن جرت محاولات لتوحيد الحركة الوطنية وجذب الحزب الوطني إليها .

وإبان هذه الفترة ، عملت بريطانيا على تطوير الوطن القومي اليهودي وترقيته ، وذلك بتخفيف حدة الأزمة الاقتصادية التي كان يتعرض لها اليهود نتيجة لسقوط العملة البولونية ، التي أثرت على سير حركة الهجرة اليهودية إلى فلسطين . وفي نفس الوقت ازدادت السلطات البريطانية إمعاناً في تجاهل العرب^(٢) .

وقد أدت تلك السياسة إلى الإسراع بعقد المؤتمر الفلسطيني السابع برئاسة موسى كاظم الحسيني يوم ٢٠ حزيران (يونيو) ١٩٢٨ ، وحضره ٢٥٠ مندوبياً من جميع مناطق فلسطين يمثلون جميع الإتجاهات فيها . وكان هذا المؤتمر أضعف المؤتمرات الفلسطينية ، وقد أيد مقررات المؤتمرات السابقة^(٣) .

وإذاء محاولات الصهيونيين الرامية إلى إقامة الوطن القومي اليهودي في فلسطين ، ومطالبهم بضرورة الإستيلاء على حائط المبكى ، فقد زادت نسمة

(١) عادل غنم : المصدر السابق ، ص ١٤٦ - ١٥٥

(٢) كامل خلة : المصدر السابق ، ص ١٩٨ .

(٣) محمد عزة دروزة : القضية الفلسطينية في مختلف مراحلها ، ط ١ ، ص ٥٩

العرب على الصهاينة وعجلت بإندلاع انتفاضة عام ١٩٢٩ التي دعيت بـ «البراق»^(١).

وقد كان السبب المباشر لتلك الانتفاضة هو الإحتكاك بين الفلسطينيين واليهود على حائط المبكى ، وذلك على أثر قيام اليهود بمظاهرات في يومي ١٤ و ١٥ أغسطس عام ١٩٢٩ في كل من يافا والقدس على التوالي . وكان اليهود يهتفون «الحائط حائطنا» مما أثار نسمة العرب ، فانطلقت مظاهره مضادة من المسجد الأقصى يوم الجمعة ١٦ أغسطس أزال فيها المتظاهرون كل ما وضعه اليهود من أدوات للعبادة أمام ذلك الحائط^(٢) . وقد تطورت الأحداث لتعبر عن نسمة الفلسطينيين على الوجود الصهيوني في البلاد ، فعمت أحداث تلك الانتفاضة في الفترة ما بين ٢٣ و ٢٩ أب (أغسطس) من عام ١٩٢٩ معظم مدن فلسطين وبخاصة في القدس والخليل وصفد . وكانت نتائج تلك الانتفاضة سقوط العديد من القتلى بين الطرفين إذ بلغ عدد قتلى اليهود ١٣٣ ، وعدد الجرحي منهم ٣٩٩ شخصا ، بينما بلغت خسارة الفلسطينيين ١٦ شهيدا و ٢٣٢ جريحا ، معظمهم سقط برصاص قوات البوليس والقوات العسكرية البريطانية^(٣).

وقد زادت أحداث عام ١٩٢٩ من روح العداء لدى عرب فلسطين تجاه الصهاينة ، فقد اعتبروا تلك الأحداث نذيرًا لهم ولجميع العرب في البلاد المجاورة يحدُّرُهم من خطر الصهيونية المتزايدة في بلادهم^(٤) . وقد أدت الأحداث إلى قيام المظاهرات في معظم البلدان العربية والإسلامية تأييداً لنضال الفلسطينيين من أجل تقرير المصير^(٥) .

وعلى أثر تلك الأحداث ، تشكلت لجنة لدراسة أسباب الإضطرابات

(١) محمد عرابي نخلة : تطور المجتمع في فلسطين ، القاهرة ١٩٧٨ ، ص ٦٠ .

(٢) ناجي علوش : الحركة الوطنية الفلسطينية ، ص ١٦٢ .

(٣) تقرير اللجنة الملكية الفلسطينيين (بيل ١٩٣٧) ، ص ٩١ .

(٤) Fo.371 / 13753 , E4754 / 4198 / 65 , Colonial office to war office 17thsep. 1929

(٥) محمد عرابي نخلة ، المصدر السابق ، ص ٦٢ .

برئاسة السير ولترشو ، وقد وصلت تلك اللجنة إلى فلسطين يوم ٢٤ نوفمبر عام ١٩٢٩ ، ثم عادت إلى إنجلترا يوم ٤ يناير عام ١٩٣٠ ، بعد أن وضعت تقريرا مفصلاً عن أسباب إنتفاضة أغسطس عام ١٩٢٩ ، وقد أوضح تقرير اللجنة أن من أهم أسباب تلك الإنتفاضة ، معارضة عرب فلسطين لإنشاء الوطن اليهودي في بلادهم^(١) .

وتجز عن هبة البراق مقاطعة العرب للصهاينة اقتصادياً ، وزيادة حدة الصراع بين العرب واليهود ، وإصدار السلطات البريطانية لكتاب الأبيض رقم ٣٦٩٢ لعام ١٩٣٠ ، والذي لقي قبولاً حسناً عند العرب ، لأنهم توّقعوا أن تحدّد الهجرة اليهودية ، وكذلك منع تسرب الأراضي لليهود بموجب ذلك الكتاب^(٢) .

وقد اعتبر الصهاينة ذلك الكتاب بمثابة انقلاب في السياسة البريطانية تجاه عدّها بتسهيل مهمّة إنشاء الوطن القومي اليهودي في فلسطين ، وقاموا بمعظاهرات معادية للحكومة البريطانية في جميع أنحاء العالم^(٣) ، كما قام الصهاينة بنشاط واسع للضغط على الحكومة البريطانية بهدف إلغاء الكتاب الأبيض لعام ١٩٣٠ ، ونجحوا في مسعاهم لأن الحكومة البريطانية أصدرت كتاباً آخر يلغى الأول ويرضى اليهود . فزاد ذلك من نقمـة العرب على كل من بريطانيا والصهيونية وكان ذلك الكتاب صفة قوية لعرب فلسطين ، فأطلقوا عليه اسم الكتاب « الأسود »^(٤) .

أدرك الساسة الفلسطينيون أنه لا بد من مقاومة السياسة الصهيونية والبريطانية على السواء ، ولذلك عقدوا مؤتمرات عديدة إبان هذه المرحلة ، وتدارسوا

(١) Esco-Foundation , vol.,op. cit.,p.624.

(٢) ناجي علوش : المصدر السابق ، ص ١٦٦ .

Fo.371 /14493, E6053 / 400 /65, lindsay (washington) to Arther Henderson, oct. 31, 1930. (٣)

(٤) أميل توما : جذور القضية الفلسطينية ، بيروت ١٩٧٢ ، ص ١٨٦ - ١٨٧ .

خلالها أنسَبَ السُّبُلَ لِقاوْمَةِ الْحَرْكَةِ الصَّهِيُونِيَّةِ وَالسِّيَاسَةِ الإِسْتِعْمَارِيَّةِ الْبَرِيطَانِيَّةِ الَّتِي
تَساعِدُهَا عَلَى تَنْفِيذِ مُخْطَلَاتِهَا فِي فَلَسْطِينِ^(١).

وَشَهِدتْ هَذِهِ الْفَرْتَةُ عَقْدَ الْمُؤْمَنَاتِ وَقِيَامِ الْمَظَاهِرَاتِ وَالإِضْرَابَاتِ ،
وَإِصْدَارِ الْبَيَانَاتِ وَالإِحْتِجَاجَاتِ ، وَكَذَلِكَ الْإِنْتِفَاضَاتِ . وَقَدْ رَكِزَتْ الْمُؤْمَنَاتُ
عَلَى أَهْدَافِ الْحَرْكَةِ الْوَطَنِيَّةِ الَّتِي تَنْصُّ عَلَى إِلْغَاءِ وَعْدِ بِلْفُورِ ، وَمَنْعِ الْهِجْرَةِ
الْيَهُودِيَّةِ ، وَمَنْعِ تَسْرُبِ الْأَرْضِيَّةِ إِلَى الْيَهُودِ وَإِقْامَةِ حُكُومَةِ وَطَنِيَّةِ فِي الْبَلَادِ . وَمِنْ
أَبْرَزِ هَذِهِ الْمُؤْمَنَاتِ : مَوْتَمِرُ الْعَمَالِ الْعَرَبِ الْأَوَّلِ وَقَدْ عَقِدَ فِي حِيفَا فِي ١١ يَانِيرِ
١٩٣٠ ، وَمَوْتَمِرُ الصَّحَافِيِّينِ الْعَرَبِ فِي يَافَا وَقَدْ عَقِدَ فِي ١٨ سِبْتَمْبَرِ ١٩٣١ ،
وَمَوْتَمِرُ الْمَنَاصِلِيِّينِ الْعَرَبِ فِي نَابُلِسِ فِي ١٨ سِبْتَمْبَرِ ١٩٣١^(٢) . وَمَوْتَمِرُ الْإِسْلَامِيِّ
الَّذِي عَقِدَ فِي مَدِينَةِ الْقَدْسِ فِي الْفَرْتَةِ مَا بَيْنَ ٧ - ١٧ دِيَسْمْبَرِ ١٩٣١ ، وَضَمَّ
حَوَالَى ١٥٠ مَنْدُوبًا مِنَ الْثَّنِيِّنِ وَعَشْرِينَ قَطْرًا إِسْلَامِيًّا ، وَاتَّخَذَ عَدَدُ قَرَاراتِ مِنْ
أَهْمَهِهَا الدُّعْوَةِ إِلَى تَرْقِيَةِ الصِّنَاعَاتِ فِي الدُّولِ إِسْلَامِيَّةِ ، وَالتَّوْصِيَّةِ بِإِنشَاءِ جَامِعَةِ
الْمَسْجِدِ الْأَقْصِيِّ فِي الْقَدْسِ ، وَبِإِقْامَةِ شَرْكَةِ لِإِنْقَاذِ الْأَرْضِيَّةِ الْعَرَبِيَّةِ فِي فَلَسْطِينِ ،
وَانْتَخَبَ الْمَوْتَمِرُ لَجْنَةً تَنْفِيذِيَّةً مِنْ خَمْسَةِ وَعَشْرِينَ عَضُوًّا ، تَكُونُ مَهْمَتُهَا إِلَيْرَافِ
عَلَى تَنْفِيذِ قَرَاراتِ الْمَوْتَمِرِ . وَاخْتَارَتْ تَلْكُ الْلَّجْنَةَ مَكْتَبًا دَائِمًا لَهَا مِنْ سَبْعةِ أَعْصَمَاءِ
بِرْئَاسَةِ الْحَاجِ مُحَمَّدِ أَمِينِ الْحَسِينِيِّ^(٣) .

وَتَلَى ذَلِكَ انْعِقَادُ مَوْتَمِرِ الشَّابِ الْعَرَبِ الْفَلَسْطِينِيِّ الْأَوَّلِ فِي الْقَدْسِ فِي ٤ يَانِيرِ
١٩٣٢ ، وَمَوْتَمِرِ النِّسَاءِ الْعَرَبِيِّ (الْقَدْسِ ٢٨ يَانِيرِ ١٩٣٢) ، وَمَوْتَمِرِ الْلَّجْنَةِ
الْتَّنْفِيذِيَّةِ (الْقَدْسِ ٢٤ فِيَّرِيرِ ١٩٣٣) وَمَوْتَمِرِ الْوَطَنِيِّ الْكَبِيرِ (يَافَا فِي ٢٦ مَارِسِ
١٩٣٣)^(٤) وَالَّذِي نَادَى بِعَدَمِ التَّعَاوُنِ مَعَ الْحُكُومَةِ وَمَقَاطِعَةِ الْبَصَائِعِ الْإِنْجِليُّزِيَّةِ
وَالْيَهُودِيَّةِ وَمَنْعِ بَيعِ الْأَرْضِيَّةِ لِلْيَهُودِ .

(١) الْمَصْدَرُ السَّابِقُ ، ص ١٨٧ .

(٢) عَبْدُ الْوَهَابِ الْكِيلَيْلِ : تَارِيخُ فَلَسْطِينِ الْحَدِيثِ ، ص ٢٦٦ .

(٣) مُحَمَّدُ عَزَّةُ دُورَزَةُ : الْقَضِيَّةُ الْفَلَسْطِينِيَّةُ فِي مُخْتَلِفِ مَرَاحِلِهَا ، ط ، ص ٨٥ - ٨٦ .

(٤) وَثَاقِنُ الْمَقاوِمةِ الْفَلَسْطِينِيَّةِ الْعَرَبِيَّةِ ، ص ٣٠٥ - ٣١٧ .

وقد رافق هذه المؤتمرات طوال سی هذه المرحلة احتجاجات كثيرة على السياسة البريطانية ، منها تغاضيها عن تهريب السلاح لليهود ، ومحاباتها للمصالح اليهودية ، وعدم منعها لبيع الأراضي والحد من الهجرة اليهودية ، وإنتهاجها سياسة التجهيل في صفوف عرب فلسطين وتشجيعها للمشاريع والصناعات اليهودية وبطش قواها بالمتظاهرين العرب في كل المناسبات^(١) .

وبرزت كذلك الأحزاب الفلسطينية في فترة الثلاثينيات وكان من أبرزها :

١ - حزب الاستقلال العربي (مركزه القدس وتأسس عام ١٩٣٢) وأهم مبادئه استقلال البلاد العربية ووحدتها ، وإلغاء وعد بلفور ، وإقامة حكم نيابي ، وتطوير البلاد سياسياً واقتصادياً واجتماعياً . ومن أبرز رجالاته عزة دروزة ، وعوني عبد الهادي وأكرم زعير وعجاج نويهض . وامتد نشاط الحزب حوالي ستة عشر شهراً وانتهى عام ١٩٣٣^(٢) .

٢ - حزب الدفاع الوطني^(٣) (مركزه القدس تأسس في ٢ ديسمبر عام ١٩٣٤) برئاسة راغب النشاشيبي وضم إلى عضويته كبار التجار والوجهاء وسي أتباعه بالمعارضة ، لأنهم كانوا يعارضون اللجنة التنفيذية والمجلس الإسلامي الأعلى . وقد عرف أيضاً باسم حزب المعتدلين لمواقفه المعتدلة خاصة من السياسة البريطانية تجاه القضية الفلسطينية^(٤) .

٣ - الحزب العربي الفلسطيني (مركزه القدس ، تأسس في ٢٥ مارس ١٩٣٥) انتخب جمال الحسيني رئيساً للحزب . وكان الحزب يعتبر امتداداً

Fo. 341 / 17875 / 06216 /, Tawfis Hamal and other Notabler from Nablus , 30th sep. (١)
1933.

(٢) محمد عزة دورزة : المصدر السابق ، ص ١٠٦ ، ١٠٤ ، ٣٠٩ .

(٣) بعد أن أوقف حزب الاستقلال نشاطه بفترة وجيزة ، توفى موسى كاظم الحسيني رئيس اللجنة التنفيذية يوم ٢٦ مارس ١٩٣٤ ، متاثراً بجراحه على أثر اعتداء البوليس عليه أثناء قيادته لأحدى المظاهرات المناوئة لبريطانيا . وكان يعتبر زعيم الحركة الوطنية بلا منازع ، وكانت وفاته صدمة لعرب فلسطين ، وظل منصبه شاغراً بعد وفاته . وفي ١٧ أغسطس من العام نفسه اجتمعت اللجنة التنفيذية وانتخبت قراراً بضرورة تشكيل اضراب سياسية لتقود الحركة الوطنية .

(٤) عادل غنيم : الحركة الوطنية الفلسطينية ، ص ٢٧٩ .

لتجمع المجلسين ، وهم القاعدة الجماهيرية العريضة في فلسطين . وكان الحاج أمين الحسيني يعتبر الأب الروحي للحزب حتى عرف بين الجماهير باسم حزب المفتى . وكانت أهدافه تتلخص في المطالبة بالإستقلال التام والوحدة مع البلاد العربية ، والغاء تصريح بلفور ، ومقاومة إنشاء الوطن القومي اليهودي ، والعمل على تحسين أحوال المواطنين اقتصادياً واجتماعياً وسياسياً^(١) .

٤ - حزب الشباب العربي الفلسطيني وتأسس في حيفا في ١٠ مايو ١٩٣٥ ، وانتخب يعقوب الغصين رئيساً له ، وكانت أهدافه أقرب ما تكون إلى أهداف الحزب العربي الفلسطيني^(٢) .

٥ - حزب الإصلاح : تأسس في مدينة رام الله في يونيو ١٩٣٥ ، ولكنه اتخذه القدس مركزاً رئسياً له ، وكان أبرز زعمائه الدكتور حسين فخرى الخالدى . وكانت أهدافه قريبة من أهداف الحزب العربي ولكنه يخالفه في السياسة الخارجية ، فقد كان حزب الإصلاح يسعى إلى عقد معااهدة مع بريطانيا ، على غرار المعاهدة التي كانت قد عقدتها مع العراق . وقد اتبع هذا الحزب سياسة أكثر إعتدالاً في القضايا التي كانت تفرضها السياسة البريطانية^(٣) .

٦ - حزب الكتلة الوطنية: تأسس في مدينة نابلس في ٤ أكتوبر عام ١٩٣٥ برئاسة عبد اللطيف صلاح . وكان هذا الحزب يسعى إلى الإستقلال السياسي التام ، والمحافظة علىعروبة فلسطين ، وتطوير البلاد اقتصادياً^(٤) .

وهناك حزب شيوعي سرى يضم أقلية عربية وينادي بمقاومة بريطانيا والصهيونية . ولكنه فشل في التعاون مع الأحزاب الأخرى ولفظه الجماهير لأن إرتباطها بالعقيدة الدينية كان أقوى بكثير مما نادى به ذلك الحزب . تلك هي معظم الأحزاب العربية إن لم يكن كلها التي ظهرت في الثلاثينيات ، وكان أهم أهدافها السعي للسيطرة على الحركة الوطنية وكان

(١) عادل غنم : المصدر السابق ، ص ٢٨١ - ٢٨٣ .

(٢) عبد الوهاب الكيالي : تاريخ فلسطين الحديث ، ص ٢٨٩ .

(٣) عادل غنم : المصدر السابق ، ص ٢٨٣ - ٢٨٤ .

(٤) المصدر السابق ، ص ٢٨٥ .

إعتدال الحزب أو تطرفه يقاس بدرجة تعاونه مع حكومة الإنذاب أو تطرفها . وكان أبرز قادة الأحزاب من ابناء العائلات المتنفذة في البلاد في أغلب الأحيان . وكانت ظاهرة تعدد الأحزاب تعتبر دليلاً ضعف في حركة النضال الفلسطيني^(١) ، غير أن بعض ، الساسة يعتبرونها دليلاً صحة .

وإذا كانت الإحتجاجات والمظاهرات والبيانات وظهور الأحزاب ، هي أحد مظاهر رد الفعل العربي ، فقد كانت الانفاضات المسلحة تشكل لوناً آخر وأهم تلك الانفاضات هي :

١ - انفاضة عام ١٩٣٣ :

وقد بدأت أثر صدور بيان من اللجنة التنفيذية في ٢٢ مارس ١٩٣٣ ، حذرت فيه من خطر الهجرة اليهودية واستمرار إستيلائهم على الأرضي العربية ، وطالبت بالإستقلال . كما دعا البيان إلى عقد إجتماعي قومي في مدينة يافا في ٢٦ مارس ١٩٣٣ ، وعقد بالفعل في ذلك اليوم المؤتمر الوطني الكبير الذي أقر فيه مبدأ عدم التعاون مع الحكومة ومقاطعة البضائع البريطانية والصهيونية معاً^(٢) . وما زاد في سخط الفلسطينيين النشاط الصهيوني في فلسطين الرامي إلى الإسراع في بناء الوطن القومي اليهودي وتسانده ببريطانيا .

وازاء ذلك ، انفجر الوضع في البلاد فعمت المظاهرات جميع أرجاء فلسطين في الفترة (من ١٣ أكتوبر حتى ٣ نوفمبر) وكانت البداية في مدينة يافا والقدس يوم ١٣ أكتوبر ثم تلتها مظاهرات صاحبة في حيفا ويافا والقدس ومعظم المدن والقرى الفلسطينية يوم ٢٧ أكتوبر والأيام التالية . ولقد تصدت قوات الاحتلال للمتظاهرين وأطلقت عليهم نيرانها ، فسقط منهم ٢٦ شهيد و ١٨٧ جريحاً ، بالإضافة إلى مقتل وجرح ٥٦ من رجال البوليس^(٣) ، وتذكر المصادر البريطانية أن سبب الانفاضة ، هو دعوة اللجنة التنفيذية العربية لبناء

(١) عادل غنم : المصدر السابق ، ص ٢٨٦ - ٢٨٧ .

(٢) وثائق المقاومة الفلسطينية العربية ، ص ٣١٨ - ٣٢٠ .

Fo.371 /17876 , E 1281 /70 /31 Report of the British commissione for pale time to F.o. (٣) No 15612 16th Nov.1933.

فلسطين للاحتجاج على السياسة البريطانية المتعلقة بالهجرة اليهودية وانتقال الأرضى العربية لليهود^(١). وخاصة بعد أن أحلت السلطات البريطانية فلاحى عرب الخوارث بالقوة عن أراضيهم نتيجة بيع الإقطاعيين اللبنانيين من آل التبان هذه الأرضى للمنظمات الصهيونية.

وقد أوضحت لجنة التحقيق التى تشكلت فى أعقاب هذه الانتفاضة برئاسة ولهم موريسون ، أن هذه الاضطرابات تختلف عن سابقاتها ، لأن العرب ولأول مرة بدأوا يهاجمون الحكومة ويتهمونها بالإنجذاب الكلى للصهاينة^(٢).

وفى يناير عام ١٩٣٤ تجددت المظاهرات وأخذ القرويون يتجمعون كل يوم فى المدن الخبيطة بها ، مما أثار مخاوف المندوب السامى ، فسارع إلى إرسال برقية إلى وزير المستعمرات يوم ٥ ، وأخرى يوم ١٧ يناير عام ١٩٣٤ يستشيره فيها عن كيفية معالجة الموقف^(٣). وقد جاء الرد سريعاً بعد أن عقد مجلس الوزراء البريطانى جلسة لمناقشة الموضوع ، وقرر استخدام القنابل المسيلة للدموع لتفريق المتظاهرين . ولم تثن تلك الإجراءات عرب فلسطين عن التعبير عن مشاعرهم ، واستمرت البلاد - وخاصة المدن - تشهد مظاهرات الاحتجاج على السياسة البريطانية حتى نشبت حركة الشيخ عز الدين القسام فى العام资料(٤).

٢ - حركة الشيخ عز الدين القسام :

الشيخ عز الدين القسام سورى الأصل ولد فى بلدة جبلة التابعة لقضاء اللاذقية عام ١٨٧١ ، ونشأ فى بيت من بيوت العلم والأدب ، وبعد أن درس العلوم الابتدائية ، أرسله والده إلى الأزهر الشريف حيث تلقى عن الإمام الشيخ محمد عبد الله ، ثم عاد إلى بلده بعد عدة سنوات عديدة ، وعكف على التدريس

Ibid.

(١)

(٢) أميل توما : جذور القضية الفلسطينية ، ص ١٩٤ .

Fo.371 /17876 , E422 / 70131 High com. for palestine to the sec. of state for colonies . (٣)
17th June 1934 .

Fo.371 /17876 , E443 / 70 /31 sec.of state for the colonies to High com. for palestine . (٤)
16th June 1934 .

في جامع السلطان ابراهيم بن أدهم ، ولم يكتف بنشر العلم بل شارك في حركة الجهاد ، فانضم إلى عصبة عمر البيطار في جبل صهيبون ، ثم اشترك مع صالح العلي في ثورته ضد الفرنسيين في شمال سوريا (١٩٢٠ - ١٩٢١) ، وحكم عليه الديوان العرف في اللاذقية بالاعدام ، فالتجأ إلى حيفا في الخامس من فبراير ١٩٢٢ واستوطن فيها ، وتولى التدريس في جامع النصر (وتذكر بعض المراجع إنه كان خطيباً لجامع الاستقلال في حيفا) كما أسس مدرسة ليلية لتعليم الأميين من العرب^(١).

اتخذ الشيخ عز الدين القسام حيفا مرفاً لفلسطين الأول وأقرب مدنهما إلى لبنان ودمشق ، وهي قاعدة من قواعد التهديد فهي بلدة متعددة الأقوام والجنسيات ، مما أسيغ عليها حساسية خاصة . وانضم الشيخ عز الدين القسام إلى جمعية الشبان وتولى رئاستها عام ١٩٢٦ ، ووجد القسام في هذه الجمعية فرصة لتوسيع نطاق علاقاته بالناس ، وإذا بالقسام بعد عدة سنوات يكون عصبة سرية شرطاها الأساسية أن يقتني العضو السلاح على حسابه ، الخاص ، وأن يتبرع بما يستطيعه لهذه العصبة ، وكان بعض أعضاء هذه العصبة من جمعية الشبان المسلمين وبعضهم الآخر من خارج الجمعية^(٢)

وكان الشيخ القسام ذا شخصية جذابة ، حسن السيرة والمعشر ، محدثاً لبقاء وخطيباً بارعاً ، وابتداً يخرج إلى القرى منذ عام ١٩٢٩ عندما عين مأذوناً شرعياً من قبل المحكمة الشرعية ، فكان يقتضي هذه الوظيفة يحضر حفلات الأعراس ، مما أعطاه فرصة لدراسة نفسيات الجاهير ، وكان القسام يتصل بسائر طبقات الشعب لا فرق بين متدين وغيره ، وكان يستعين على قضاء حوائجه بالكتاب . فكان لا يبوح بالسر الكبير الذي يحمله وهو الدعوة إلى الثورة لمنع إقامة وطن قومي لليهود في فلسطين إلا لأشخاص قلائل بعد أن يدرس نفسיהם دراسة كافية

(١) عادل غنم : الحركة الوطنية الفلسطينية ، ص ٢٩٤ .

(٢) صبيحي ياسين : الثورة العربية الكبرى في فلسطين (١٣٩٦ - ١٩٣٦) ، ص ٣١ - ٣٢ .

قد تطول عدة سنوات ، واستمر القسام يعمل بكل الوسائل لتأسيس نواة صالحة من عرب فلسطين بهم للإنطلاق في الوقت المناسب نحو الثورة^(١) .

وكان القسام يحس بخطر الاستعمار والصهيونية فكان يدعوه إلى اتحاد الكلمة ، وكان يبث روح الوطنية في النفوس ، داعيا إلى الوحدة ، مناديا بالعودة إلى تعاليم السلف الصالح ، ومنددا بالفرقة ، منذرا قومه بعواقب الشقاق والتفرق . وكان القسام ينتقى أصحابه من أهل الدين والعقيدة الصحيحة ، ويقوم بتدریبهم في رحلات ليلية ، كما كانوا يقومون بحركات استطلاعية في أشائيرها على إصابة المهدف . وكان يهتم بشعر مبادئه بين العمال والفلاحين والباعة الذين يحضرون دروسه . وكانت روحه وعظاته منسجمة مع فكرة الجهاد المقدس ووجوبه ، وكان بارعا في الوعظ نافذا به إلى أعماق النفوس ، وتكونت حوله حلقة جهادية متدينة من هذه الطبقة^(٢) . ونظم أتباعه بتقسيمهم إلى خمس لجان هي : لجنة الدعوة (الإعلام) ولجنة التدريب العسكري ولجنة التوعية ولجنة الرصد ولجنة الشؤون الخارجية^(٣) .

وكان القسام يؤمن بأن عرب فلسطين إذا شاءوا أن يحيوا في بلادهم ويدرءوا عنها الخطر الاستعماري والصهيوني ، فعليهم أن يبادروا إلى ذلك معتمدين على أنفسهم فقط ، غير متذمرين أن تهبط عليهم النجدات من السماء أو تأتي إليهم من وراء الحدود ، لأنه كان يدرك أن كل بلد عربي لديه ما يشغلة من مشاغله الخاصة ، أو يمنعه من تقديم المساعدة والعون لعرب فلسطين^(٤) .

ولما كان نشاط القسام مقتضرا على شمال فلسطين فقط ، فقد أرسل أحد أتباعه إلى الحاج أمين الحسيني ليخبره عن عزمه على إعلان الثورة في الشمال ، وطلب إليه إعلان الثورة في جنوب فلسطين . وقد كان رد المفتى كما أورده صبحي ياسين . « إن الوقت لم يحن بعد لمثل هذا العمل ، وإن الجهد السياسي التي تبذل تكون لحصول عرب فلسطين على حقوقهم »^(٥) . وهذا يشير

(١) المصدر السابق ، ص ٢٠ .

(٢) عادل غنم : المصدر السابق ، ص ٢٩٥ .

(٣) صبحي ياسين : المصدر السابق ، ص ٣٢ .

بأن الزعامة الفلسطينية لم تكن تؤمن حتى هذا الوقت بالعمل العسكري المسلح ضد الاستعمار والصهيونية . وبذلك يعتبر القسام أسبق الزعامات الفلسطينية بفكرة الجهاد المقدس . ويؤثر عن رجال القسام أن كل واحد منهم كان يحمل في جيشه نسخة من القرآن الكريم الذي انخدوه قدوة لهم . وكانوا يعرفون مصيرهم ويرون إن السعادة هي في بلوغ مرتبة الشهادة في سبيل الله ، والانتقال إلى الحياة الأخرى للتمتع بما أعده الله للمجاهدين الشهداء من نعم .

ولكن الاستفزازات الصهيونية كالتدريب العسكري السافر ، ومهاجمة المتطرفين من أتباع جابوتسكي للقوى العربية ، وازدياد حركات الهجرة اليهودية ، واكتشاف شحنات الأسلحة السرية إلى الصهاينة ، كل هذه العوامل أسرعت بانفجار الثورة العربية المسلحة^(١) .

وقد كانت حركة القسام هي الشرارة الأولى لنداء الثورة ، ففي ١٤ نوفمبر عام ١٩٣٥ اشتبكت دورية حكومية بريطانية مع عدد من أتباع القسام في أحراش بلدة « يعبد » ، وسقط في ذلك الاشتباك أحد الجنود البريطانيين قتيلاً ، مما دعا سلطات الاحتلال إلى إرسال قوات كبيرة إلى تلك المنطقة للقضاء على الثوار . وحدثت المعركة الفاصلة قرب قرية الشيخ زيد ، حيث استشهد القائد العظيم الشيخ عز الدين القسام مع نفر من أتباعه دفاعاً عن فلسطين في ١٩ نوفمبر ١٩٣٥ ، ضارباً أروع الأمثلة في البطولة والفداء رغم قلة عدد رجاله^(٢) ورغم المفاجأة وعدم التكافئ في القوة ، ورافضاً الاستسلام عندما حوصل قائلاً : « إننا لن نستسلم . إن هذا جهاد في سبيل الله والوطن » ، والتفت إلى زملائه قائلاً « موتوا شهداء »^(٣) .

(١) عبد الوهاب الكيلاني : تاريخ فلسطين الحديث ، ص ٢٩٤ .

(٢) يذكر محمد عزة دروزه بأن عدد الذين خرجوا مع القسام كانوا عشرة ، وكانوا في المهاجر أو في كهوفهم يصلون ويقرءون القرآن ، وفي الليل ينحرجون إلى القتال انظر محمد عزة دروزة : القضية الفلسطينية ص ١١٦ .

(٣) عبد الوهاب الكيلاني : المصدر السابق ، ص ٢٩٥ .

وفي اليوم التالي خرجت جماهير الشعب العربي الفلسطيني تشيع جنازة الشهيد الشيخ عز الدين القسام ورفاقه من مدينة حifa إلى قرية الباجر المجاورة وفي أثناء سير الجنازة ، هاجم بعض المشيعين عدداً من المصالح البريطانية في حifa ، وانقلبت الجنازة إلى مظاهرة وطنية ، وأصيب عدد من رجال الشرطة الإنجليز ، ولو لا أن لزمت السلطة الصمت وسحب جنودها لتتطور الأمر إلى درجة كبيرة . وأبى الجماهير إلا أن تشيع الشيخ إلى مقبرة الأخير في تلك القرية التي تبعد عن حifa نحو عشرة كيلو مترات ، سارتها على الأقدام حاملة نعش الشهيد ، فكان مشهداً رائعاً من مشاهد الوطنية الحق ، (١) وقد اعتبر استشهاد القسام القبس الذي أشعل نيران الثورة الفلسطينية الكبرى في السنة التالية ، والتي شارك عدد من رفاق القسام في قيادتها .

ولا شك أن حركة القسام كان لها أثر كبير في نفوس عرب فلسطين ، فرأيقطهم من غفلتهم . وأفهمتهم أن لسان القوة هو اللسان الوحيد الذي يجب أن تخاطب به السلطة المتبدلة ، وإن لغة الرصاص هي اللغة الوحيدة التي تفهمها . وبرهن القسام على أن الإيمان الوطني الصحيح منبعه القلب والعقيدة لا البرامج الخزبية والمشادات العقائدية ، فاستيقظت فلسطين على استشهاده . ورغم أن المعركة لم تأخذ وقتاً طويلاً ، لكن أثراًها كان من حيث الروح لا المقدار ، ومن حيث الكيف لا الكم ، فقد دل الجماهير على الطريق ، ورغم ادراكه لنقدة بريطانيا ، فقد قاتل السلطة بعدد قليل من الرجال ليحيى في النفوس روح الجهاد . وخرج بنفسه في أول معركة ليضرب المثل للجماهير ، ولتعليم المجاهدين كيف تكون القدوة الحسنة والنموذج الصالح ، وكان ما فعله القسام أبلغ رد على سياسة زعماء فلسطين التقليديين ، فقد ثقف ونظم وقاتل حتى مات شهيداً ، غير آبه بجاه أو زعامة ، وكانت سيرته مثلاً للنكفاح والفداء . وكان النهج الذي نهجه يحيى الزعامات .

(١) عادل غنيم : الحركة الوطنية الفلسطينية ، ص ٢٩٨ .

وأياماً كان الأمر فإن ثورة القسام كانت تقوم على فكرة الجهاد المسلح ضد الاحتلال ، وإن القوة وحدها هي التي تستطيع أن تمنع بريطانيا من إقامة وطن لليهود في فلسطين ، كما أن سركته كان تقوم على الدين والعقيدة وكانت منبثقة من احساس ديني عميق من رجال القسام وكلهم من الفلاحين والعمال – بالخطر الذي يهدد حياتهم من جراء الهجرة اليهودية . وكانت رمزاً للحركة الثورية التي ستسود فلسطين بعد عشرة أشهر .

٣ - الثورة الفلسطينية الكبرى (١٩٣٦ - ١٩٣٩)

وعلى أثر حركة القسام ، شعر قادة الأحزاب العربية أن الأحداث بدأت تتخطفهم ، فأسرعوا إلى عقد اجتماع يوم ٢٥ نوفمبر عام ١٩٣٥ ، وقدموها على أثره مطالب الشعب إلى المندوب السامي ، والتي تمثل بإنشاء حكومة ديمقراطية وطنية ومنع بيع الأراضي العربية لليهود ووقف الهجرة اليهودية وقفنا تماماً^(١) . وقد رفضت بريطانيا مطالبهم على لسان المندوب السامي واكھوب في ٢٩ يناير عام ١٩٣٦ ، مع أن الأخير كان قد أعلن في ديسمبر من العام السابق عن عزم بلاده على إنشاء المجلس التشريعي الذي قبله بعض الرعوماء العرب مثل حزب الكتلة الوطنية .^(٢)

ولم يلبث أن بدأ المجاهدون العرب من أتباع القسام ينشطون في أبريل عام ١٩٣٦ ، مما دعا زعم المنظمة الصهيونية الجديدة جاپوتنيسكي إلى إرسال برقيات إلى وزير الخارجية البريطانية وإلى المندوب السامي يحذر فيها من تعاظم الشعور العربي المعادي للصهيونية ، وطالب بضرورة زيادة القوات البريطانية في البلاد لجاهة الموقف المتردئ هناك^(٣) .

ولكن الأحداث كانت تتطور بسرعة لم تتمكن بريطانيا من معالجة الأمور

Surrey of Int. Affairs , 1936 , p.722.

(١)

Fo. 371 /20020 /06214 , The National League Nabuns to High Com: for Palestine , (٢)
2th April 1936 .

Fo. 371 /20020 /06214 PresideNCY OF THE New_zionist sganization to the Right (٣)
Hon.Eden , 6th Apr. 1936

هناك ، خاصية بعد مقتل اثنين من اليهود على يد المجاهدين العرب يوم ١٥ أبريل ، مما ألجأ الصهاينة إلى الانتقام في اليوم التالي ، وذلك بقتلهم لعاملين من العرب قرب مستعمرة تباح تكفا^(١).

وقد كانت تلك الحادثة بمثابة القشة التي قصمت ظهر البعير ، فقد تأزم الوضع على أثرها ، ففي يوم الأحد ١٩ أبريل ١٩٣٦ قامت مظاهرة عربية في مدينة يافا ، اشتباكت خلالها مجموعات من المتظاهرين العرب مع اليهود ، فسقط من اليهود سبعة قتلى و ٢٩ جريحا ، في حين استشهد اثنان من العرب وجرح خمسة عشر آخرين ، وعلى الفور أعلنت سلطات الانتداب منع التجول ، وبدأت تطبيق قانون الطوارئ ، مما جعل العرب يعلنون الإضراب العام^(٢).

وقد استمر الإضراب العام وتعاظم أمره ، فلجلجات الزعامات الفلسطينية إلى الاجتماع يوم ٢٠ أبريل لتدارس الموقف . وانتخب المجتمعون لجنة عربية عليها برئاسة المفتي الحاج محمد أمين الحسيني وعضوية كل من عوني عبد الهادي وراغب النشاشيبي وحسين الخالدي ويعقوب العصرين ويعقوب فراج والفردوشك . وانتخبت اللجنة فورا قرارا باستمرار الإضراب حتى تتحقق مطالب العرب الثلاثة التي قدموها في نوفمبر الماضي للمندوب السامي^(٣) .

وفي ١٥ مايو ، وبعد أن فشلت كل الجهود لإنهاء الإضراب ، أعلن العرب العصيان المدني ، وانتقل زمام المبادرة إلى رجال من الفلاحين والعمال أصحاب المصلحة الحقيقية في الثورة . وبدأت جماعات العصابات المسلحة بالظهور في الشوارع ، مما اضطر بريطانيا إلى الارساع بتعزيز قواتها في فلسطين ، فنقلت أفواجا من قواتها في مصر إلى هناك لمواجهة الموقف .^(٤)

وقد حاولت بريطانيا بكل الوسائل القضاء على الثورة ، فاستخدمت ما

(١) إبراهيم أبو لفند : هبود فلسطين ، ص ٢٥٩ - ٢٦٠ .

(٢) كامل خله : فلسطين والإنتداب البريطاني ، ص ٣٩٦ .

(٣) المصدر السابق ، ص ٤٠١ .

(٤) محمد عرابي نخله : تطور المجتمع في فلسطين ، ص ١١٨ .

يزيد على عشرين ألف جندي لتلك المهمة ، بالإضافة إلى تعديلها لقانون الطورئ حيث حددت فيه الأفعال التي يعاقب عليها بالإعدام أو الحبس المؤبد. هذا علاوة على نصف العديد من منازل يافا وإزالة الحى القديم فيها ، ونصف ٩٣ منزلًا في المدن والقرى الأخرى ، وذلك تأديباً لأصحابها الذين اشتركوا في الثورة على حدى زعم وزير المستعمرات البريطاني أورمسى غور^(١).

وقد أثبتت عرب فلسطين خلال الاضراب الكبير الذى استمر حوالي ستة شهور ، أنهم وحدة مترابطة وضربوا مثلاً رائعاً في تحدى العدو المحتل من أجل نيل الاستقلال وتحقيق الأهداف القدمية^(٢).

وبعد مساع قام بها نوري السعيد ، وبعد توجيه نداء الملك والزعماء العرب إلى ثوار فلسطين ، أوقف الفلسطينيون اضرابهم الكبير يوم الاثنين ٢ أكتوبر. وأفقد ذلك التدخل الحركة الوطنية في فلسطين جانباً كبيراً من قوتها واندفعها ، فجاء وقف الثورة في صالح الأطعام الاستعمارية . وهكذا أجهضت أكبر ثورة عرفتها فلسطين حتى ذلك التاريخ .

ولم تلبث أن أرسلت الحكومة البريطانية اللجنة الملكية للتحقيق برئاسة بيل Peel ، فأوصت هذه اللجنة في نهاية المطاف بتقسيم فلسطين إلى دولتين. فرفض الفلسطينيون ذلك وأيدوه على الفور البلدان العربية باستثناء إمارة شرق الأردن ، كما رفض الشعب العربي بأسره ذلك ، ودعت البلدان العربية إلى عقد مؤتمر شعبي في بلودان في عام ١٩٣٧ ، ورفض المؤتمر هذا المشروع بالإجماع^(٣). فاضطررت بريطانيا إلى التراجع عنه ودعت إلى عقد مؤتمر المائدة المستديرة في لندن عام ١٩٣٩ في محاولة منها حل المشكلة ولكن دون جدوى.

وسرعان ما استؤنفت الثورة ، فتوافد المتطوعون والمجاهدون المسلمين لنصرة أخوانهم في فلسطين ، وشاركوهم شرف الاستشهاد في ثورتهم المسلحة ، وسيطر

(١) Parliamentary Debates: House of Commons, vol.317, 18th Nov., 1936. cols 1771- 1776.

(٢) كامل خلة : المصدر السابق ، ص ٤٠٥ - ٤٠٧.

(٣) زاهية قدورة : تاريخ العرب الحديث ، ص ٢١٦.

الثوار على معظم أنحاء البلاد ، وانحصرت المقاومة البريطانية المسلحة في داخل مدن فلسطين الكبيرة تقربياً ، وأجليت معظم الأسر البريطانية إلى خارج فلسطين . وقام الثوار الفلسطينيون بمجاهدة الم العسكرية البريطانية والمطارات والمخافر وقوافل السيارات العسكرية ، ونسف طرق المواصلات وخطوط السكك الحديدية ومحطاتها^(١) .

وشرعت السلطات البريطانية في اتخاذ الإجراءات الالزمة للقضاء على الثورة ، فأمرت بحل اللجنة العربية العليا واللجان القومية الفلسطينية ، وقامت بحملة اعتقالات واسعة النطاق في البلاد ، ولاحقت الحاج أمين الحسيني الذي فر إلى لبنان ومنه إلى العراق ، وألقت بعده من قادة الثورة في السجون ، وضيقـت الخناق على الثوار حين تعاونـت معها فرنسا ، فـنـعـتـ بـذـلـكـ وـصـولـ السـلاـحـ وـالـعـتـادـ إـلـىـ فـلـسـطـينـ مـنـ سـورـيـاـ^(٢) .

كما اتخذـتـ السـلـطـاتـ الـبـرـيطـانـيـةـ كـلـ وـسـائـلـ الـبـطـشـ وـالـإـرـهـابـ لـقـمـعـ الثـورـةـ ، وـحـشـدـتـ فـلـسـطـينـ عـلـىـ التـوـالـىـ أـرـبعـ فـرـقـ عـسـكـرـيـةـ أـىـ مـاـ يـعـادـلـ خـمـسـينـ أـلـفـ جـنـدـيـ بـرـيطـانـيـ ، وـعـزـزـتـ بـقـوـاتـ الطـيـرانـ وـالـمـدـفـعـيـةـ . وـوـقـفـ الـيـهـودـ بـكـلـ قـوـتهمـ إـلـىـ جـانـبـ السـلـطـاتـ الـبـرـيطـانـيـةـ فـيـ مـحاـوـلـةـ القـضـاءـ عـلـىـ الثـورـةـ . وـاحـتـلـتـ تـلـكـ السـلـطـاتـ عـدـدـاـ مـنـ الـقـرـىـ فـيـ مـنـطـقـةـ الـجـلـيلـ وـالـنـاصـرـةـ لـمـحاـوـلـةـ الـحدـ مـنـ اـتسـاعـ الثـورـةـ . وـرـافـقـ الـعـمـلـيـاتـ الـعـسـكـرـيـةـ الـبـرـيطـانـيـةـ عـمـلـيـاتـ أـخـرـىـ ضـدـ الـمـدـنـيـنـ مـنـ سـكـانـ الـمـدـنـ وـالـقـرـىـ ، فـنـسـفـتـ أـحـيـاءـ بـرـمـتـهـاـ فـيـ بـعـضـ الـمـدـنـ (ـيـافـاـ ،ـ جـنـينـ)ـ وـفـيـ كـثـيرـ مـنـ الـقـرـىـ ، وـأـتـلـفـتـ مـوـادـ الـقـوـينـ ، وـنـهـيـتـ الـأـمـوـالـ وـالـأـمـتـعـةـ ، وـلـمـ يـتـورـعـ الـجـنـودـ الـبـرـيطـانـيـونـ عـنـ أـنـ يـدـوـسـواـ الـقـرـآنـ الـكـرـمـ بـأـرـجـلـهـمـ . وـعـانـىـ كـثـيرـ مـنـ الـمـعـتـقـلـيـنـ أـشـدـ أـنـوـاعـ التـعـذـيبـ الـوـجـشـيـ كـالـكـيـ بـأـسـيـاخـ الـحـدـيدـ الـمـحـمـةـ بـالـتـارـ ، وـقـلـعـ الـأـظـافـرـ ، وـالـحـبـسـ فـيـ الـثـلـاجـاتـ وـالـجـلـدـ بـالـسـيـاطـ . وـقـدـ نـتـجـ عـنـ ذـلـكـ كـلـهـ أـنـ

(١) السيد رجب حراز : صفحات من تاريخ الصهيونية وإسرائيل ، ص ٧٢ .

(٢) محمد أمين الحسيني : حقائق عن قضية فلسطين ، القاهرة ١٩٥٤ ، ص ١٩ .

استشهد حوالى ستة آلاف شهيد ، وأعدم شنتاً حوالى مائة وخمسون شهيداً ،
وبلغ عدد الجرحى عشرات الألوف ، كما بلغ عدد المعتقلين نحو خمسين ألفاً^(١) .

وقد كان لهذه الثورة أصداء عربية إسلامية ودولية ، فعلى المستوى العربي والإسلامي ، شارك المتطوعون من أبناء البلد العربية والإسلامية إخوانهم في فلسطين للجهاد وشرف الاستشهاد وأقام المفكرون والأدباء الندوات والدراسات . كما قام الطلاب بالمؤتمرات تأييداً لعرب فلسطين واستنكاراً لسياسة بريطانيا الاستعمارية والصهيونية ، فضلاً عن اللجان التي تشكلت في البلدان العربية لجمع التبرعات إضافة إلى العمل السياسي الذي كان يقوم به رجال الصحافة والسياسة في العالم العربي والإسلامي . وعقدت كذلك مؤتمرات شعبية وحكومية تعبراً عن السخط العام والتضامن العربي ، ومنها مؤتمر بلودان الشعبي ١٩٣٧ ، والمؤتمر البريطاني العربي الذي عقد في القاهرة عام ١٩٣٨ ، والمؤتمر النسائي العربي الذي عقد في القاهرة أيضاً عام ١٩٣٨^(٢) .

أما زعماء المسلمين في الهند وأفغانستان وإيران وغيرها فقد أيدوا مطالب الفلسطينيين واستنكرروا قرار التقسيم لعام ١٩٣٧ وبعثوا ببرقيات تأييد إلى الحاج أمين الحسيني رئيس اللغة العربية العليا^(٣) .

وعلى الصعيد العالمي ، أخذت صحف العالم وإذاعاته وخاصة ألمانيا وزعيمها هتلر تردد ضد هذه الثورة الفريدة ووقائعها البارزة بشكل لم يسبق له مثيل من العناية والاهتمام . خاصة وأن عرب فلسطين كانوا يقارعون في ثورتهم هذه الامبراطورية البريطانية والصهيونية معاً ، بكل ما تملك هاتان القوتان من جنود وحشود وأموال ووسائل عسكرية وسياسية واقتصادية يدفعهم في ذلك إيمانهم بالله وعزيمتهم الصادقة على الاستئثار في سبيل غایتهم المثلى وهدفهم الأسمى^(٤) . واستمرت هذه الثورة قرابة ثلاثة سنوات وخمسة أشهر .

(١) مذكرات مفتى فلسطين : جريدة أخبار اليوم المصرية ١٠/١٢/١٩٥٧ .

(٢) زاهية قدورة : تاريخ العرب الحديث ، ص ٢١٦ - ٢١٧ .

(٣) مذكرات مفتى فلسطين ، جريدة أخبار اليوم ، ١٠/٥/١٩٥٧ .

(٤) مذكرات مفتى فلسطين ، جريدة أخبار اليوم ، ١٢/١٠/١٩٥٧ .

ويرى غسان كنفاني أن عام ١٩٣٦ كان عام بداية النكبة والكارثة في فلسطين على صعيد وجودها الشعبي ، ويقول في هذا الصدد : « في اعتقادى بأن هزيمة عام ١٩٤٨ لم تكن الحلقة الأولى في الكارثة الفلسطينية وأريد أن أشدد على القول إن الكارثة الفلسطينية بدأت عملياً في الهزيمة التي منيت بها انتفاضة عام ١٩٣٦ في فلسطين ، وما حدث عام ١٩٤٨ كان نتيجة لتلك الهزيمة ، وبالتالي حلقة ثانية ، وهذا يعني أن دراسة ثورة ١٩٣٦ أمر أساسى »^(١) .

وهكذا كادت تكون الإضطرابات والثورات الفلسطينية متصلة ، منذ بداية عهد الانتداب البريطاني حتى قيام الحرب العالمية الثانية ، فلم تتوارد إلا خلال فترات قصيرة وذلك لأسباب سياسية ناجمة في جوهرها عن محاولات الحكومة البريطانية من تسوية المشكلة الفلسطينية . وعلى ذلك يمكن اعتبار فترة الحرب العالمية الثانية فترة ركود وترقب في الحركة الوطنية الفلسطينية .

سياسة الانتداب البريطاني وأهدافها :

نبع عن الإضطرابات المسلحة والاضربات والعصيان المدني والثورات التي قام بها عرب فلسطين تعين خمس بعثات (لجان) لتنقصى الحقائق . وهذه اللجان هي : لجنة توماس هايكرفت (١٩٢١) ، ولجنة ولترشوب (١٩٢٩) ، ولجنة هوب سميسون (١٩٣٠) ولجنة بيل (١٩٣٧) ولجنة وودهيد (١٩٣٨) . وبالإضافة إلى ذلك قامت بعثة نيابة عن عصبة الأمم بزيارة فلسطين سنة ١٩٣٠ للدراسة الأحوال الخاصة بحائط المبكى (البراق) واثبات ملكيته لأى من الطرفين^(٢) .

وكان يطلب من اللجان بحث المظالم التي يشكو منها العرب وكتابه تقرير عنها ، فجاءت نتائج تحقيق تلك اللجان من حيث الروح متطابقة ومماثلة وهي :

(١) غسان كنفاني في « الملتقى الفكرى العربى فى الخرطوم » ، مارس ١٩٧٠ ، « مجلة المعرفة السورية » ،

العدد ١٠١ ، يوليو ١٩٧٠ ص ٢٦٦ - ٢٦٧ .

(٢) سامي هداوى : « فلسطين تحت الانتداب » ندوة فلسطين العالمية الثانية ، الكويت ١٩٧١ ،

١ - خيبة أمل العرب في عدم الوفاء بالوعود المعلقة لهم في نيل الاستقلال
إبان الحرب العالمية الأولى.

٢ - إيمان العرب بأن وعد بلفور جاء لدحض حق العرب في تقرير مصيرهم
وتخوفهم من إقامة وطن قومي لليهود في فلسطين سيؤدي حتماً إلى تحريرهم من
بيوتهم وممتلكاتهم في الأرض.

أما الصهاينة فلم تكن أهدافهم وغاياتهم مكتومة ، ففي عام ١٩٢١ أبلغ
الدكتور ديفيد ادر وهو عضو في البعثة الصهيونية ، أبلغ محكمة تقضي الحقائق إنه
« لا يجوز أن يقوم في فلسطين أكثر من وطن قومي واحد وذلك لليهود ، كما لا
يجوز المساواة في المشاركة بين اليهود والعرب ، ولكن رحجان كفة اليهود يجب أن
تم بسرعة حال زيادة عدد هذا الشعب ». وقد أكد هذا الاتجاه بعثة كنج كرين
في عام ١٩١٩ عندما قررت أن « الصهاينة يسعون فعلاً إلى تحرير السكان
الحالين غير اليهود من فلسطين بهائياً بوسائل الشراء المختلفة »^(١).

ويمعلوم أن كل لجنة كان عليها أن تصدر بياناً أثر انتهاء أعمالها ، يتناول فيه
سياسة بريطانيا في فلسطين وبالذات تفسيرها لمفهوم الوطن القومي ووضع
السياسة التي تنتهج فيها بعد . وعلى العموم ، فقد صدرت ثلاثة بيانات رئيسية :
وجاء البيان الأول نتيجة لاضطرابات عامي ١٩٢٠ ، ١٩٢١ وعرف باسم
مذكرة تشرشل ، ونص هذا البيان على « أن نصوص وعد بلفور ... لا تعني بأن
كل فلسطين يجب أن تحول إلى « وطن قومي يهودي » ، وتتضمن البيان دستور
فلسطين والذي يقضي بإنشاء مجلس تشريعي مناثنين وعشرين عضواً ، منهم
عشرة من الموظفين الإنجليز ، وثمانية من المسلمين وأثنين من المسيحيين وأثنين من
اليهود . وليس من صلاحيات المجلس المذكور التعرض لمبدأ الانتداب أو الوطن
القومي اليهودي ».^(٢)

أما البيان الثاني فقد صدر أثر اضطرابات هبة البراق عام ١٩٢٩ وعرف

(١) المصدر السابق .

(٢) الوثائق الرئيسية في قضية فلسطين ، وثيقة رقم ٢٩ ، ص ١٥٦ - ١٥٧ .

بكتاب باسفيلد الأبيض (الكتاب الأبيض الثاني) وقد اعترف هذا البيان بحقوق « المجتمعات غير اليهودية » واعتبرها على نفس المستوى من الأهمية لحقوق اليهود^(١).

ويشير البيان الثالث (الكتاب الأبيض الثالث ١٩٣٩) والمعروف بكتاب ماكلدونالد الأبيض إلى أن « البعثة الملكية برئاسة اللورد بيل » وبعثات تقصي الحقائق التي سبقتها قد لفتت النظر إلى غموض بعض العبارات في صك الإنذاب مثل عبارة « الوطن القومي للشعب اليهودي »، ووُجِدَت في هذا الغموض وما نشأ عنه من الإرتياح في أهداف السياسة البريطانية سياسياً للقلق والشحنة بين العرب واليهود. وقد اقتنعت الحكومة بأنه لا بد من توضيح السياسة والأهداف إزاء عرب فلسطين حتى يسود السلام والطمأنينة لدى الشعب الفلسطيني. وعلى أثر ذلك أعلنت الحكومة البريطانية « أنه لا تعهداتها ولا الصالح القومي البريطاني يحيى إستمرار في تنمية الوطن القومي اليهودي إلى أبعد من الحد الذي وصل إليه ، ولذلك فقد اقررت الحكومة البريطانية ، إنشاء دولة مستقلة في فلسطين خلال عشر سنوات تربطها معااهدة مع بريطانيا تؤمن مطالب الطرفين الاقتصادية والإستراتيجية في المستقبل . ثم من الناحية الدستورية ، توسيع قاعدة اشتراك الفلسطينيين في حكومة بلادهم (الحكم الذاتي) .

وفيما يتعلق بمشكلة الهجرة ، أعلن الكتاب الأبيض الثالث السماح بإدخال ٧٥,٠٠٠ يهودي خلال السنوات الخمس التالية ، بشرط أن تسمح قدرة البلاد الاقتصادية على استيعابهم ، فلا يسمح بعد انقضاء هذه السنوات الخمس بأية هجرة يهودية إلا إذا وافق عرب فلسطين على قبولها^(٢) .

اما ما يتعلق بالأراضي فقد قسمها الكتاب الأبيض إلى مناطق متعددة ، فقد

(١) الوثائق الرئيسية في قضية فلسطين ، وثيقة رقم ٣١ ، ص ١٦٧ - ١٨٧ .

(٢) الوثائق الرئيسية في قضية فلسطين ، الوثيقة رقم ٣٨ ، ص ٣١٥ - ٣٧٢ .

حظر بيع الأرض في مناطق وحدد البيع في مناطق أخرى وذلك بموافقة الحكومة.

وفي فبراير ١٩٤٠ سنت بريطانيا قوانين نقل ملكية الأرض التي حظرت بيع الأرض في المنطقة أ ، إلى اليهود وحددت البيع في المنطقة « ب » ولم تفرض أي حظر على ذلك في المنطقة أ .^(١)

وقد كانت ردود الفعل عند العرب لهذه السياسة البريطانية مختلفة : فقد كان جزء يسير من الشعب العربي على استعداد لقبوتها غير أن الشك كان يخالجهم بالنسبة لإخلاص الحكومة البريطانية ، بينما قرر الجزء الأكبر من الشعب الفلسطيني رفض هذه السياسة لأنها لا تؤي كليا بمطامع عرب فلسطين الرامية إلى الغاء وعد بلفور والإنتداب وإلى منحهم الإستقلال . وعلى ذلك يمكن القول بأن العرب رفضوا الكتاب الأبيض .^(٢)

ومن ناحية أخرى ، فقد كانت ردود الفعل عند الصهاينة الدعوة بالإجماع إلى سحب ورفض هذه السياسة التي رأوا فيها تحطم آمالهم سواء في إنشاء دولة يهودية أو في قوانين الهجرة والأراضي . ولذلك منذ رفض اليهود الكتاب الأبيض ودعوا إلى عقد إضراب عام ، واعتدى اليهود على المخازن العربية في القدس وسلبوا ، كما قتلوا خمسة من عرب القدس وجروحوا خمسة عشر والقووا القنابل والتفجيرات على العرب في الأسواق ، وقتل كذلك شرطي بريطاني بعيار ناري .^(٣)

ولكن هذا الرفض من جانب العرب واليهود لم يثن بريطانيا عن عزمها ، فأكدت الحكومة البريطانية عزمها على تنفيذ سياسة الكتاب الأبيض أمام مجلس العموم البريطاني في ٢٢ مايو ١٩٣٩ ثم أمام لجنة الإنتدابات الدائمة في ١٥

(١) سامي هداوي : المصدر السابق ، ص ٤١ .

(٢) أميل الغوري : المؤامرة الكبرى . أغتيال فلسطين وحق العرب ، ص ٩٧ .

Monroe , E: Britain's Moment in the middle East 1914-1956, p.122

(٣)

يونيو ١٩٣٩ . ولم تستطع بريطانيا اتخاذ أية إجراءات بشأن تنفيذ سياستها في الكتاب الأبيض الثالث بسبب نشوب الحرب العالمية الثانية^(١) .

القضية الفلسطينية خلال الحرب العالمية الثانية :

تطورت القضية الفلسطينية خلال الحرب العالمية الثانية نتيجة لإنصار هتلر بادئ الأمر واحتلاله فرنسا وتقدمه نحو بريطانيا ، وكانت حركة هتلر العنصرية التي هدفت إلى ترقية العنصر الألماني وتصفيفه من الدم اليهودي قد ساعدت في تطور الحركة إذ أن اضطهاده لليهود أدى إلى هجرتهم على نطاق واسع إلى فلسطين ، ومن جهة أخرى استغل اليهود هذا الإضهاد للدعابة لقضيتهم شرقاً وغرباً ، ودخل يهود أمريكا في الصورة وأصبحوا عنصراً من أقوى العناصر المؤثرة في القضية الفلسطينية ، بل إن قيادة الحركة الصهيونية قد انتقلت إلى أمريكا واتخذت منها مركزاً فعالاً لنشاطها بفضل نفوذ اليهود الداعي والمالى والسياسي^(٢) .

كما أن فلسطين شهدت فترة هدنه بين العرب والصهاينة خلال الحرب العالمية الثانية ، لأن وجود جيوش الحلفاء في الشرق الأوسط جعل من المتعذر على عرب فلسطين الاستمرار في حرب العصابات^(٣) . علاوة على أن العرب كانوا ينظرون إلى إنتصارات هتلر الكاسحة بعين الرضا حيث إنها ستعمل على القضاء على اليهود . وبالفعل فإن اليهود كانوا يفكرون بالهجرة من الشرق إلى أمريكا بعد أن رأوا إنتصارات هتلر الكاسحة على الحلفاء وبعد أن تعرضوا لحركات إبادة جماعية ، ولم يتبدد رعب اليهود وخوفهم إلا بعد إنتصار الحلفاء على المحور في معركة العلمين^(٤) .

(١) محمد أنيس ، السيد رجب حراز : الشرق العربي في التاريخ الحديث والمعاصر ، ص

٥٥٦ - ٥٥٧.

stevens , Richard p. : American zionism and u.s. Foreign Policy , 1942 - 1947 (New York 1962) p.206. (٢)

Len zowski , G.: The Middle East in world Affairs , pp.272-3
Stevens , Richard p.: op.cit. , p.20 6. (٣)

(٤)

غير أن الوثائق الألمانية قد كشفت مؤخرًا عن اتفاق بين النازية والصهيونية إبان الحرب العالمية الثانية ، يدعو إلى ذبح اليهود الذين يرفضون الهجرة إلى فلسطين من الشباب وتسلیم كبار السن من الرجال والنساء إلى المذابح الهاتلرية النازية ، ولقد تأكّد لدى العارفين من اليهود أن زعماءهم في الحرب العالمية الثانية كان بإمكانهم إنقاذ أعداد هائلة من يهود ألمانيا وبولندا ، إلا أنهم لم يقوموا بأى جهد يذكر من أجل ذلك المدف^(١) . فقد كان هدف الحركة الصهيونية فقط يرمي إلى إقامة دولة يهودية ، وليس إلى مكافحة النازية أو مساعدة اليهود المضطهدين على مقاومتها . كما كانت الحركة الصهيونية خارج الأراضي التي يحتلها النازيون تعلم بما كان يجري لليهود من إبادة جماعية دون أن تقوم بأى عمل مقاومة تلك الأعمال ، أو حتى بالسعى لدى دول الحلفاء بقصف وتدمير مراكز إبادة اليهود الجماعية . بل كان هدفها استغلال تلك المذابح لإجبار اليهود على الهجرة إلى فلسطين^(٢) .

وتحكّذا تبيّن لنا أن المعلومة التي كان يدركها الجميع من أن إنتصار هتلر قد يقضي على اليهود في البلاد العربية وفي فلسطين بالذات ، أصبحت غير ذات بال ، فقد أراد هتلر تصفية ألمانيا ودول أوروبا من اليهود ، لكنهم (الصهاينة) كانوا (يتحالرون مع النازية من أجل تهجير اليهود إلى فلسطين مقابل أن تكون فلسطين قاعدة استعمارية ألمانية وبذلك تكون الصهيونية في خدمة النازية في منطقة الشرق الأوسط . هكذا تكون هذه الإتفاقيات بين النازية والصهيونية قد قلبـت المفاهيم السائدة رأساً على عقب .

وعلى أثر انتصار الحلفاء في معركة العلمين ، تغيّر ميزان القوى وتبدلـت السياسة العالمية ، فانعكست أثار ذلك على القضية الفلسطينية ، وانتقل مركز الثقل الصهيوني إلى أمريكا . فقد دعا الصهاينة إلى عقد مؤتمر في فندق بلتيمور

(١) رفيق شاكر التشهـ : الأسلام وفـلسطين ، ص ٣٢ .

(٢) فارس غلوب : الصهيونية والنازية ، ص ١٢٠ - ١٣٠ . وانظر كذلك محمود عباس (أبو مازن) : العلاقة بين الصهيونية والنازية بيررس ١٩٨١

في أمريكا في الفترة ما بين ٩ - ١١ مايو عام ١٩٤٢ لتدارس الموقف ، وقد اتخذ هذا المؤتمر عدة قرارات هامة كان أولها شجب السياسة البريطانية تجاه فلسطين والتي نص عليها الكتاب الأبيض الثالث عام ١٩٣٩ ، وطالب المؤتمرون بضرورة إدخال مئات الآلاف من المهاجرين اليهود الذين وقعوا تحت الإضطهاد النازي واضطربتهم ظروف الحرب إلى ترك منازلهم في ألمانيا^(١) .

وقد اتخذ المؤتمر قراراً بنقل مركز النقل في النشاط الصهيوني من بريطانيا إلى أمريكا لكي يستطيعوا ممارسة ضغطهم على الحكومة الأمريكية ، لتقوم بدورها بالضغط على بريطانيا لإلغاء ما جاء في الكتاب الأبيض لعام ١٩٣٩^(٢) . الواقع أن الصهيونية العالمية لم تنقل نشاطها إلى أمريكا إبان الحرب بسبب الكتاب الأبيض ، فيحسب ، بل لأن الصهيونية شعرت أن بريطانيا قد انتهت دورها في العالم خلال الحرب وحل محله الولايات المتحدة الأمريكية . ولذا فإن الصهيونية يبحثون دائماً عن الخصان الفائز ويركبون الأمواج التي توصلهم إلى الأمان .

وفي أثناء المناقشات التي دارت في هذا المؤتمر ، أوضح بن غوريون أن إنشاء حكومة ثنائية في فلسطين ، أو إقامة أي حكم يضم العرب واليهود أمر غير ممكن ، وأن ليس هناك إلا حل واحد هو إقامة الدولة اليهودية في فلسطين . واقتراح أن تعمل الوكالة اليهودية على تطوير المجتمع اليهودي في فلسطين ، وأن تعتبر نفسها حكومة مؤقتة غير معلنة ترعى وتنظم مسألة الهجرة والإستيطان وتشرف على التنمية الاقتصادية والاجتماعية في البلاد^(٣) .

وقد اتخاذ المؤتمر ثمان قرارات هامة عرفت برنامج بلتيمور ، تنظم العمل في هذه المرحلة وتسعى لتحقيق أهداف الصهيونية ، وتعمل على تشجيع الهجرة وترفض سياسة الكتاب الأبيض لعام ١٩٣٩^(٤) . وأصبح برنامج بلتيمور بذلك البرنامج الرسمي للحركة الصهيونية .

Esco - Foundation: op. cit vd.2., p.1034

(١)

Hurewitz, J.C.: The struggle for palestine, p.144.

(٢)

Esco - Foundation: op. cit., vol 21 pp.1082- 1084.

(٣)

Ibid : pp.1084- 1085.

(٤)

وقد صاحب ظهور برنامج بلتيمور تعديل في استراتيجية الحركة الصهيونية . وكانت هذه الحركة تعتمد من قبل في تهويد فلسطين على بريطانيا وعلى صك الإنذاب الذي تضمن تصريح بلفور أو « ماجنا كارتا » الشعب اليهودي^(١) كما يزعمون . ولكن الحركة الصهيونية منذ عام ١٩٤٢ ، أخذت تعتبر تصريح بلفور وصك الإنذاب غير كافيين لتحقيق أطماع اليهود في فلسطين . كما أخذت الحركة الصهيونية تعتمد على الولايات المتحدة الأمريكية بالدرجة الأولى ، هذا فضلا عن أن الصهيونية اتخذت موقفا عدائيا من بريطانيا ودخلت في معركة ضدتها في سبيل تحقيق أطماعها في فلسطين .

ومع ظهور برنامج بلتيمور ، أخذ الصهيونيون يبذلون نشاطا كبيرا لكسب رجال السياسة الأمريكيين إلى جانبهم . وتجلى هذا التأييد المطلق في المذكرة التي قدمها عدد كبير من أعضاء مجلس الشيوخ (٦٢) ومجلس الكونغرس (النواب) الأمريكي (١٨١) بمناسبة الذكرى الخامسة والعشرين لتصريح بلفور ، مؤيدة الوطن القومي اليهودي في فلسطين ومهدة لإقامة كومونولث يهودي . كما أصدر عدد كبير من الهيئات التشريعية بالولايات الأمريكية قرارات في صالح الصهيونية . وتسابق المرشحون للرئاسة إلى نشر الوعود والقاء الخطب والتصريحات وكلها في صالح اليهود . فقد أعلن روزفلت خلال الدورة الانتخابية لعام ١٩٤٤ بالمساعدة على إقامة دولة يهودية وإلغاء الكتاب الأبيض ، كما وعد بزيادة العون إذا ما نجح في انتخابات الرئاسة . كما عرض على الكونغرس الأمريكي مشروع قرار يطالب بفتح فلسطين للهجرة غير المقيدة لليهود ، وتأسيس جمهورية يهودية حرة في فلسطين ، إلا أن المشروع لم ينفذ خشية الحق الأذى بجهود الحلفاء في الشرق الأوسط^(٢) .

وجدد الرئيس روزفلت بعد انتخابه رئيسا للجمهورية في مطلع عام ١٩٤٥ تعهده لليهود بمساعدتهم على إنشاء دولة يهودية في فلسطين . غير أن معارضته مصر وال سعودية وبخاصة بعد المقابلة التي تمت بين الملك عبد العزيز آل سعود

(١) Eliezer Berg Horin, The Middle East, crossroads of History p.109.
stevens, R.p.: op.cit., pp. 66-177.

(٢)

والمسير روزفلت حيث عرض الملك عبد العزيز على الرئيس الأمريكي تطورات القضية الفلسطينية ، فأعطى روزفلت الملك عبد العزيز وعدا بأن لا يتخذ قرارا ضد مصلحة العرب^(١) .

كما لاق الصهاينة تأييداً كبيراً من مختلف الأوساط الأمريكية ، فقد وقع خمسة آلاف قسيس بروتستندي أمريكي عريضة رفعوها إلى الحكومة الأمريكية والكونغرس ، يطالبون فيها بفتح أبواب فلسطين على مصاريها للهجرة اليهودية ، هذا فضلاً عن أن شركات الأنباء ومحطات الإذاعة والصحافة الأمريكية بدعائية واسعة النطاق للدعوة لمشروع إنشاء الدولة اليهودية^(٢) .

وهكذا قرر الصهاينة بعد التجاج الذي أحرزوه في الولايات المتحدة الأمريكية ، وبعد أن ضمنوا تأييد حكومة وشنطن لهم ، أن يخوضوا مع سلطات الانتداب البريطاني في فلسطين ، معركة مواجهة ضد قوانين تحديد الهجرة اليهودية . فبدأوا يباشرون نشاطاً إجرامياً إرهابياً ، قامت به منظمات إرهابية منها المهاجنا ، وشترين وأرجون زفاف ليومي . فقاموا بنسف الجسور وخطف الجنود البريطانيين وإعدامهم^(٣) .

وبلغ الإرهاب الصهيوني ذروته في فلسطين عام ١٩٤٤ ، ولم ينج المندوب السامي في فلسطين سيرهارولدماك مايكيل Harold Mac Michael من الموت إلا بأعجوبة هو وزوجته ، وامتدت أيدي الإرهاب الصهيوني إلى كبار رجال الحكومة البريطانية في خارج فلسطين ، حيث حاول الارهابيون اغتيال عدد منهم في لندن وباريس وغيرها . ونجحوا في اغتيال اللوردمون Moyne في القاهرة في نوفمبر ١٩٤٤ ، بالإضافة إلى نسف فندق الملك داود بالقدس في ٢٦ يوليو عام ١٩٤٦ ، وكان ذلك الفندق مقراً لقيادة القوات البريطانية في فلسطين . وقد أسفر ذلك الحادث عن مقتل ٩٣ شخصاً وجرح ٥٣ آخرين^(٤) .

(١) زاهية قدورة : تاريخ العرب الحديث ، ص ٢٢١.

(٢) أنيس وحرار : الشرق العربي في التاريخ الحديث والمعاصر ، ص ٥٦٢.

Parliamentary Debates , House of Lords , vol. 142 , 13 July 1946 col. 1151.

Ibid. pp. 801 - 802

(٣)

(٤)

معظمهم من البريطانيين . ومع ذلك لم تقابل بريطانيا هذه الأعمال بالعنف ، بل كانت تحظر على جنودها وشرطها مقابلة العداون بالمثل ، والدفاع عن النفس فقط ، مما ضعف منه البداء ، والقضاء على أنفسهم وحملهم على الشكوى العنيفة .

ولكن هذه الأفعال الإرهابية نجحت أخيرا في تحويل الولايات المتحدة الأمريكية وبريطانيا للبحث عن حل القضية الفلسطينية خاصة وإن الحرب العالمية الثانية قد انتهت ، كما أن المستر ترومان رئيس الولايات المتحدة الأمريكية قد تبني وجهة النظر الصهيونية ، وطالب بريطانيا بالغاء فكرة تحديد المиграة اليهودية إلى فلسطين والسماح لها بملايين اللاجئين اليهودي بدخول فلسطين . فرفضت بريطانيا ذلك بمجموعة أن فلسطين لا يمكنها أن تستوعب هذا العدد وإن مشكلة اللاجئين اليهود في العالم يجب أن تتحملها جميع دول العالم . واقررت بريطانيا تشكيل لجنة تحقيق مشركة إنجلزية أمريكية تتحرى المشكلة اليهودية الأوروبية وتعيد النظر في القضية الفلسطينية . وقبات الحكومة الأمريكية الاقتراح البريطاني وأعلنت الحكومتان عن أسماء أعضاء لجنة التحقيق الإنجلزية الأمريكية^(١) .

واستمعت اللجنة إلى آراء المهتمين بالمشكلة في وشنطن ولندن ، وقامت بزيارة معسكرات اللاجئين اليهود في ألمانيا وبولندا وتشيكوسلوفاكيا والمنسابة وإيطاليا واليونان ، كما قامت بجولة في فلسطين ، وزارت كذلك عواصم سوريا ولبنان والعراق والعرب السعودية وشرق الأردن ، وأصدرت أخيرا تقريرها في ٢٠ أبريل ١٩٤٦ متضمناً ثلاثة توصيات رئيسية :

أولاً : ضرورةبقاء الانتداب البريطاني في فلسطين إلى أن يتم الاتفاق على تنفيذ وصاية الأمم المتحدة عليها .

ثانياً : السماح فوراً بإدخال مائة ألف لاجئ يهودي من ضحايا اضطهاد النازية وعسف الفاشية .

(١) فاضل حسين : تاريخ فلسطين السياسي تحت الأداره البريطانية (بغداد ١٩٦٧) ، ص

ثالثاً : الغاء القوانين المتعلقة بانتقال ملكية الأراضي واستبدالها بقوانين تستند إلى سياسة حرة في بيع الأراضي وإيجارها والانتفاع منها ، بصرف النظر عن الجنس أو الملة أو العقيدة ، مع حماية صغار المالك والزراع المستأجرين^(١) .

غير أن الحكومتين الأمريكية والبريطانية لم ترفضا توصيات اللجنة ولم تقبلها كذلك ، ولو أن الرئيس الأمريكي ترومان قد أبدى ارتياحه لأن اللجنة أوصت في الواقع بالغاء الكتاب الأبيض الصادر عام ١٩٣٩ إلغاء عملياً ، بينما وجد كليمونت أتلر Clement Attlee رئيس الوزارة البريطانية أن هناك صعوبات عملية تحول دون إمكان قبول فلسطين لهذا العدد الكبير من المهاجرين واستيعابها له .

أما العرب فقد رفضوا توصيات اللجنة ، وصرح الأمين العام للجامعة العربية في خطاب ألقاه بمعان في ٢٦ ماي ١٩٤٦ بأن الأمة العربية قد وطدت العزم على حماية عروبة فلسطين . كما عقد ملوك ورؤساء الدولة العربية مؤتمراً في أنساص بمصر في ٢٧ ، ٢٨ ، ماي ١٩٤٦ ، بمحض خالله قضية فلسطين وحقوق العرب الشرعية ، وقرروا التمسك باستقلال فلسطين وصيانتها عروبيتها . وعقد مجلس الجامعة العربية دوره إستثنائية في بلودان بسوريا في يونيو ١٩٤٦ ، واتخذ قرارات برفض توصيات اللجنة الانجلو أمريكية ، وطالب بوقف الهجرة اليهودية وفقاً تماماً على الفور ، والغاء الانتداب البريطاني وتأسيس دولة عربية مستقلة في فلسطين^(٢) .

وأسرعت الحكومتان الأمريكية والبريطانية تشكيل لجنة تحقيق انجلزية أمريكية جديدة ، لكي تتحرى الأوضاع بالنسبة لشكلة الهجرة اليهودية والوضع اليهودي في أوروبا ، وتضع تقريراً في مدى مائة وعشرين يوماً ، وكانت اللجنة

(١) الوثائق الرئيسية في قضية فلسطين ، الوثيقة رقم ٤٦ ، ص ٣٦٢ - ٣٧٧ .

(٢) أميل الغوري : المؤامرة الكبرى . أغتيال فلسطين وحق العرب ، القاهرة ١٩٥٥ ، ص

المشتركة الجديدة تتالف من موظفين رسميين يعكسون اللجنة الأولى . وتضمنت
توصياتها مشروعًا عرف : بمشروع جرادي - موريسون « Grady Morrison -
Seheme

وكان المشروع يدعو لقيام دولة اتحادية في فلسطين من العرب واليهود معا ،
على أن تضم هذه الدولة مناطق أربعة : مقاطعة عربية وأخرى يهودية ومنطقة
القدس ومنطقة النقب . وأن تكون الحدود بينها مجرد حدود إدارية ، تحدد
المنطقة التي يسمح فيها باتحاد هيئة تشريعية محلية وإن تنشأ بها هيئة تنفيذية تتولى
تنفيذ القوانين ، على أن لا يكون لها أى مساس بمسائل الدفاع والجمارك
والمواصلات والعلاقات الخارجية التي يحتفظ بها للحكومة المركزية . وينشأ في
كل مقاطعة مجلس شرعي منتخب ، وت تكون هيئة تنفيذية من رئيس وزراء
ومجلس وزراء يعينهم المندوب السامي في كل منطقة من بين أعضاء المجلس
التشريعي ، على أن تخضع القوانين التي يقرها المجلس ، التشريعي لموافقة المندوب
السامي . وفي مقاطعة القدس ، ينشأ مجلس يزود بسلطات المجلس البلدي الذي
يتخب أكثراً أعضائه ، بينما يقوم المندوب السامي بتعيين الأعضاء الآخرين . أما
مقاطعة النقب فتديرها حكومة مركزية مؤقتا^(١) .

وبالنسبة لمشكلة الهجرة . اقترح مشروع جرادي . موريسون ان تجرى الهجرة
اليهودية إلى فلسطين بموافقة حكومة المقاطعات اي بموافقة العرب واليهود معا ،
بحيث لا تزيد الهجرة على طاقة الإستيعاب الاقتصادي ولا يكون للحكومة
المركزية أية سلطة في الترشیخ بالهجرة بما يزيد على الحدود التي تقتربها
حكومات المقاطعات .^(٢)

ولم تلبث بريطانيا أن دعت الدول العربية والوكالة اليهودية واللجنة العربية
العليا لعقد مؤتمر في لندن . ثم دعى بعض زعماء فلسطين العرب والسكرتير العام
للجامعة العربية وممثلون عن يهود بريطانيا وفلسطين ، وافتتح المؤتمر يوم ٩ سبتمبر

(١) الوثائق الرئيسية في قضية فلسطين ، وثيقة رقم ٤٨ ، ص ٤٠٠ - ٤٥٧ .

(٢) الوثائق الرئيسية في قضية فلسطين ، ص ٤٠٠ - ٤٥٧ .

١٩٤٦ ، واستمرت جلساته في ذورته الأولى حتى نهاية ديسمبر ١٩٤٦ ، وحضره ممثلو الدول العربية المستقلة والسكرتير العام للجامعة العربية ، ولم تقبل الدعوة اليهود ولا عرب فلسطين ، وعرضت بريطانيا مشروع الحكم الذاتي (مشروع موريتون) الأنف الذكر . إلا أن الوفود العربية عارضت هذا المشروع من حيث المبدأ ولم تقبله كقاعدة المناقشة وتقدمت بمشروع عزي ي تقوم على استقلال فلسطين وتشكيل دولة عربية فيها ، ولكن بريطانيا رفضت المشروع العربي وتمسكت بمشروع موريتون . وفي الفترة الثانية من المؤتمر (يناير وفبراير ١٩٤٧) عرضت بريطانيا مقترنات جديدة وتنص على وضع فلسطين تحت الوصاية البريطانية لمدة خمس سنوات لتهيئة البلاد للاستقلال . ولكن الوفود العربية والوكالة اليهودية رفضت آخر المقترنات البريطانية^(١) . ولذلك قررت الدولة المتذكرة إحالة المشكلة إلى الأمم المتحدة بهدف إلقاء مسئولية الموقف المعقد في فلسطين على المنظمة الدولية .

قضية فلسطين أمام الأمم المتحدة :

في الثاني من أبريل ١٩٤٧ ، طلبت بريطانيا عقد دورة خاصة للجمعية العامة للأمم المتحدة وادراج قضية فلسطين في جدول أعمالها . وفي ٢١ ، ٢٢ أبريل ١٩٤٧ طلبت الدول العربية إلى السكرتير العام أن يضمن المادة التالية في جدول الأعمال « إنهاء الانتداب على فلسطين وإعلان استقلالها »^(٢) .

وقد عينت الجمعية العامة للأمم المتحدة لجنة خاصة لبحث مشكلة فلسطين ، وعهد إليها بزيارة فلسطين واجراء تحقيق شامل . وقدمت اللجنة تقريرها إلى الأمم المتحدة في ٣١ أغسطس ١٩٤٧ اثر انتهاءها من بحث المشكلة ، وقد اشتمل التقرير على مشروعين : مشروع الأكثريّة ويوصى ب التقسيم فلسطين إلى

(١) فاضل حسين : تاريخ فلسطين السياسي تحت الأدارة البريطانية ، ص ٦٢ - ٦٨ .

(٢) سامي هداوي : « فلسطين تحت الانتداب » ، ندوة فلسطين العالمية ، الثانية ، الكويت فبراير ١٩٧١ ، ص ٤٦ .

دولتين : عربية ويهودية مع وحدة اقتصادية بين الدولتين ، ومشروع الأقلية ويوصي بقيام دولة اتحادية مستقلة عاصمتها القدس^(١) .

تبنت الجمعية العمومية للأمم المتحدة في جلستها المنعقدة في ٢٩ نوفمبر ١٩٤٧ مشروع الغالية وأوصت بتقسيم فلسطين حيث صوت جانب المشروع ٣٣ وعارضه ١٣ مع امتناع ١٠ دول عن التصويت . وقد تم ذلك نتيجة تدخل الرئيس الأمريكي ترومان وضغطه على بعض الدول المحتاجة للعون الأمريكي ، ولم تنجح محاولات الوفود العربية لرفض واحباط مشروع التقسيم^(٢) .

أوصى قرار التقسيم بإنهاء الانتداب على فلسطين ، وبإعلان استقلال البلاد مع تقسيمها سياسيا إلى دولتين منفصلتين تمام الإنفصال على أن تبلغ مساحة الدولة اليهودية ٥٦٪ من مساحة فلسطين وتضم الجليل والنقب ومعظم السهل الساحلي » ولم يكن اليهود يملكون خمس هذه المنطقة ، وما تبي من فلسطين (٤٣٪) تقوم فيه دولة عربية ، أما القدس وما حولها (١٪) فقد أقيمت لتكون منطقة دولية تتول إدارتها الأمم المتحدة . وهذا التقسيم شبيه بما طلبه الصهيونيون في مذكرة الوكالة اليهودية إلى مؤتمر لندن ١٩٤٦ .^(٣)

ولقد كان قرار التقسيم طعنة نجلاء ليس للشعب العربي فحسب ، بل للشعوب الأفريقية والأسيوية أيضا ، التي رأت تصميما من جانب الغرب على فرض إرادته وسلطانه على الشعوب الشرقية ، واعتبرته عملاً منافياً لمبدأ القومية وحق تقرير المصير . كذلك كان من شأن هذا القرار خيبة أمل في الولايات المتحدة الأمريكية بالذات ، لأنها استخدمت نفوذها - كما ذكرنا - في الضغط على دول أمريكا اللاتينية ودول البحر الكاريبي للموافقة على مشروع التقسيم حتى تضمن له النجاح ، بل لقد رأى العرب في موقف الولايات المتحدة خيانة

(١) صالح صائب الجبوري : مختارات فلسطين وأسرارها السياسية والعسكرية ، بيروت ١٩٧٠ ، ص ١٠١ - ١٠٢ .

(٢) أميل الغوري : اختيارات فلسطين وحق العرب ، ص ٢٧٢ - ٢٧٤ .

Hurewitz, J.C.: Diplomacy in the near and the Middle East , vol.2.pp.261-263. (٣)

للعهود التي قطعها على نفسها على لسان رؤسائها كالعهد الذي قطعه روفلز على نفسه لدى اجتماعه بالملك عبد العزيز آل سعود في فبراير ١٩٤٥ ، في البحيرات المرة في مصر ، والعقد الذي قطعه ترومان على نفسه في ٢٨ أكتوبر من العام نفسه في خطاب له إلى الملك عبد العزيز آل سعود بأن أي حل للمسألة الفلسطينية لن يتم إلا بموافقة العرب واليهود معاً^(١).

وعلى العموم ، فقد قبّل قرار التقسيم باستنكار واسع في أرجاء الوطن العربي والإسلامي ، ورفض العرب والمسلمون قرار التقسيم لأنّه مبني على أساس أنه كان ينافي أحكام ميثاق الأمم المتحدة التي تعطي الشعوب الحق في تقرير مصيرها . وكذلك ارتكز العرب على الحقيقة بأن سكان الدولة اليهودية يتّلّفون من ٥٠ بالمائة من العرب ومثلهم من اليهود ، ورغم أن اليهود يتّلّفون أقل من ١٠٪ من مجموع مساحة الأرض إلا أنّهم كانوا ليصبحوا السلطة الحاكمة^(٢) .

كانت الأمم المتحدة تنقض ميثاقها الخاص عندما تذكرت لعرب فلسطين ورفضت إعطاءهم حقهم في تقرير مصيرهم بالرغم من أنّهم كانوا يمثلون ثلثي الغالبية ، كما وأن مشروع التقسيم كان يتعارض مع المبادئ التي أعلنتها ميثاق الأطلسي في ١٢ أغسطس ١٩٤١ والتي بيّنت بالتحديد أن بريطانيا والولايات المتحدة «ترغبان في أن تريا أن أية تغييرات إقليمية يجب أن لا تأتى بغير اختيار شعوبها والرغبة الصريحة بذلك». وهاتان القوتان الكبيرتان تحترمان حق جميع الشعوب في أن تختار نوع الحكومة التي تريد أن تعيش تحت كنفها»^(٣) .

وأياماً كان الأمر ، فإن قرار التقسيم كان خارج نطاق صلاحيات الأمم المتحدة وسلطاتها المنصوص عليها في ميثاق الأمم المتحدة ، كما أن الجمعية العمومية رفضت جميع الإقتراحات المعتمدة التي تدعو إلى إجراء استفتاء شعبي في

(١) أميل الغوري : المصدر السابق ، ص ٢٧٤ .

(٢) سامي هداوي : فلسطين تحت الانتداب البريطاني ، ص ٤٨ .

(٣) المصدر السابق ، ص ٤٩ .

فلسطين ورفع المسائل القانونية إلى محكمة العدل الدولية في لاهى لإبداء رأى
مستشارى بشأنها^(١).

وكان الفلسطينيون قد بدأوا هجوماً ضد القوات الصهيونية بعد صدور قرار التقسيم في ٢٩ نوفمبر ١٩٤٧ مباشرةً، وشملت الإصطدامات شتى مناطق فلسطين. وكان اليهود قد استعدوا لهذه الحرب منذ فترة طويلة وتساندهم بريطانيا. فقد وضعت الخطة باتفاق تام بين بريطانيا والصهيونية ونفذت هذه الخطة بإحكام تام خلال الفترة (٢٩ نوفمبر ١٩٤٧ - ١٥ مايو ١٩٤٨) وكانت هذه الخطة تتلخص : بأن تنسحب بريطانية بالتدریخ من المناطق اليهودية لتسهل لليهود استقدام السلاح والرجال وحرية الحركة ، بينما تبقى القوات البريطانية في المناطق العربية حتى تشن حركة العرب بحيث يستولى اليهود ، تحت حراسة القوات البريطانية ، على أكبر قدر من أراضي فلسطين قبل أن تنسحب بريطانيا منها في ١٥ مايو ١٩٤٨ . وسارت الخطة في طريق التنفيذ ، وكانت وسليتها الرئيسية الإرهاب المسلح الذي فاقت الصهيونية به وسائل الاضطهاد النازى ضد اليهود . وهكذا شهدت فلسطين سلسلة من المذابح الإجرامية الشهيرة (ديرياسين) بقصد دفع عرب فلسطين إلى التزوح عنها البلاد العربية المحاورة^(٢).

وبعد أن تفاوت الأعماق العسكرية في فلسطين ، وزادت الحالة سوءاً ، قررت الدول العربية دخول جيوشها إلى فلسطين بعد إنسحاب بريطانية منها في ١٥ مايو ١٩٤٨ ، للمحافظة على حقوق عرب فلسطين من القوات الصهيونية . واستطاعت الجيوش العربية برغم قلة وفساد أسلحتها أن تحرز تقدماً ملماساً وانتصارات محدودة . ولكن الدول الاستعمارية أرغمت العرب على وقف القتال لمدة أربعة أسابيع من (١ يونيو إلى ٩ يوليو ١٩٤٨) حتى يتمكن اليهود من إعادة تنظيم صفوفهم وتعزيز تحصيناتهم واستكمال ما يحتاجون إليه من رجال

(١) فايز صايغ :عشرون حقيقة أساسية عن القضية الفلسطينية ، بيروت ١٩٧٣ ، ص ٢ .

(٢) الحكم دروزة : موجز القضية الفلسطينية ، بيروت ١٩٦٧ ، ص ٣٠ .

وسلام^(١) . وعندما استؤنفت الأعمال الحربية في ٩ يوليو ١٩٤٨ ، كانت القوات اليهودية أقوى بكثير عن ذي قبل ، هذا بالإضافة إلى فقدان الثقة بين الجيوش العربية وعدم توحيد قيادتها عملياً ، مع أنه من الناحية الرسمية ، دخلت الجيوش العربية تحت قيادة واحدة برئاسة الملك عبد الله والذى لم يشق أحد من الزعماء العرب في قيادته ، بل إنه فرض عليهم من قبل بريطانيا ، للوصول بفلسطين إلى نهايتها المرجوة بالنسبة لبريطانيا والصهيونية وللملك عبد الله الذى حصل على الضفة الغربية وضمنها لحكمه ، وكانت بريطانيا قد وعدته في ذلك قبل صدور قرار التقسيم بعامين وذلك أثناء توقيع المعاهدة الأردنية البريطانية ١٩٤٦ . وكان موقف الملك عبد الله من قضية فلسطين واشتراكه في الحرب بصورة تخدم مصالحه ومصالح بريطانيا والصهيونية ، أثر كبير مما أدى إلى هزيمة الجيوش العربية ، ونتيجة لذلك قبلت الدول العربية بقرار مجلس الأمن الداعي إلى وقف القتال يوم ١٨ يوليو ١٩٤٨ .

وعلى العموم ، فإنه يمكن القول بأن الملك عبد الله كان يرمي إلى ضم الجزء العربي من فلسطين إلى شرق الأردن منذ عام ١٩٣٧ ، إذ أنه هو الوحيدة من الزعماء العرب أندذاك الذي وافق على مشروع التقسيم الذي قرره لجنة بيل أثر ثورة ١٩٣٦ ، وظل يتطلع لتحقيق هذا الهدف إلى أن ظهر مشروع التقسيم ، وأصر على دخول الجيوش العربية تحت قيادته ، ليصل إلى هذه الغاية .

ويؤكد المؤرخون البريطانيون كذلك أن اتجاه عبد الله الذي سبقت الإشارة إليه ، كان موافقاً لمصلحة بريطانيا نفسها ، فقد أقام الدليل من قبل على أنه صديقها الوفي المخلص ، وكان ساستها يعتبرونه رجلاً متزن التفكير واقعى الإتجاه ، إذ أنه الزعيم العربي الوحيد الذي ينظر إلى الصهيونية نظرة واقعية ، وكان يدرك استحالة إزالة الوطن القومي اليهودي . ولذلك فإنه قد أجرى محادثات سرية مع زعماء الصهيونية (جولدا ماثير وعزرادانين وموسى شاريت)

(١) محمد أنيس ورجب حراز : الشرق الغربي في التاريخ الحديث والمعاصر ، ص ٥٧٠ .

خلال شهري أبريل ومايو في قصره بالشونه . وعرض عليهم إقامة ملكية دستورية في الأردن وفلسطين يتمتع اليهود في ظلها بالحكم الذاتي ويكون لهم نصف مقاعد البرلمان ، وهذا الإقتراح يتعارض مع الهدف الذي قرر اليهود عدم التنازل عنه قيد أملة ألا وهو قيام دولة تعبير عن وجودهم .

ومن جهة أخرى عرضت جولدامائير على عبد الله فكرة الصلح وذلك في مقابل الإعتراف بضم الضفة الغربية . ولم يكن عبد الله يستطيع أن يواجه العرب بمثل هذه الفكرة حتى وأن مال إليها ، ولذلك قدم تعهداً إلى جولدامائير مندوبة الوكالة اليهودية بالا تتعدي جيوشه العمل في المنطقة المخصصة للعرب بموجب قرار التقسيم في مقابل الإعتراف مستقبلاً بهذا الصم ، كما تعهد أيضاً بأن لا يحارب الجيش العراقي كذلك إلا في المناطق المخصصة للعرب . وقد أخذت بريطانيا منه تعهداً كذلك بنفس المضمون وكان ذلك قبل دخول الجيوش العربية فلسطين بأربعة أيام أي في 11 مايو ١٩٤٨ . وفي آخر لحظة رجا الملك جولدامائير تأجيل إعلان الدولة حتى تهدأ العواطف فلما لم يحب هذا الرجاء اقتنع عبد الله بأنه لا مناص من القتال حتى لا يظهر أمام الأمة العربية بعذر الخارج على الإجماع^(١) .

ولا غرو في ذلك فوقف الملك عبد الله يتسلق مع موقف بريطانيا الذي أعلنته منذ بداية انتدابها على فلسطين وتأسيسها إمارة شرق الأردن وتسليمها للأمير (الملك) عبد الله حتى تكون هذه الإمارة مجالاً حيوياً لاستيعاب الفلسطينيين المطرودين من بلادهم إبان الانتداب تمثيلاً مع سياسة قيام الوطن القومي اليهودي ولتصبح شرق الأردن الدولة البديلة للفلسطينيين بعد طردتهم من بلادهم وبعد ضم الجزء الغربي المتبق من فلسطين (الضفة الغربية) إلى تلك الإمارة .

وحقيقة الأمر أن بريطانيا اتخذت كافة الوسائل المباشرة وغير المباشرة لإبعاد الفلسطينيين عن ميادين القتال ، ونجح الإنجليز في ذلك ، وعملوا على تعديل

(١) عبد الله التل : كارثة فلسطين ، القاهرة ١٩٥٩ ، ص ٦٧ وأنظر كذلك خيري جاد : دور الأسر العربية المالكة في ضياع فلسطين .

خطة الدول العربية وحملوا بعضها على إدخال جيوشها إلى فلسطين لإبعاد الماحدين الفلسطينيين عن ميدان معركتهم^(١).

وقد نجحت بريطانيا في خطتها هذه ، إذ أنها منعت بعض الدول العربية من مساعدة عرب فلسطين بالسلاح وأصرت على دخول الجيوش العربية إلى فلسطين بمحجة إنقاذهما من براثن الصهيونية ، لأنها (أى بريطانيا) تستطيع السيطرة من خلال الأمم المتحدة ومن خلال المعاهدات على الدول العربية وإيجارها على توقيف القتال من ناحية ، كما تستطيع من خلال اتصالاتها السرية مع بعض الدول العربية (الأردن والعراق) على عدم الإشتراك في الحرب بصورة جديدة وعدم إجتياز القسم الغربي من فلسطين من ناحية أخرى ، وهذا ما حدث بالفعل . ومن ناحية ثالثة فقد نجحت بريطانيا بإسناد القيادة العليا للجيوش العربية إلى الملك عبد الله الذى كان طوع بناهها ورهن إشارتها . وحقيقة الأمر أن القيادة كانت بأيدي ضباط بريطانيين والذين تكفلوا بهزيمة الجيوش العربية ، كما تكفلت بريطانيا والدول الكبرى بالضغط السياسي عبر مجلس الأمن لتنفيذ الجريمة وإقرار مشروع التقسيم .

ومن المفارقات العجيبة أن الجيوش العربية زحفت إلى فلسطين في ظل ميزانيات السلم التي لا تسليح فيها ولا تمرن ولا احتياطي ، وكانت القيادات السياسية تتبع وراء القصور في معظم العاصمة العربية بعيدة عن جدية المعركة وأنحطار المستقبل وعن حاضر الشعب صاحب الأرض الذى تأمرت عليه الدول الكبرى بالسزو العلن ، هذا من جهة ، ومن جهة أخرى فلم تكن الدول العربية جادة في موقفها ولم تستخدم كافة إمكاناتها ولم تضع إستراتيجية موحدة إزاء هذه الحرب . ومرد ذلك في نظرى يرجع إلى إرتباط هذه الدولة بمعاهدات جائرة مع بريطانيا ، كما أن الشعوب العربية كانت جاهلة بتطورات القضية وخطر الصهيونية . ولو أدركت الشعوب العربية يومئذ أن تسليح الفلسطينيين يعني درء الخطر لا عن فلسطين وحدها وإنما عن كل شبر من الأرض العربية ، لتسابق

(١) على المحافظة : العلاقات الأردنية البريطانية ، عمان ١٩٧٥ ، ص ٢٢ .

الجميع في دعم الشعب الفلسطيني بقصد منع قيام الكيان الصهيوني الغاشم . ولكن ذلك لم يحدث فتمكنت الصهيونية من إنشاء دولة الكيان الصهيوني المسماة باسرائيل .

قيام دولة الكيان الصهيوني وبده الصراع العربي الإسرائيلي :

في يوم ١٤ مايو ١٩٤٨ ، أعلنت بريطانيا انتهاء انتدابها على فلسطين وتم بالفعل جلاء القوات البريطانية عنها ، فأعلنت الصهيونية قيام دولة اسرائيل في مساء ذلك اليوم ، واعترفت بها الولايات المتحدة الأمريكية ، ثم اعترف بها فيما بعد الاتحاد السوفيتي ، وتواترت الاعترافات بعد ذلك . وتوقفت فجأة المباحثات في الجمعية العمومية للأمم المتحدة أثر الإعلان عن قيام دولة اسرائيل^(١) .

وكانت الأمم المتحدة تجتمع لبحث موضوع الشكل المقبول لحكومة فلسطين ، وذلك على أثر الاضطرابات التي قامت في فلسطين في أعقاب صدور قرار التقسيم ١٩٤٧ ورفض العرب جميماً لذلك القرار المشئوم ، مما أدى إلى تراجع الولايات المتحدة وبعض الدول عن قرار التقسيم والبحث مجدداً في اجتماعات الجمعية العمومية لوضع فلسطين تحت الوصاية الدولية لفترة مؤقتة تمتد إلى ستين حتى تصل الدول الكبرى إلى قرار يرضي جميع الأطراف . ولكن اسراع الساسة الصهایین بإعلان قيام دولة اسرائيل فوت الفرصة على الأمم المتحدة لاتخاذ قرار ما . ومع ذلك فإن الاستقطاب الدولي هو الذي مكن الصهایین من تنفيذ خططاتهم .

وهكذا كانت النهاية للجانب المأساوي الأول لعهد من الظلم وسفك الدماء : في عام ١٩١٧ باعت الحكومة البريطانية فلسطين إلى اليهود مقابل استخدامهم في المساعدة على حمل الولايات المتحدة على دخول الحرب ضد المانيا وفي عام ١٩٤٨ باعت الحكومة البريطانية عرب فلسطين بالطرد والشرد والحرمان لتمكن بالمقابل من الحصول على قرض من الولايات المتحدة

(١) سامي هداوي : « فلسطين تحت الانتداب » دراسات فلسطينية ص ٥٤ .

الأمريكية لدعم اقتصاد المملكة المتحدة (بريطانيا) في حين قايض السياسيون الأمريكيون على سكان فلسطين وسكانها العرب في مقابل اصوات اليهود في الانتخابات الأمريكية.

وعلى العموم ، فقد انتهت حرب فلسطين عام ١٩٤٨ كما اشرنا بتوجيع اربع اتفاقيات هدنة ، واحدة مع مصرف ٢٤ فبراير ١٩٤٩ ، واحدة مع لبنان في ٢٣ مارس ١٩٤٩ ، واحدة مع الأردن بتاريخ ٣ أبريل ١٩٤٩ ، واحدة مع سوريا بتاريخ ٢٠ يوليو ١٩٤٩^(١) .

وأياماً كان الأمر ، فإن الحرب مع إسرائيل كانت قصيرة وتميزت بتدخل من الخارج ويتفرق كلمة العرب وبمساعدات غير محدودة تلقها إسرائيل من الغرب ، فضلاً عن شحنات كبيرة منتظمة من السلاح وردت من وراء الستار الحديدي ، وخاصة من تشيكوسلوفاكيا . وهذه المساعدة التي وصلت على الرغم من أوامر الأمم المتحدة ، كانت كافية لتغيير مجرى المعركة وتمكن إسرائيل من تحقيق مكاسب إقليمية واسعة . هذا فضلاً عن إن هذه الحرب لم تخل أيام المشكلات الأساسية بين كل من العرب واليهود ، كما أن الدول الكبرى في الغرب والشرق ، وقد غفلت عن القيمة الحقيقية لصداقات العالم العربي في خضم الضباب الكثيف الذي نشرته الدعاية الصهيونية ، دامت على حقوق السكان العرب الأصليين في فلسطين . وكل خطوة تمت لإنشاء دولة إسرائيل إنما كانت تحدياً للعدالة .^(٢) .

ونتاج عن هذه الحرب نشوء مشكلة اللاجئين الفلسطينيين ، فقد تشرد أكثر من مليون عربي فلسطيني من بلادهم نتيجة قيام دولة إسرائيل واغتصاب فلسطين ، وهم يعيشون منذ عام ١٩٤٨ في النيام والمعسكرات حياة الفقر والمرض ، انهم محرومون من فرص الحياة الكريمة . ولم تكتف إسرائيل باقتلاع هؤلاء اللاجئين من أرضهم بل استولت أيضاً على جميع ممتلكاتهم وأموالهم ،

(١) هنري كتن : فلسطين في ضوء الحق والعدل ، ص ٣٨ .

E.H.Hutchison : Viloent Truce , New York 1956 , p.95.

(٢)

وصرت عرض الخاطئ بقرارات الام المتحدة التي تدعو إلى عودة اللاجئين الفلسطينيين إلى ديارهم^(١).

أما من تبقى من الغرب في فلسطين فيعيشون في ظل الاحتلال الصهيوني حياة اضطهاد وعنصرية دائمة ، والتفرقه العنصرية هي القانون الاساسي الذي يحكمهم . إن الأقلية العربية في فلسطين تعيش منذ عام ١٩٤٨ في مناطق تحكم عسكريا بموجب قانون الطوارئ ولا يسمح لهم بالتنقل إلا بإذن عسكري خاص ، ولا تتاح لهم فرص التعليم الكافية ، واجورهم اقل من اجور اليهود ، وفرص العمل امامهم محدودة جدا ... كل هذا بينما تنتصب اسرائيل في أرضهم وأمام اعينهم تزيد في عمق المأساة وفداحة الجريمة^(٢) .

وبقى في يد العرب منطقتان - احتلتا في عدوان يونيو ١٩٦٧ ، فقط من فلسطين :

الأولى : الضفة الغربية للاردن وكان ملك الاردن يطبع إليها ، فأعلن بالاتفاق مع بريطانيا ودون رغبة البلاد العربية ضمها إلى المملكة الاردنية الهاشمية وذلك بقرار من مؤتمر أريحا الذي جمع وجهاه تلك الضفة في عام ١٩٤٩ .

الثانية : قطاع غزة وقد بقى تحت الإدارة المصرية :

وقد تحولت قضية فلسطين منذ عام ١٩٤٨ إلى صراع عربي صهيوني واسع ، مالبثت الصهيونية أن حولتها إلى مشكلة دولية عالمية تثير باستمرار قلق العالم ومخاوفه والسبب هو أن الصهيونيين ظلوا حتى ما بعد قيام الدولة بعد سنوات يستغلون ضعف وتفكك البلاد العربية من جهة ، كما يستغلون تأييد وعطاف كافة القوى الأجنبية عليها من جهة أخرى لتوطيد الغزو الصهيوني والتوسع في وقت واحد . فبعد أن اعانتهم انجلترا حتى الحرب العالمية الثانية ثم بنت الولايات

(١) الحكم دروزة : عرض موجز للقضية الفلسطينية ، ص ٣١ .

(٢) لمصدر السابق ، ص ٣٢ .

المتحدة معونهم بعد ذلك ، انضمت الدولة الاشتراكية أيضاً إلى الدول الاستعمارية الغربية في دعم قيام الدولة في سنة ١٩٤٨ وما بعدها على الصعيد الدولي وعلى صعيد المساعدات المادية العسكرية . ولكن الدول الاشتراكية وعلى رأسها الاتحاد السوفيتي ما لبثت أن تبنت منذ سنة ١٩٥٥ أن هذه الدولة ليست إلا امتداداً للقوى الاستعمارية في المنطقة ، وأنها تستعمل أداة بيد الدول الغربية (أمريكا وبريطانيا وفرنسا) التي اعلنت رسمياً في البيان الثلاثي (الصادر في مايو ١٩٥٠ عن دعمها لإسرائيل ومنع أي محاولة للقضاء عليها أو تهديدها . فتركت الدول الاشتراكية عن تأييدها وفضلت تأييد العرب بيهما اندفعت أمريكا في ذلك التأييد على نطاق واسع .

وهكذا دخل التطاوين الدولي واقتسام النفوذ في الشرق العربي من جديد ، وبعد أن خرج الفرنسيون والإنجليز منه في أعقاب الحرب العالمية الثانية دخل النفوذ ان الأمريكي وال Soviety بدلاً عنها .

ومنذ قيام إسرائيل عام ١٩٤٨ ، أخذت دولة الكيان الصهيوني تعمل على تهويد فلسطين ، فأصدرت قوانين مختلفة تتحقق منها استقدام المهاجرين اليهود بحيث غدا اليهود أغلبية في فلسطين ، كما صادرت الأراضي العربية ، وأصدرت قوانين تحول سلطات الاحتلال الاستيلاء على أراضي العرب في فلسطين : منها قانون أملاك الغائبين لعام ١٩٥٠ ، وقانون الدفاع (حالة الطوارئ) ، وقانون مناطق الأمن العام لعام ١٩٤٩ ، وقانون ساعة الطوارئ لاستغلال الأرض غير المفلوحة ، وقانون الاستيلاء على أرض في ساعة الطوارئ لعام ١٩٤٩ ، وقانون استملك الأرض لعام ١٩٥٣ ، وقانون تقادم الزمن لعام ١٩٥٨ ، وقانون الإهراش وقانون استملك الأرض للصالح العام^(١) .

ومن مظاهر تهويد فلسطين طرد السكان العرب نتيجة الإرهاب والعنف

(١) محمد علي الفرا : « تهويد فلسطين » بحث مقدم إلى المؤتمر الجغرافي الإسلامي الأول ، ص

والقسوة ، وكذلك هدم القرى والمعالم العربية والإسلامية ، وإقامة المستعمرات اليهودية كما يحدث الآن في الضفة وغزة والجلolan وتشويه التعليم العربي بحيث يكون وسيلة لتهويد فلسطين ، وآخرها أطاع اسرائيل التوسعة^(١) .

ولا غررو في ذلك ، فإن اسرائيل هي دولة الصهيونية العالمية وامتداد طبيعى لها . إنها بالتالى نموذج مجسم حتى لكل ذلك التراث من العنصرية والاستعلاء والعدوان ولذلك الارتباط التاريخي الكامل بالاستعمار . وهذا كله تشكل اسرائيل خطراً نامياً متحركاً يتجاوز فلسطين إلى الوجود العربي والإسلامي باكمله ، هذا فضلاً عن أن اسرائيل قاعدة استعمارية ضخمة زرعتها الاستعمار في قلب الوطن العربي مركز التقاء قارتي آسيا وأفريقيا . إن ذلك التاريخ الطويل من الارتباط بالاستعمار البريطاني أولاً ثم الانجليو أمريكي بعد ذلك ، بالإضافة إلى طبيعة الظروف السياسية والاقتصادية والجغرافية التي تحيط باسرائيل ، يجعل اسرائيل جزءاً لا يتجزأ من مصالح هذا الاستعمار وحركته العامة إن هذه الظروف مجتمعة قد طورت الالقاء المصلحي بين الصهيونية والاستعمار إلى نوع من الامتزاج المصيري . وقد وجد الاستعمار في اسرائيل أداة مثالية لتكون رأس الخربة في خططه الجديدة وأحد الجسور الرئيسية للعبور مجدداً إلى أفريقيا وآسيا^(٢) وخاصة في مناطق العالم الإسلامي .

ومنذ أن قامت اسرائيل ، فقد بقىت غريبة في العالم الآسيوي والأفريقي الجديد ، ولم تقبل في أي مؤتمر دولي لحكومات الدول الآسيوية والأفريقية أو أي مؤتمر لحكومات الدول غير المنحازة . وذلك لأن اسرائيل أو آسيا وأفريقيا ، ماعدا اتحاد جنوب أفريقيا الذي تحكمه أقلته غريبة^(٣) .

وقددت القضية الفلسطينية منذ عام ١٩٤٨ وحتى الآن جوهر الصراع العربي الإسرائيلي في منطقة الشرق الأوسط لإن اسرائيل تشكل خطراً سياسياً واقتصادياً

(١) المصدر السابق ، ص ١٦ - ٣٢ .

(٢) الحكم دروزة : المصدر السابق ، ص ٣٤ - ٣٥ .

(٣) فائز صابق : عشرون حقيقة أساسية عن القضية الفلسطينية ، ص ٤ - ٥ .

وأجهاضها وعسكرياً على العالم العربي . فن الناحية السياسية ، فقد حدثت بعدة انقلابات عسكرية في الوطن العربي أثر هزيمة الجيوش العربية في حرب فلسطين عام ١٩٤٨ ، كما حدثت اغتيالات سياسية بكمقتل الملك عبد الله ورياض الصالح رئيس وزراء لبنان عام ١٩٥١ . وأصبحت الأنظمة الحاكمة في البلاد العربية غير مستقرة بفضل جهود إسرائيل المستمرة باثارة المشكلات بالتعاون مع القوى الاستعمارية والقوى المؤيدة لها في الوطن العربي – وذلك للحيلولة دون استقرارها واتحادها ضدها . وتحولت بعض الأنظمة العربية إلى الكتلة الشرقية لشراط السلاح ، وانقسمت النظم السياسية في العالم العربي إلى مجموعات متباينة يمين ويسار ووسط (معتدل) . وهذه الانقسامات أوجده الاستعمار والصهيونية ليحول دون توحيد هذه الأنظمة لأن التوحيد يشكل خطرًا داهماً على الصهيونية والاستعمار . ولكن منها اختلفت هذه الأنظمة في اتجاهاتها ومساراتها فإنها سرعان ما تلتقي إذا دق ناقوس الخطر . لإنها منها اختلفت في افكارها وأيديولوجياتها الاجتماعية ، فإن الفكر الإسلامي كفيل بتصهر هذه التناقضات جميعها في بوتقة واحدة ، ولذلك فإن على الدول العربية إن تتمسك بكتاب الله وسنه ورسوله وتطبق في نظام حياتها الشريعة الإسلامية حتى يكتب لها النصر كما وعدناه في سبعائه تعالى « وكان حقاً علينا نصر المؤمنين » .

أما من الناحية الاقتصادية فإن إسرائيل تهدد باستمرار منذ نشوئها الدول العربية باعتداءات يومية متواصلة على خطوط الهدنة وحروب كبيرة بلغت أربع حروب خلال فترة الثلاثين سنة ونيف من عمرها ، وهذه الاعتداءات المتواصلة تهدد خطة التنمية في العالم العربي لأن إسرائيل كثيرة ما كانت تشن اعتداءاتها على المنشآت الصناعية الإنتاجية الضخمة ، الأمر الذي يهدد التطور الاقتصادي في العالم العربي ، وهذا فضلاً عن أن جزءاً كبيراً من ميزانيات الدولة العربية قد رصدت وخصصت للدفاع وشراء الأسلحة المتطورة وتحديث الجيوش وذلك على حساب التنمية الاقتصادية والاجتماعية في الوطن العربي .

وفيما يتعلق بالناحية الاجتماعية ، فإن إسرائيل منذ نشأتها وهي تعمل بكل ما

أوتيت من قوة ومن جهد بالدبلوماسية وبالدهاء وبالحيلة والمكر بالتعاون مع الإستعمار وعملاً له في الوطن العربي - على تفتيت الوطن العربي وإثارة المشكلات المتنوعة في داخله ، وذلك عن طريق اثارة النعرات الطائفية والعنصرية بين الأقليات والطوائف وتزويدها بالسلاح كما هو حاصل الأن في لبنان وذلك للحيلولة دون قيام وحدة وطنية بين أبناء الشعب الواحد في كل قطر عربي وبالتالي عدم قيام وحدة عامة بين أبناء الشعب العربي في الوطن العربي الكبير ، كما تعمدت إسرائيل والدول الاستعمارية إلى اثارة المشكلات بين الدول العربية بعضها البعض حول الحدود وغيرها وتحول قضايا سياسية ومواقف مصيريه ، حتى تحول دون اتحادها واتفاقها لأن اتفاقها يعني زوال دولة إسرائيل وزوال النفوذ الاستعماري الاجنبي في المنطقة العربية ، ولذلك فإن إسرائيل تعمل على ترسيخ العداء بين طبقات الشعب وفياته ، بحيث يصبح العداء بينها أكثر من العداء ضد العدو المشركي . ومع ذلك وبرغم حدوث هذه الأشياء ، فإن الدول العربية مجتمعة تتجاوز أحياناً هذه الأمور لترى إلى مستوى الأحداث وتقف صفاً واحداً أمام التحديات ، وإن كان مع الأسف إن هذه الوقفات التربوية لا تأتي إلا حين اشتداد الأزمات ونشوب الحرب وهي وقتها تنتهي بانهاء الأزمة وال الحرب وهي نابعة من العواطف والمشاعر العربية التي تتأثر بالأحداث والمؤثرات الخارجية . وكان المفروض أن يكون هناك تنسيق ثابت ومحدد واستراتيجية واضحة بين القادة العرب لتوحيد كلمتهم حتى يستطيعوا مواجهة العدوان في كل وقت وفي كل مكان .

أما من الناحية العسكرية ، فنجد توقيع اتفاقيات المدننة عام ١٩٤٩ بين إسرائيل والدولة العربية المجاورة (مصر ، سوريا ، لبنان ، الأردن) ، وواصلت إسرائيل ممارسة سياستها العدوانية بشن هجمات عسكرية عبر خطوط المدننة ويعزو أراضي الدول العربية المجاورة بصورة متكررة وربما كانت يومية . وقد بلغ عدد الاعتداءات التي قامت بها إسرائيل على الدول العربية المجاورة (٦١ ر ٦٣١) اعتداء من ١٩٤٩ - ١٩٦٤ . وأدينـت إـسـرـائـيلـ منـ قـبـلـ لـجـانـ المـدـنـنـةـ العـادـيـةـ

باستمرار كما ادينت اكثر من عشر مرات من قبل مجلس الامن وكذلك من قبل الجمعية العمومية للإم المتحدة ، بينما لم يدّن اي بلد عربي بالمقابل . وهذا الخطر العدواني يتجلّى كأوضح ما يكون في التزعة التوسعية الصهيونية المتمثلة بشعار « من الفرات إلى النيل أرضك يا إسرائيل » .

ولم تكتف إسرائيل بذلك ، بل اشتركت في العدوان الثلاثي على مصر عام ١٩٥٦ ، وثبتت عليه بعدها ٥ يونيو ١٩٦٧ واحتلت سيناء والجولان وبقية فلسطين (الضفة الغربية وقطاع غزة) وكان أحضر عدوان يقع على الأمة العربية ، ومن المؤسف إنها احتلت جميع هذه المناطق دون قتال يذكر : وقد أشارت أصابع الاتهام إلى بعض القادة سياسيين وعسكريين في تلك الدول . وحقيقة الأمر أن إسرائيل منذ نشأتها لم تتصرّ على العرب بقوة السلاح ، ولكنها انتصرت بمُوازنة الدول الاستعمارية ، وبتوافق بعض الجهات العربية معها . وإن هذا العدوان كان جزءاً من خطتها التوسعية المادفة إلى تحقيق إسرائيل الكبير . غير أن مجلس الأمن أصدر قرارا رقم ٢٤٢ بضرورة انسحاب إسرائيل من الأرضي العربية المحتلة . غير أن إسرائيل ضربت بالقرار عرض الحائط ، وشجعتها الولايات المتحدة الأمريكية على ذلك . وجرت محاولات دون جدوى لحل المشكلة وذلك لأن الولايات المتحدة الأمريكية تؤيد إسرائيل بكل قوة . فاضطرّ العرب إلى القيام لأول مرة بحرب رمضان ١٣٩٣هـ (اكتوبر ١٩٧٣) وأحرز العرب في هذه الحرب انتصاراً محدوداً بعبورهم خط بارليف في سيناء ، إلا أن هذه الحرب مهدت الطريق أمام التسوية السلمية بدءاً باتفاق فك الارتباط الأول والخيمة في الكيلو ١٠١ ومروراً باتفاق فك الارتباط الثاني ورحلات كيسنجر المكوكية وزيارة السادات للفلسطين المحتلة ١٩٧٧ وانتهاء باتفاقيات كامب ديفيد وتوقيع اتفاقية الصلح المنفرد مع مصر في مارس ١٩٧٩ والتي قوبلت بالرفض والاستنكار من الشعب العربي والإسلامي وحتى من الدول الأوروبية ودول عدم الانحياز والدول الصديقة . ومع ذلك فإن إسرائيل لا زالت تمارس اعتداءاتها الشبيه يوميه على لبنان والعرب وكان آخر عدوان لها على العراق

حيينا ضربت المفاعل الذري العراقي في ٧ / ٦ / ١٩٨١ ودمنته تدميراً تاماً .
وآخرها الحرب الاسرائيلية الفلسطينية في لبنان وبيروت ١٩٨٢ .

وازاء هذا الواقع المؤلم المريئ كان على الدول العربية أن ترصد جزءاً كبيراً من ميزانياتها للتسليح والدفاع ، حتى بلغت ميزانيات الدفاع في بعض الدول العربية أكثر من ٤٠٪ من الميزانيات العامة لهذه الدول ، وهذا بالطبع يكون على حساب خطة التنمية الاقتصادية والإجتماعية في الوطن العربي . ولا شك أن الاسلحة التي تشربها الدول العربية سرعان ما تسهل لك لدى قيام حرب بين الطرفين ، يقوم العرب بعد ذلك بالاستعداد لشراء اسلحة أخرى » ، وما أن تمر فتره زمنية تصل إلى سبع سنوات حتى تقوم حرب تستنزف فيها العلاقات العربية وهكذا دواليك .

ولاشك أن الدول الاستعمارية تقيد من هذا الوضع لأنها تبيع اسلحتها على العرب وتستنزف بذلك طاقات العرب أولاً باول وهذا ما اشار إليه تشرشل عند اعلان وعد بلفور ١٩٧١ ، وهذه احدى الفوائد التي تحققت من قيام اسرائيل بالنسبة للدول الغربية ، وذلك لأن هذه الدول تحصل على ثروات الوطن العربي وخاصة البرول مقابل بيعه السلاح باسعار غاليه في الوقت الذي تحصل فيه اسرائيل على أنواع متعلقة من السلاح بدون مقابل .

ومن جهة أخرى ، حاولت اسرائيل والدول الإستعمارية بالاستعانة مع بعض الدول العربية الحليفه للغرب على طمس وتنويب الشخصية الفلسطينية في المجتمعات الجديدة التي عاش الفلسطينيون بين ظهرانها وقد فشلت كل محاولاتها في ذلك ، كما فشلت محاولات امريكا وذلك لأن جون فوستر دالس وزير خارجية امريكا صرح ذات يوم في عام ١٩٥١ بأن الكبار سيموتون وينسى الصغار : وهو يعني أن القضية الفلسطينية ستنهي بموت جيل عام ١٩٤٨ ، إلا أن هذا القول قد باع بالفشل ، وخاب ظن دالس . فقد نقل جيل عام ١٩٤٨ ، جيل النكبة الأولى ، المسئولية بإمانة إلى الجيل الذي يليه وحمل جيل الخيام وجيل المهاجر السلاح في الثورة الفلسطينية التي انطلقت في مطلع عام ١٩٦٥ .

ولاشك أن شعب فلسطين قد صمد أكثر من ثمانية عشر عام أمام الظروف التي أحاطت به سواء في مرحلة التشتت والتوزيع على الأقطار العربية المجاورة والبعيدة ، أو الهجرات المنظمة المدفوعة من قبل جهات ارادت لشعب فلسطين أن يتشرد في العالم ويتوزع ويرتبط بشكل أو باخر بالمجتمعات الجديدة التي تستضيفه . وتحولت قضيته خلال تلك الفترة إلى مشكلة لاجئين في حاجة إلى احسان وصدقات .

ولكن الشعب الفلسطيني العربي بدا يبحث عن مستقبله الغامض فكان تعلقه بالنشاط العلمي وأصبح لدى الفلسطينيين أعلى نسبة من الجامعيين في العالم . اضف إلى ذلك التفوق الذي ظهر بشكل واضح على معظم اللاجئين الفلسطينيين في شتى مجالات الحياة . وهكذا فإن المخنة التي تعرض لها شعب فلسطين كانت من القسوة بحيث أنها لم تفت في عضد الشعب أو تحرّكه عن ممارسة حقه ودوره في الحياة فكانت بداية ثورته التي تفجرت في مطلع عام ١٩٦٥ بعد مرور ثمانية عشر عام ، وقد نُثت هذه الثورة بعد حرب يونيو (حزيران) ١٩٦٧ ، وازدادت أهمية بعد معركة الكرامة في عام ١٩٦٨ وبدأت هذه المجموعات المقاتلة الفدائـية المنظم للثورة الفلسطينية (فتح ، الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين ، الصاعقة) وغيرها تستقطب اهتمام الإنسان العربي ، ويومها شعر العرب بأول انتصار جديد بعد هزيمة ١٩٦٧ وشعر الاسرائيليون بالخطر القادم إليهم مع هذا الفلسطيني الذي قرر أن يحمل بندقيته . فبدأت المؤامرات الصهيونية والاستعمارية والعربية على حركة المقاومة فوّقعت احداث الأردن والصادم بين المقاومة والسلطه عام ١٩٧٠ وانتهت بخروج المقاومة من الأردن وانتقلت إلى لبنان ، وحدث للمقاومه في عامي ٧٥ ، ١٩٧٦ ما حدث لها في الأردن ولا زالت المقاومة تتعرض للاعتداءات في لبنان ، وكان آخرها اعتداء عام ١٩٧٨ الذي قامت به إسرائيل إلا أنها لأول مرة طلبت إسرائيل وقف اطلاق النار . ولا زالت المقاومة ثابتة صامدة . وكان انقسام فصائل الثورة قد أضعفها وشتها ، ولكن انضواءها تحت لواء منظمة التحرير اسمع كلمتها للعالم ، فقبلت المنظمة في هيئة الأمم

المتحدة عام ١٩٧٣ ، واقر مؤتمر القمة العربي السابع في الرباط في عام ١٩٧٤ أن منظمة التحرير الفلسطينية هي الممثل الشرعي والوحيد للشعب الفلسطيني واعتراف الدول العربية بها ونقل هذا الاعتراف للمجتمع الدولي .

وي يكن القول أن منظمة التحرير الفلسطينية قد اجتازت اهم العوائق التي مرت على الثورة الفلسطينية وهي محاولة الانظمة العربية فرض الوصاية عليها وهذا ما ادى إلى حرب ايلول ١٩٧٣ ، وال الحرب الاهلية اللبنانية ومذابح تل الزعتر ١٩٧٦ . وقد افادت المنظمة من هذه التجربة غير أن اعداء هذه الثورة كثيرون والمؤامرات لازالت مستمرة . ولكن إذا تكاثفت الدول العربية مع المنظمة ووضعت استراتيجية عامة لمواجهة اسرائيل في حرب طويلة الأمد ، ولتعلنها حربا مقدسة ، وإلا فإن المستقبل مظلم وانخطار الصراع العربي الاسرائيلي كبيرة وابعاده واسعة .

ابعاد الصراع العربي الإسرائيلي :

لابد لنا أولاً وقبل كل شيء من التعرف على طبيعة الصراع بيننا وبين العدو الصهيوني وسبر أغواره وفهم أبعاده وغاياته . ولعل أول ما يلفت النظر في هذا الموضوع هو أنه فريد في نوعه لا يكاد يشبهه أى نوع من أنواع الصراعات التي عرفتها البشرية عبر تاريخها الطويل . ولكن نوضح طبيعة هذا الصراع فإنه يمتاز عن غيره من الوان الصراع بعدة أبعاد نجملها فيما يلى :

أولاً : البعض التاريخي : من المعروف إن صراعنا مع اليهود قديم قدم التاريخ نفسه على الرغم من إنه يخلو لبعض المؤرخين من أن يجعل من مؤتمر بازل ١٨٩٧ بداية لهذا الصراع .

وحقيقة الأمر أن صراعنا مع اليهود إنما يرجع في بدايته إلى ذلك الزمن الذي أراد الله سبحانه وتعالى منه أن يمنع اليهود فرصة يتخلصون فيها من ظلم فرعون مصر ليعيشوا في بلاد أخرى بإمان ووثام مع شعب تلك البلاد . غير أن طبيعتهم العدوانية أبى لهم إلا أن يضيعوا هذه الفرصة الثمينة التي هيأتها لهم العناية

الاهمية ، فبدلاً من أن يلحوظوا إلى فلسطين كأى شعب مضطهد يعاني الاستبداد ، وبدلًا من أن يسعوا وراء الاستقرار وسلامة غيرهم من خلق الله والتعايش معهم ، جعلوا من خروجهم من مصر بداية لغزوهم الهمجية لأرض فلسطين التي كان يسكنها الكهانيون الذين استوطنوا فلسطين قبل ظهور المسيح بأكثر من ثلاثة الاف سنة :

وقد سجل التاريخ على اليهود من صفات الهمجية والوحشية ما لم يسجله على غيرهم من الشعوب . ويؤكد ذلك ما سجلته ثوراتهم بصدق عن طبيعة الشعب اليهودي وأبرزت بوضوح حقيقة عقيدتهم المبنية على العدرا والخسة والوحشية والخذل والفساد والتعصب الجشع والغرور والصلف والتعجرف والأخلاق وغير ذلك مما تتضمنه انماط السلوك البشري من مخازي ودنايا . وقد ورد في الاصحاح السادس عشر : « وحرموا (اهلكوا) كل ما في المدينة (اريا) من رجل وامرأة وطفل وشيخ حتى البقر والغنم والحمير بمجد السيف ، واحرقوا المدينة بالنار .

بهذه الروح الهمجية دخل اليهود فلسطين بقيادة يشوع بعد وفاة موسى واضعين نصب أعينهم ابادة السكان وتفریق الأرض من أصحابها الأصليين . ولا تزال ممارسات اليهود اليومية في هذه الأيام داخل فلسطين وخارجها تشهد على أنهم لم يتغيروا ولم تبدل طبائعهم التي لم تذهبها القرون ولم تؤثر فيها الحضارات .

ومن تفهمنا العميق لهذا البعد يتضح أن صراعنا مع الصهيونية ليس مجرد صراع مسلح محدود خاضع العرب من أجله في تاريخهم المعاصر اربعة حروب فاشلة في مدة لا تزيد عن ربع قرن .

إنه صراع أبدى طويلا لن ينتهي إلا بانتصار حاسم يتحققه أحد طرف الصراع ..

ثانياً : بعد العقائد : والعجيب في أمر هذا بعد من ابعاد الصراع أنه لو

من الحفاوة والتقدير والعناء والاهتمام لدى اليهود بقدر ما تلقى من الاهتمام والتجاهل وربما الرفض من العرب المسلمين .

انطلق اليهود في صراعهم معنا من منطلق عقائدي لإيمانهم عرّفوا منذ البداية – وهذا هو الصحيح – إن العقيدة هي حجر الزاوية في أي صراع . أما العرب المسلمين فكأنّ بهم قد خشوا أن يصفهم العالم بالتعصب فعزفوا حتى عن مجرد الاشارة إلى ذلك العداء المستحق بين العقائدتين الإسلامية واليهودية مع أنها أمر واقع لا يمكن تجاهله .

ال المسلمين ومنهم العرب – وهم لحمة الإسلام وسداه – يعتقدون بوجود الله واحد ليس كمثله شيء وهم يؤمنون بالمساواة بين الأُمّة والشعوب وبين التقوى هي ميزان التفاضل بين الناس . أما الصورة التي يرسمها اليهود للخالق – عز وجل – فاقل ما يمكن أن يقال فيها أنها لا يمكن أن تكون صورة لاله . فهو في نظرهم اله محابٌ لخصومهم دون غيرهم من الشعوب بالحب واحتقارهم شعباً خالصاً له لا يزاحمه في مملكته مزاحماً ولا يناظرهم في رضوانه منازع .

«وقالت اليهود والنصارى نحن أبناء الله وأحباؤه»^(١) .

وقد انكر الله عليهم دعواهم هذه في الآية نفسها فقال : «قل فلم يعذبكم بذنبكم بل انت بشر من خلق» . وفي التثنية ٧ من الأصحاح الأول . «اياك قد اختار رب الْهَلْكَة لتكون له شعباً أَخْصَ من جميع الشعوب الذين على وجه الأرض»^(٢) .

والله في نظر اليهود فقير وهم الأغنياء . «قد سمع الله قول الذين قالوا أن الله فقير ونحن الأغنياء»^(٣) ويد الله في نظرهم مغلولة عاجزة وأيديهم هي المسوطة

(١) سورة المائدة : الآية ١٨ .

(٢) سفر التثنية : الأصحاح الأول : ٧ .

(٣) سورة آل عمران : الآية ١٨ .

القادرة على التصرف . « وقالت اليهود يد الله مغلولة غلت أيديهم ولعنوا بما قالوا »^(١) وهم أشد الناس عداوة لل المسلمين « ولتجدرن أشد الناس عداوة للذين آمنوا اليهود والذين أشركوا »^(٢) . وهم يدعون أن الله - تعالى عما يصفون - ولد « وقال اليهود عزيز بن الله »^(٣) .

وقد بين جلت قدرته أنهم لن يرضوا عن أى مؤمن إلا اذا اتبع ملتهم ، وأنقص في حق الله مثلا ينقصون . « ولن ترضى عنك اليهود ولا النصارى حتى تتبع ملتهم »^(٤) .

أن أعجب ما يثيره هذا بعد من ابعد الصراع في النفس هو الدهشة والاستغراب من شدة تمسك اليهود بباطلهم البطلان ، وفرط تهاوننا - نحن المسلمين - في حقنا الواضح الظهور . وفي تمسكنا بعقيدتنا وعملنا بها .

وعلى الرغم من ايماننا بيان الالقاء عند الحدود الدنيا في المسائل العقائدية لا يمكن أن يصلح ، وإن الحدود الدنيا في حد ذاتها لا يمكن أن تكون كافية لتحقيق طموحات الأمة ، على الرغم من ذلك كله فإننا نرى أنه قد آن للعرب المسلمين أن يتلقوا على حد أدنى من العقيدة لينطلقوا في صراعهم مع العدو الصهيوني من منطلقه واضعين نصب أعينهم أن ذلك لا يمكن أن يتعارض مع الأيديولوجيات القومية التي تقف عندها بعض الأنظمة . وإذا ما تمسكت بجبل الله وتحدنا تحت راية الإسلام ، فإن الله سينصرنا كما وعدنا « وكان حقا علينا نصر المؤمنين » ، « إن تنصروا الله ينصركم ويثبت اقدامكم » .

أن أكثر ما يخشاه الإستعمار والصهيونية وأنصارهما هو عودة المسلمين إلى التمسك بكتاب الله ، وتطبيق الشريعة الإسلامية . فمنذ أن طبقت باكستان الشريعة الإسلامية ، وبدأ التيار الإسلامي يتضخم في بلدان العالم الإسلامي

(١) سورة المائدة : الآية ٦٤ .

(٢) سورة المائدة : الآية ٨٢ .

(٣) سورة التوبه : الآية ٣٠ .

(٤) سورة البقرة : الآية ١٢٠ .

وكثرت الدعوات القائله بتطبيق الشريعة في بلاد الإسلام ، وكان نجاح الثورة الإسلامية في إيران قد هز الأوساط الإستعمارية والصهيونية . فقد قوبلت بهلع وسط الأوساط الصهيونية والأمبرياليه لنجاح هذه الثورة فقال إبيان «أن التيار الإسلامي في المنطقه يقلب المازين الإسرائيليه رأسا على عقب ، وعلىنا أن نفك بسرعة وجدية في الروح الثورية التي يتصرف بها الإسلام ، فإذا كان الدين في الغرب لا يشكل قوة مؤثرة في الحياة السياسية ، فعل الغرب أن يدرك مدى قوه الإسلام إذا تمسك المسلمين بدينه ، وأتيحت لهم القيادة المهمه . أن خطر الإنبعاث الإسلامي هو الخطر الذي كنا نخدر منه على الدوام» . ويقول مناحيم بيغن : «أن ثورة إيران تهدىء مباشر لمقومات الحضارة الغربية ويجب أن تكون مهمتنا سحق الحضارة الإسلامية وإقامة الحضارة اليهودية محلها» . وتقول جريدة «جوش كروينكل» . «أن خسارة إسرائيل لا تقدر لغياب الشاه ، وليس في وسع الغرب والشرق بعد اليوم أن ينظروا بعدم أكتراش إلى الوعي الإسلامي الجديد» .

وقد جذبت الثورة الإسلامية في إيران انتباه المفكرين والفلسفه في الغرب ، وكتب الباحث الطويلة في تقييم هذه الظاهرة . فقالت جريدة الفيغارو الفرنسية : «أن مفاهيم التضحيه في سبيل العقيدة الإسلامية ما زالت تلعب دورها القوى خاصة في زبن يعني من إنهايار الحضارات المادية . من كان يصدق أن هتاف «الله أكبر» يستطيع أن يصنع هذه المعجزة ، مكذبا كل النظريات المتعارف عليها . لقد أثبتت ثورة الخميني أن العقيدة الصادقة هي أكبر حرك لأحداث التاريخ وأن الثورات لا تنبع إلا إذا كان لها حلم كبير يحسمه زعم مؤمن ، توجهه عقيدة روحية تهار أمامها قوى الطغيان» . وقالت جريدة «الفايكنشال تايز» : «لا يمكن لأحد بعد اليوم ، أن ينكر حدوث بعث إسلامي أسيء فهمه إلى حد بعيد»⁽¹⁾ . وهكذا يتضح لنا إن العقيدة هي أهم العوامل بل العامل الرئيسي لتحقيق النصر على الأعداء .

(1) سعد جمعة : «لماذا كل هذا التهجم على الثورة الإسلامية في إيران» ، مجلة الحوادث فبراير

ثالثاً : بعد الجغرافي : - وقد ألح اليهود على توضيع هذا بعد الحاحا
شديداً وجعلوه أحد شعاراتهم الأساسية الثابتة التي ينطلقون منها في صراعهم مع
العرب . فهم ومنذ اللحظة التي بدأوا فيها الصراع مع الكنعانيين يبنوا أن فلسطين
ليست هي بعيتهم الوحيدة من ذلك الصراع . فقد ورد في الإصحاح الخامس
عشر من سفر التكوين ما يلى :

« في ذلك اليوم قطع إبرام ميثاقاً قائلاً : نسلك أعطى هذه الأرض .
الأرض من نهر مصر إلى النهر الكبير نهر الفرات »^(١) .

و نتيجة لانتشار اليهود وتشتتهم في مختلف أرجاء المعمورة أصبح العالم كله
ساحة للصراع بيننا وبينهم . وقد اتخذ هذا الصراع أشكالاً عدّة .

لقد بني اليهود إستراتيجيتهم على أساس إقامة إسرائيل الكبرى الممتدة من
النيل إلى الفرات . وقد ظل اليهود طوال المراحل التي مر فيها ذلك الصراع يؤذبون
الأمم على الأمة العربية والإسلام ويكتيرون لنا بمختلف أساليب الكيد والمؤامرات
مستغلين في ذلك نفوذهم الاقتصادي والعلمي والإعلامي ، الذي اكتسبوه على
مر الأيام في شتى أنحاء العالم .

وقد آن للعرب والمسلمين أن يدركون أنهم لن يهدأ للصهيونية بال حتى تصل
بحلمها المرسوم إلى غايتها ، ولا ينبغي أن يخطر ببال عربي عاقل أن المعاهدات
يمكن أن تضع حداً لإطاع إسرائيل التوسعية .

رابعاً : بعد البشري : - أدرك اليهود ومنذ البداية أنهم لن يتمكروا من
تحقيق أي فوز في صراعهم مع العرب أن هم إنعدموا على قوتهم الذاتية ، وقد
أدركوا نقطة ضعفهم المتمثلة في قلة عدوهم فاستثمروها أروع إستثمار وعواضوا
أنفسهم عنها بتلمس العون من الآخرين . وقد جعلوا ذلك مطلباً إستراتيجياً في
صراعهم مع العرب . ولنعد مرة أخرى إلى التاريخ لرئيسي كيف أنهم - عندما
طلب منهم موسى دخول فلسطين رفضوا ذلك بشدة مادام أهل البلاد الأصليين
موجودين فيها .

(١) المهد القديم ، سفر التكوين الأصحاح ١٥ .

وكانوا في ذلك الوقت في وضع لا يمكنهم فيه كسب تأييد أى شعب من شعوب الأرض وهذا فقد طلبوا من موسى أن يعراضهم عن ذلك تلمس العون من الله . « قالوا يا موسى أنا لن ندخلها أبداً ما داموا فيها فاذهب أنت وربك فقاتلها أنها هنا قاعدون »^(١) .

وقد بين الله سبحانه وتعالى في محكم كتابه أنه ليس في إمكان اليهود أن يتحققوا أى نصر إلا إذا وجدوا العون من الله أو من الناس . « ضربت عليهم الذلة أينما ثقفو إلا بحمل من الله وحمل من الناس وباءوا بغضب من الله وضررت عليهم المسكمة ذلك بأنهم كانوا يكفرون بآيات الله ويقتلون الأنبياء وغير حق ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون »^(٢) .

وقد دفعت التعاليم اليهودية الواردة في التوراة الحرفة والتلمود . والتي اشتقت منها « مبادئ الصهيونية السياسية المعاصرة -- اليهود إلى السعي الدائم من أجل السيطرة على العالم وتسيير شعوبه لخدمة الشعب الشمالي وتحقيق أطماعه الشريرة . ومن أجل ذلك أنشأوا والجمعيات والمنظفات واتبعوا النظريات الفلسفية والمذاهب الاقتصادية التي تولوا عن طريقها مهمة إقناع الشعوب بياطلهم وبسطوا من خلالها نفوذهم على جميع الدول الأمريكية والأوربية ، وسخروا حكوماتها في تحقيق أهدافهم ومحضطاتهم .

أما العرب فلم يعيروا هذا بعد من أبعاد الصراع ما يستحقه من الإهتمام وظل تحركهم في مجاله دون المستوى المطلوب . لقد أغبجتهم كثرةهم التي لم تغنم عنهم شيئاً وظنوا أن تفوقهم العدوى كاف لجسم الصراع مع اليهود لصالحهم . لقد ظنوا أن في إستطاعتهم التغلب على اليهود في أول جولة من جولات الصراع ، ولم يلتفتوا إلى ذلك الداء العضال الذي يجعل من الكثرة العددية عاملاً من عوامل الهزيمة بدلاً من أن تكون سبباً من أسباب النصر . لقد غرهم تفوقهم العددى ووفرة مواردهم الاقتصادية وعمق بلادهم الجغرافي وتغافلوا عن معالجة ذلك

(١) سورة المائدة ، الآية ٨١ .

(٢) سورة المائدة ، الآية ٨٦ .

الداء المستشرى الذى حال بينهم وبين الإفادة من جميع هذه المميزات . أما ذلك الداء فليس بيتنا من يجهله ، أنه داء الفرقة والتمزق والشتات : أنه الداء الذى قسم الأمة العربية الواحدة إلى أكثر من عشرين دولة يصل الخلاف بين العديد من أنظمتها إلى حد المواجهة بالسلاح .

وليس بين الناس من يجهل أن جميع الانتصارات التى حققتها الصهيونية في حربها مع الأمة العربية في النصف الثاني من هذا القرن إنما تحققت بفضل ما تلقته منعون من القوى العالمية الكبرى . كانت بريطانيا وراء إقامة الكيان الصهيوني وخروجها ظافرا من حرب ١٩٤٨ ، وكانت بريطانيا ذاتها مع حليفها فرنسا وراء إنتصار إسرائيل سنة ١٩٥٦ ، وكانت الولايات المتحدة الأمريكية هي صانعة نصرتها في حرب ١٩٦٧ و ١٩٧٣ . كما أنها تمد إسرائيل بإستمرار بالمال والسلاح بينما يمدها الإتحاد السوفياتي بالقوة البشرية عن طريق السماح لليهود السوفيات بالهجرة إلى فلسطين .

أن فهمينا الدقيق لهذا البعد من أبعاد الصراع ينبغي أن يشكل لدينا قناعة تتلخص في أننا لن نتمكن من التفوق على الصهيونية في ميدان الدعاية العالمية لقضيانا العادلة ، ولكن ذلك لا يعني أن يولد في نفوسنا أي عامل من عوامل الإحباط لأن في إستطاعة العرب أن يعوضوا بأساليب أخرى كثيرة ناجعة . ويكفي أن تعمل الأمة العربية على جمع الصحف المبعثرة وتجميع الطاقات المهدورة وتوحيد القوى والإمكانات شريطة أن توافق القناعة التامة بإرادة القتال حتى يتتحقق لنا النصر على العدو الصهيوني .

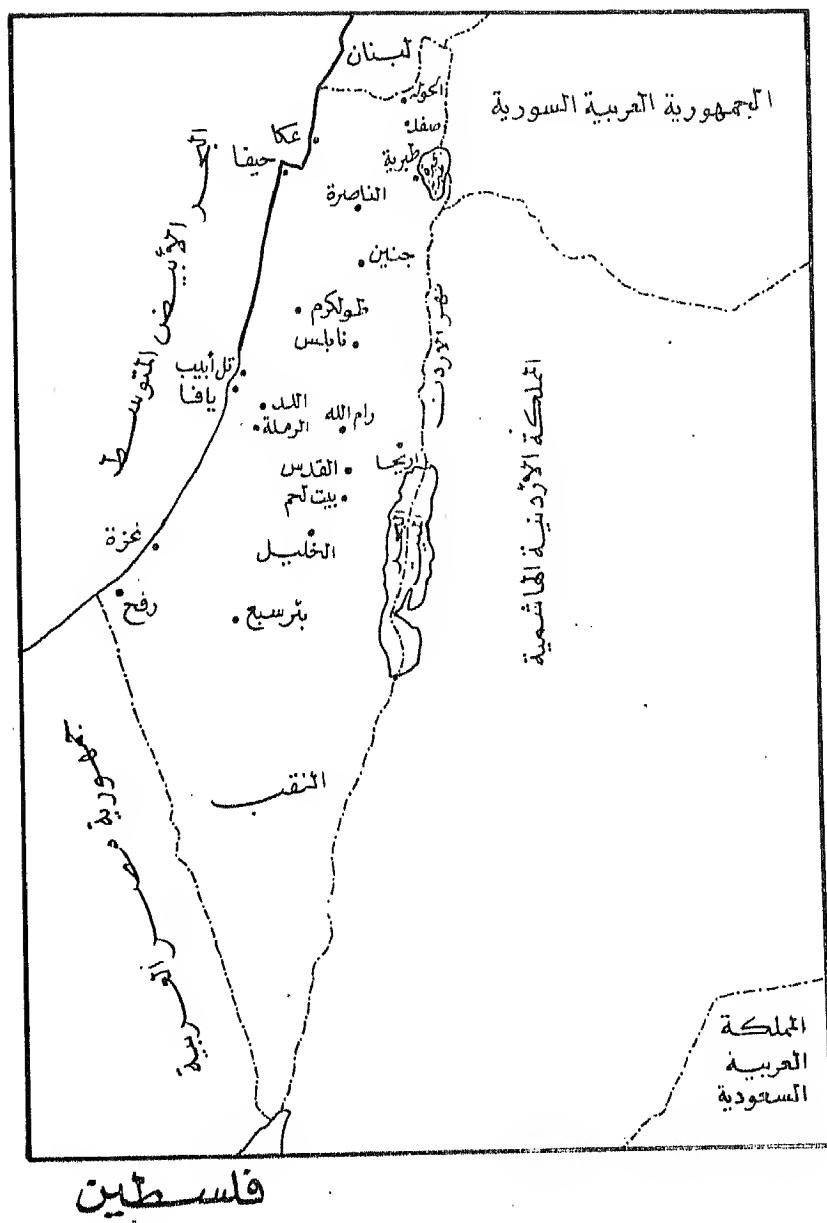
أن القضية بين العرب وإسرائيل ليست سياسية – كما يتوهم البعض – وإنما هي قضية قومية أولاً ودينية ثانياً ، وصراع على قطعة واحدة من الأرض . أنها في الواقع صراع بين فريقين يطالب كل منها – عن عقيدة – إلا بانتصار أحد الفريقين ، وبالتالي أن يكون أحد الفريقين مالكا لهذه الأرض . وهذه الأرض التي هي فلسطين ليست نهاية المطالب بالنسبة للأطماع الصهيونية أنها بمثابة نقطة إنطلاق منها ينطلقون إلى الوطن العربي الكبير الذى يريدون له أن يصبح تحت

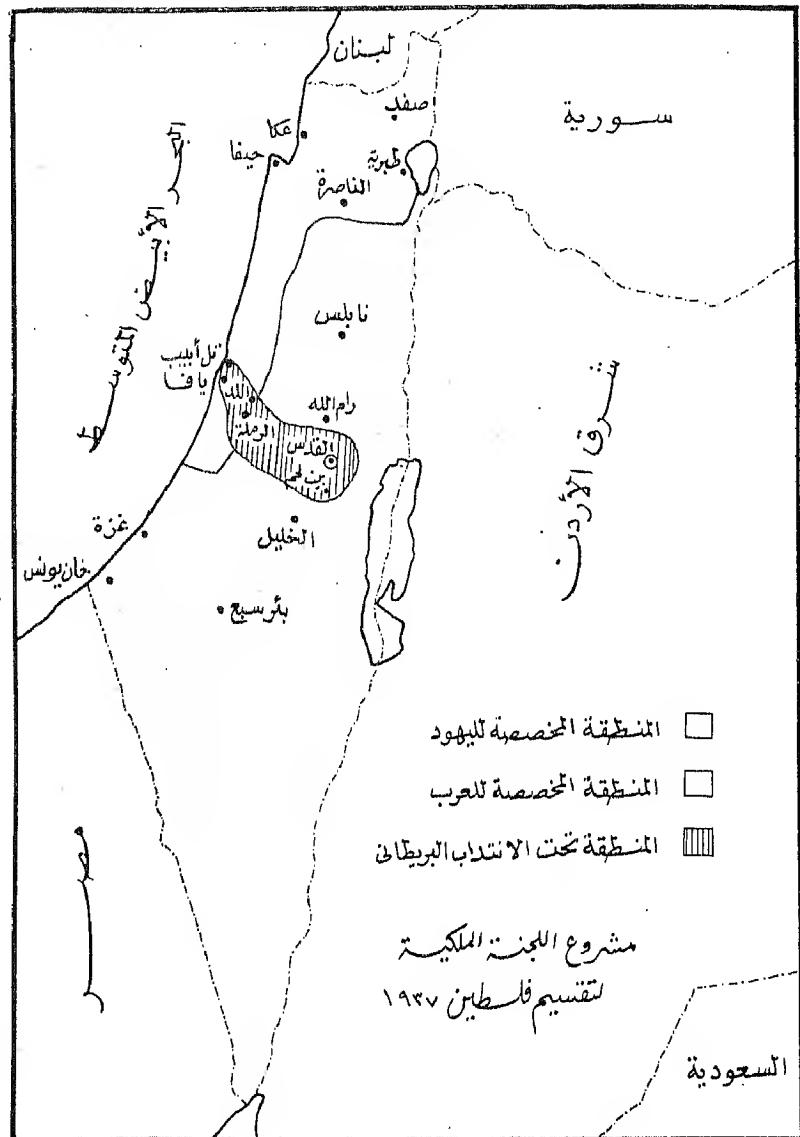
نفوذهم وسيطربهم . والمجتمع الإسرائيلي هو مجتمع حرب لا مجتمع سلم لأن زعماء إسرائيل يدركون أن السلم خطير على مجتمعهم . وهم أن رفعوا شعار السلم فإنما يخدعون العالم لأنهم يخونون وراء هذا الشعار إستعدادهم للحرب . أنهم يريدون أن يوهموا العرب بهذا السلم المزعوم حتى يرکنوا إلى السكينة والهدوء . فيأخذونهم على حين غرة . ولذلك فلا حل للقضية الفلسطينية إلا بالحرب ، ولا بديل للعرب سوى الإستعداد لخوض معركة المصير والشرف وإسترداد أراضيهم وتحرير قدسهم ، فما أخذ بالقوة لا يسترد إلا بالقوة . ولم يعرف التاريخ شعباً إسترداً حقه وأرضه بغير القوة . ولا سبيل للعرب في تحقيق النصر الكاسح على إسرائيل إلا بتوحيد صفوفهم ، وجمع كلمتهم وتقوية جيوشهم وحشد كل طاقاتهم والإعتماد على قوتهم الذاتية . وما لا شك فيه أن الرأي العام العالمي دائماً مع القوى ولا قيمة في حق لا تسنده قوة . والعرب يملكون كل مقومات القوة ومفاتيح النصر ، وما عليهم إلا شحذوا همم وتنمية العزائم وأن يحيوا سنة السلف الصالحة في الجهاد لتحرير ديار الإسلام ، ويسروا على كتاب الله .

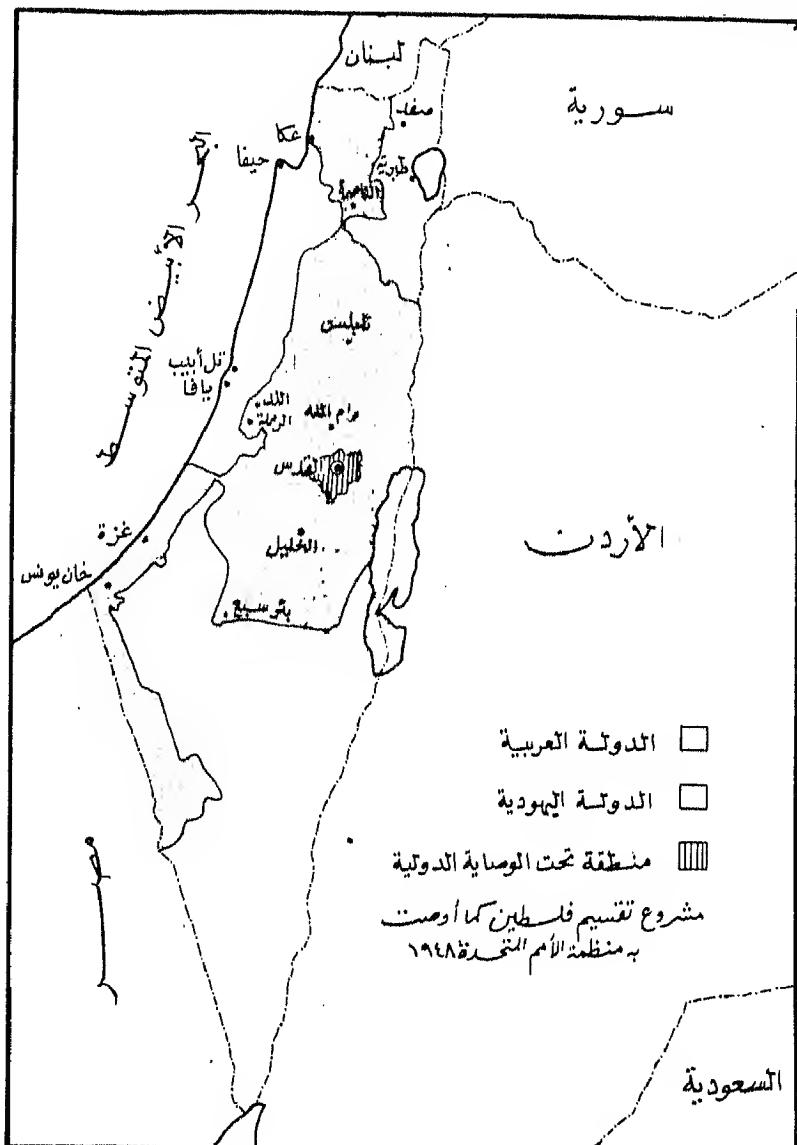
وسنة رسوله الكريم مؤمنين بقوله تعالى «أن تنتصروا الله ينصركم ويثبت
أقدامكم» .

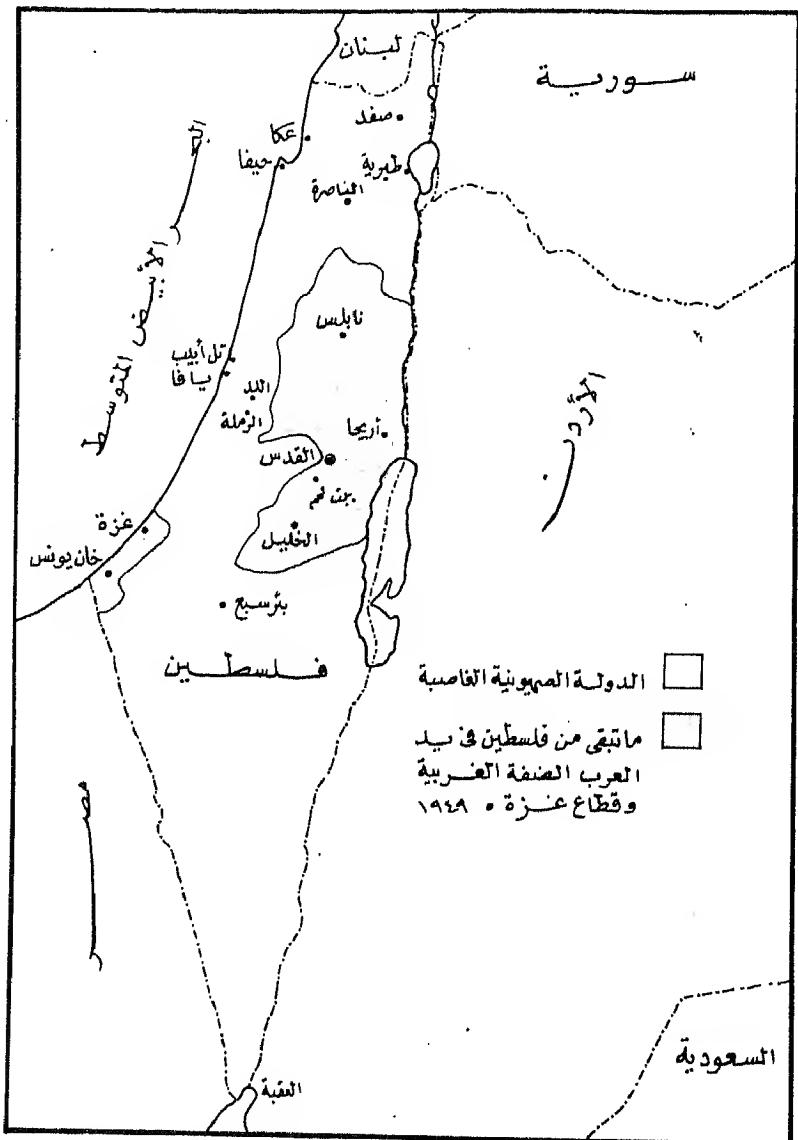
الملا حق

خرائط وأشكال توضيحية

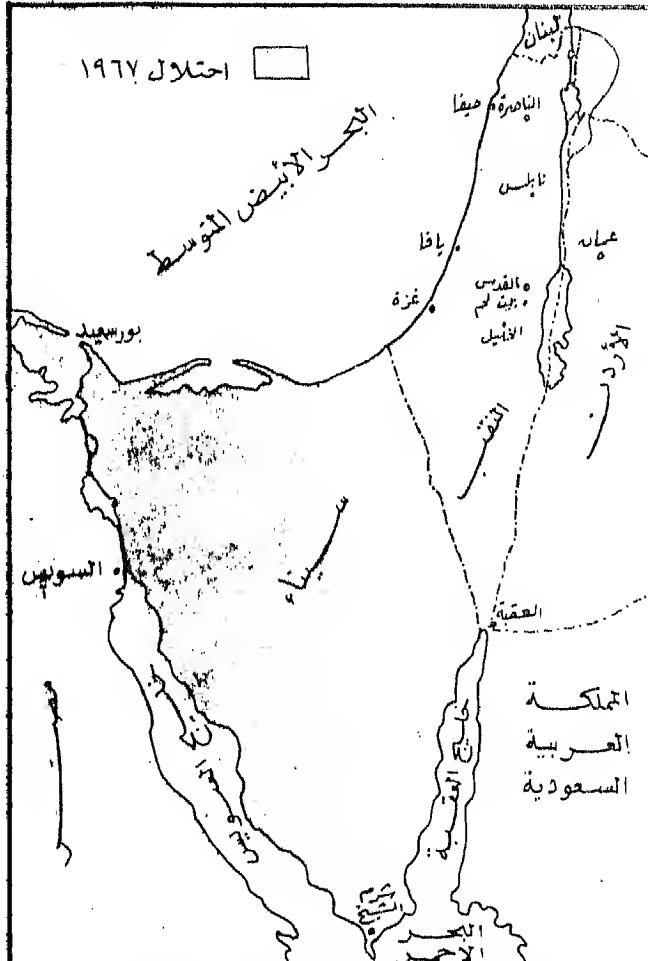




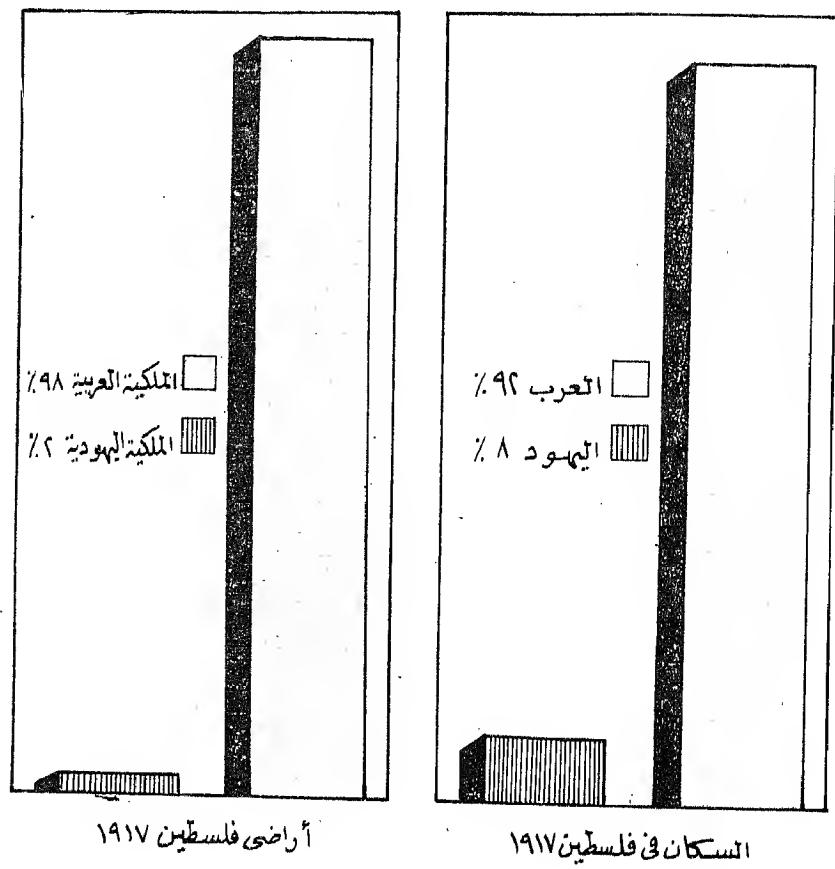


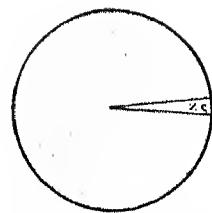


فلاسـطـين المـفـتـصـبة ١٩٤٩

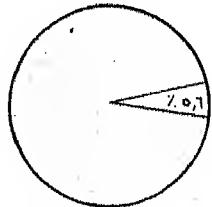


فاطمین بعد الاحتفال الاسرائیلی سنتہ ۱۹۷۲

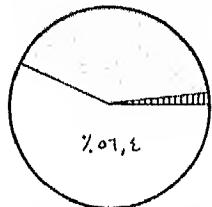




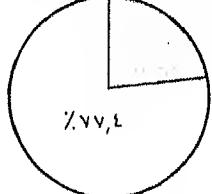
أراضي فلسطين وقت صدور وعد بلفور ١٩١٧



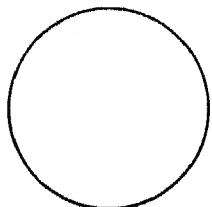
أراضي فلسطين عشرية صدور توصية التقسيم ١٩٤٧



أراضي فلسطين كما وُزعت بموجب
مشروع التقسيم ١٩٤٧



أراضي فلسطين بعد حرب ١٩٤٨



أراضي فلسطين بعد حرب ١٩٦٧

- أراضي بيد العرب
- أراضي استراليون على الصهيونيون
- أراضي تحت الوصاية الدولية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

المصادر العربية

أولاً : الوثائق العربية والمصادر الأساسية

- ١ - القرآن الكريم
- ٢ - التوراة (العهد القديم والجديد)
- ٣ - الوثائق الرئيسية في قضية فلسطين إصدار الجامعة العربية القاهرة ١٩٥٧
- ٤ - تقرير اللجنة الملكية لفلسطين (لجنة بيل ١٩٤٧)
- ٥ - تقرير المندوب السامي البريطاني عن إدارة فلسطين ١٩٢٠ - ١٩٢٥ القدس
- ٦ - وثائق المقاومة الفلسطينية العربية ، إعداد مؤسسة الدراسات الفلسطينية بيروت ١٩٦٨

ثانياً : بحوث ومقالات منشورة :

- ١ - أمين محمود عبد الله «نشأة الترعة الإستيطانية في الفكر اليهودي الغربي خلال القرن التاسع عشر» مجلة العلوم الاجتماعية ، جامعة الكويت ، يوليو ١٩٧٩
- ٢ - حسان حلاق « موقف الدولة العثمانية من النشاط الصهيوني الدولي » مجلة شتون الفلسطينية العدد ٧٤ ، يناير ١٩٧٨
- ٣ - سامي هداوى : « فلسطين تحت الإنتداب البريطاني » ندوة فلسطين العالمية ، الكويت فبراير ١٩٧١
- ٤ - عادل غنيم : « موقف عرب فلسطين من اليهود والصهيونية ١٩١٧ - ١٩٢٩ » مجلة الشرق الأوسط ، العدد الأول ، القاهرة يناير ١٩٧٤
- ٥ - عبد العزيز عوض « الحركة العربية في متصرفية القدس » مجلة الشرق الأوسط العدد الأول ، القاهرة ١٩٧٤
- ٦ - غسان كنفاني : « الملتقى الفكري العربي في الخرطوم مارس ١٩٧٠ » مجلة المعرفة السورية ، العدد ١٠١ ، يوليو ١٩٧٠
- ٧ - مجاهد علي شراب « كفاح الشعب العربي الفلسطيني منذ الحرب العالمية الأولى » جريدة الوطن الكويتية ١٩٧٦/٨/١٠
- ٨ - محمد علي الفراء « تهويد فلسطين » المؤتمر الجغرافي الإسلامي الأول الرياض ١٩٧٩/١٣٩٩
- ٩ - مذكرات مفتى فلسطين ، مجلة فلسطين ، بيروت ١٩٦٩

ثالثاً : المراجع العربية

- ١ - إبراهيم أبو لفند : تهويد فلسطين بيروت ١٩٧٣
- ٢ - ابن الأثير : الكامل في التاريخ بيروت ١٩٧٤
- ٣ - أحمد سامح الحالدى : أهل العلم بين مصر وفلسطين (القدس ١٩٤٦) .
- ٤ - الحكم دروزه : موجز القضية الفلسطينية والصراع العربي الإسرائيلي بيروت ١٩٦٧
- ٥ - الحكم دروزه : ملف القضية الفلسطينية والصراع العربي الإسرائيلي بيروت ١٩٧٣
- ٦ - اسحق موسى الحسيني : عروبة بيت المقدس
- ٧ - أسعد عبد الرحمن : المنظمة الصهيونية العالمية بيروت ١٩٧٣
- ٨ - أسعد رزوق : إسرائيل الكبرى بيروت ١٩٦٨
- ٩ - أسعد رزوق : الصهيونية وحقوق الإنسان العربي بيروت ١٩٧٣
- ١٠ - إسرائيل كوهين : هذه هي الصهيونية القاهرة ١٩٥٦
- ١١ - الياس سعد : المجرة اليهودية إلى فلسطين المحتلة بيروت ١٩٦٩
- ١٢ - أميل توما : جذور القضية الفلسطينية بيروت ١٩٧٣
- ١٣ - إميل الفوري : المؤامرة الكبرى . إغتيال فلسطين وحق العرب القاهرة ١٩٥٥
- ١٤ - أنيس صانع واخرون : الفكر الصهيوني بيروت ١٩٧٣ :
- ١٥ - حسان حلاق : موقف الدولة العثمانية من النشاط الصهيوني بيروت ١٩٧٨
- ١٦ - خيري حماد : الوجود الإسرائيلي في الخطط الإستماري بيروت ١٩٦١
- ١٧ - خيري حماد : دور الأسر المالكة في ضياع فلسطين .
- ١٨ - خيرية قاسمية : النشاط الصهيوني في الشرق العربي وصداه بيروت ١٩٧٣ .
- ١٩ - رفيق شاكر التشه : الإسلام وفلسطين الرياض ١٩٨٠
- ٢٠ - زاهية قدورة : تاريخ العرب الحديث بيروت ١٩٧٣
- ٢١ - سالم الكسواني : المركز القانوني لمدينة القدس عمان ١٩٧٧
- ٢٢ - السيد احمد حامد الفقي : الصهيونية سافرة
- ٢٣ - السيد رجب حراز : صفحات من تاريخ الصهيونية وإسرائيل القاهرة ١٩٧٤
- ٢٤ - صالح صائب الجبوري : محنة فلسطين وأسرارها السياسية والعسكرية بيروت ١٩٧٠
- ٢٥ - صالح مسعود بوبيصير : جهاد شعب فلسطين بيروت ١٩٧٠
- ٢٦ - صبحي ياسين : الثورة العربية الكبرى في فلسطين
- ٢٧ - صبرى جريس : تاريخ الصهيونية بيروت ١٩٧٧
- ٢٨ - عادل غنيم : الحركة الوطنية الفلسطينية القاهرة ١٩٧٠
- ٢٩ - عبد المنعم شميس : أسرار الصهيونية القاهرة ١٩٦٥

- ٣٠ - عبد الوهاب الكيالي : تاريخ فلسطين الحديث بيروت ١٩٧٠
- ٣١ - عبد الله التل : كارثة فلسطين القاهرة ١٩٥٩
- ٣٢ - عز الدين فوده : قضية القدس في محيط العلاقات الدولية
- ٣٣ - عمر رشادى : الصهيونية ورثيابها إسرائيل القاهرة ١٩٦٥
- ٣٤ - علي الحافظة : العلاقات الأردنية البريطانية عن ١٩٧٥
- ٣٥ - عيسى السفرى : فلسطين العربية بين الإنذاب والصهيونية القدس ١٩٣٧
- ٣٦ - فايز صايغ : الاستعمار الصهيوني في فلسطين بيروت ١٩٧٣
- ٣٧ - فايز صايغ : عشرون حقيقة أساسية عن القضية الفلسطينية بيروت ١٩٧٣
- ٣٨ - فاضل حسين : تاريخ فلسطين السياسي تحت الإدارة البريطانية بغداد ١٩٦٧
- ٣٩ - كامل محمود خله : فلسطين والإنتداب البريطاني بيروت ١٩٧٤
- ٤٠ - لوتسكى : تاريخ الأقطار العربية الحديث
- ٤١ - محمد اديب العامرى :عروبة فلسطين في التاريخ بيروت ١٩٧٢
- ٤٢ - مصطفى مراد الدباغ : بلادنا فلسطين ق ٢ ح١ بيروت دار الطليعة ١٩٧٦
- ٤٣ - محمد بن جرير الطبرى : تاريخ الرسل والملوك
- ٤٤ - مجير الدين الحنبلي : الأئس الجليل في تاريخ القدس والخليل
- ٤٥ - محمد طلعت الغنيمى : قضية فلسطين أمام القانون الدولى ، الأسكندرية ١٩٧٦
- ٤٦ - محمد خليفه التونسي : بروتوكولات حكام صهيون
- ٤٧ - محمد أمين الحسينى : حقائق عن قضية فلسطين القاهرة ١٩٥٤
- ٤٨ - محمد عزت روزه : القضية الفلسطينية بيروت ١٩٥٥
- ٤٩ - محمد عرابى نخله : تطور المجتمع في فلسطين القاهرة ١٩٧٨
- ٥٠ - محمد ابيس والسيد رجب طراز : الشرق العربي في التاريخ الحديث والمعاصر القاهرة ١٩٦٧
- ٥١ - ناجي علوش : الحركة الوطنية الفلسطينية بيروت ١٩٧٤
- ٥٢ - نقولا الدار : هكلا ضاعت وهكلا تعود بيروت ١٩٦٣
- ٥٣ - هنرى كتن : فلسطين في ضوء الحق والعدل بيروت ١٩٧٠
- ٥٤ - وليم فهمى : الهجرة اليهودية إلى فلسطين القاهرة ١٩٧١
- ٥٥ - يورى إيفانوف : إخذروا الصهيونية ترجمة أحمد داود بيروت ١٩٧٢

المصادر والمراجع الأجنبية
أولاً : الوثائق الإنجليزية الغير منشورة

Fo. 371

-14497 , 13753 , 14493 , 17875 , 17876

مجلد رقم
ملفات أرقام

ثانياً الوثائق الإنجليزية المنشورة

- Cmd 3686 / 1930 Palestine, Report on Immigration land settlement and Development By sir J-H. simpson
Documents on British Foreign Policy.
Esco Foundation for Palestine: Palestine; A study of Jewish Arab and British Policy.
Government of Palestime : Survey of Palestine Jerusalem 1946
Government of Palestime: Statistical Abstvact of Palistine Jerusalem 1946

ثالثاً : محاضر جلسات مجلس العموم البريطاني

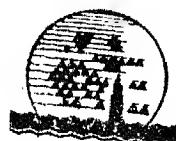
- Parliamentary Debates, House of Commons 1919, 1920 1921, 1922, 1925, 1946.

رابعاً : المعاجم والموسوعات

- Encyclopedia of Zionism and Israel, New York 1971.

خامساً : المراجع الأجنبية

1. Benwitch, Norman: Palestine, London 19462.
2. Bulland, Reader: The Middle East. London 1958
3. Cohen, Ahron: Israel and the Arab world.
4. Cohen, Israel: A short thistory of Zionism.
5. Eliahu Ben Morin: The Middle East crossroads of History:
6. Geonge, David Lloyd: war Memoirs, New York 1943.
7. Golding, Lewis: The Jewish Problem, London 1949.
8. Hadawi, Sami: Palestine, Cairo 1965.
9. Haddon, A.C.: The Races of the man combridge 1920
10. Herle, Theodor: The Jewish state Newyork 1972. Collection of the Alexandria Library (G)
Theodor Herle
11. Herzl, Theodor: The Complet Diarus Newyork 1972.
12. Hurewitz, J.C. : The Struggle for Palestine
13. Hurewitz, J.C.: Diplomacy in the near and Middle East London 1962.
14. Hutchison, E.N.: Violent Truce New York 1956.



15. Kirk , George: A short History of the middle East London 1956 .
16. laqueur ,w.: the Israel Arab Reader
17. Lenzowski, Gesge: The Middle East in the world Affairs London 1956 .
18. Lilental , Alfred: what Price Israel? chicago
19. Mondel , Neville: Turks , Arabs and Jewish 1953 . Immigration into Palestine London 1956 .
- 20 Monroe , Elizabeth: Britains Moment in the middle East London 1956 .
21. Ripley william,z: The Raes of Europe London 1899 .
22. Roth , Cecil: The Standard Jewish Encyclopedias Jerusalèm 1926
23. Roth , Cecil: A short History of Jewish people London 1965
24. Skolov'sn : History of Zionism .
25. Stein Leonard: The Bel four Declaration .
26. Stevens Richard P.: American Zionism and U.S. Foreign Policy New York 1962 .
27. Sykes christopher: Crossroads to Israel , London 1965
28. Tylor , Allan. Prelude to Israel London 1967
29. Weizmann , chaim: Trial and Error .

طبع ترجمة

(٤٨)

